التاريخ السري للمغول

(النص الكامل)

كُتب بالصينية أيام جنكيز خان

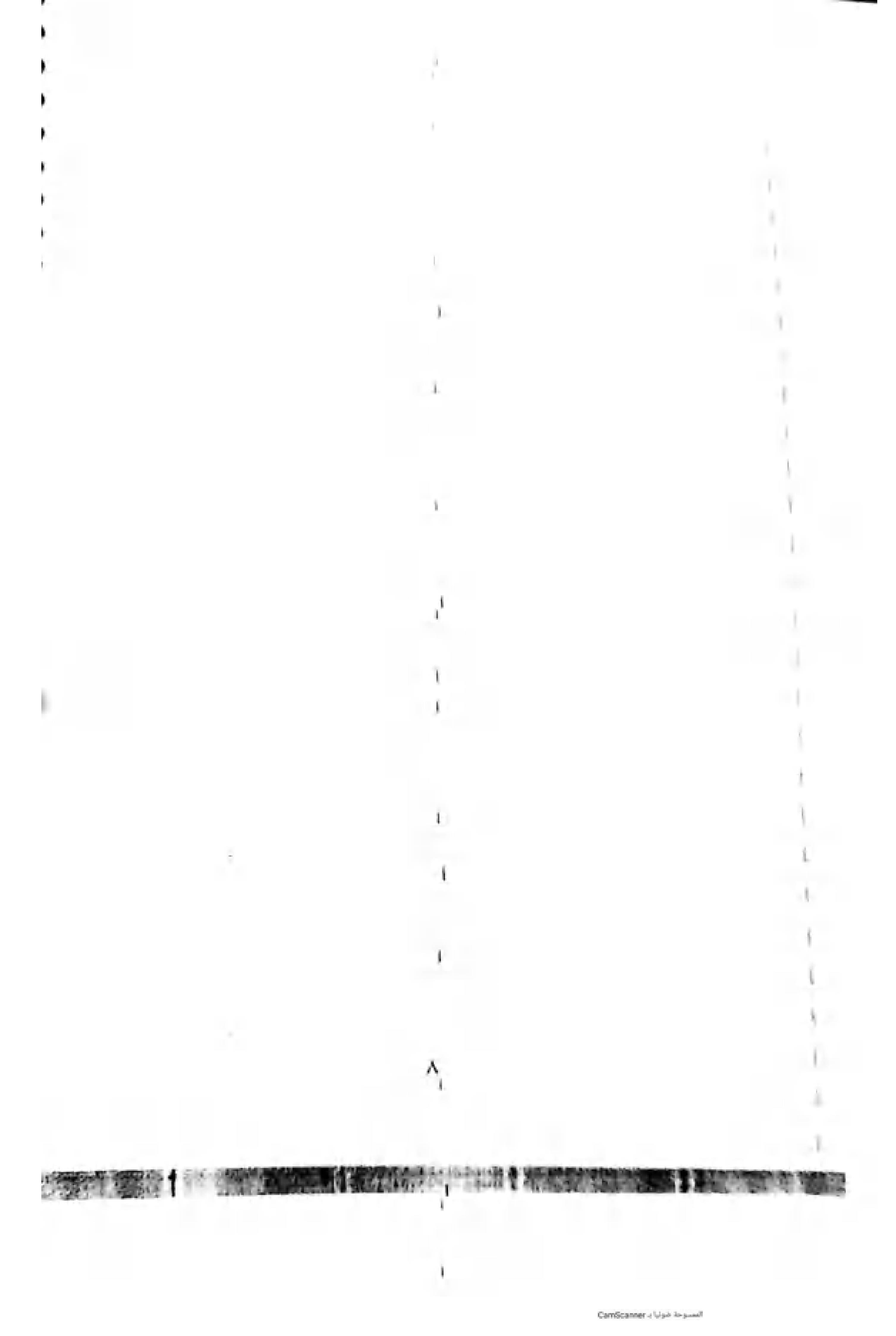
نقله إلى العربية وقدم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار

دمشق

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

المحتوى



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

غالباً ما كان لكل شعب من الشعوب ملحمته القومية الخاصة، حيث يكون موضوع الملحمة واحداً من كبار الأبطال، أو البطل الرئيسي للشعب في مرحلة من مراحل تاريخه، ومقرر أن جنكيز خان كان هو البطل التاريخي لشعب المغول، وذلك على الرغم من قسوته وسفكه للدماء، ووحشيته المفرطة، وفي العادة تسوق الملحمة أخبار بطلها بشكل خاص، حيث هناك بعض الحقائق الموثقة، لكن الغالب تصورات شعبية لصورة البطل مع كثير من المبالغات والخوارق والخيال، وهذا بحد ذاته مهم جداً، ليس للتأريخ لبطل الملحمة، بل للناس الذين صاغوا الملحمة وآمنوا بحق ما ورد فيها، وكان هؤلاء دوماً سواد الناس وأكثريتهم، ولا غضاضة في هذا، ففي أيامنا يرى كثيرون أن كتابات التاريخ المعاصرة فيها ما يعبر عن مقاصد جماهيرية والناس كلهم يقولون ــ بناء عليه ــ التاريخ خبر ورؤية، والرؤية هي الأهم، وهنا تمثل الملحمة الرؤية الجماهيرية لما حدث في التاريخ.

ويُعد كتاب التاريخ السري للمغول، هو ملحمة الشعب المغولي، حيث أنه من المرجح قد جرت صياغته أيام جنكيز خان من قبل بعض المغول، ونقل بعد هذا إلى الصينية وجرى تدوينه فيها، ويستحق هذا الكتاب كل عناية واهتمام، ونظراً لمكانة هذا الكتاب وأهميته جرى نقله إلى أكثر من لغة، وهذه هي المرة الأولى التي ينقل بها كاملاً إلى العربية على أمل أن يستفيد منه الباحثون والعلماء والقراء بشكل عام، ونظراً لأن بكين عاصمة

الصين صارت قاعدة الخانية العظمى للمغول، ولأسباب أخرى، جرى نقل النص المغولي إلى الصينية، أو بالحري نُسخ بالأحرف الصينية، هذا ومن المفيد القول بأن المصادر الصينيةُ هي الأهم حول التاريخ المبكر للمغول، لا بل لتواريخ جميع شعوب سهوب بلاد ما وراء النهر من ترك ومغول.

ذلك أن بلاد المغول بصحاريها الشاسعة، وجبالها الشاهقة، وغاباتها الكثيفة، وسكانها البدائيين من صيادين رحالة وبعض ذوي الحياة المستقرة جديرة بالدراسة، لمعرفة خلفيات ظهور المغول بقيادة جنكيز خان واجتياحهم بلدان آسيا الإسلامية مع بلاد كثيرة في آسيا وأوروبا، وكانت الصين دوماً هي الأقرب إلى شعوب السهوب، والأوثق اتصالاً ومعرفة، وتقديراً لمخاطرهم، فالخشية من مخاطر هذه الشعوب دفعت الصينيين إلى بناء سور الصين العظيم.

وهذا الكتاب فيه مادة مفيدة حول الأحوال: المعاشيةَ، والاجتماعية، والثقافية، والدينية، والسياسية للمغول قبل جنكيز خان وفي أيامه، ولذلك لا غنى عنه لأي باحث أو مهتم، ولعل رشيد الدين ـ صاحب جامع التواريخ ـ كان من أوائل الذين استقوا المعلومات من هذا الكتاب، الذي نشرت الجزء الأول منه المتعلق بحياة جنكيز خان، اعتماداً على النسخة الخطية العربية التي تعود للمؤلف.

ولست بحاجة لاستعراض أهم مواد هذا المصدر، فهذا ما سوف يقف عليه القارئ، وكنت على نية نشر هذا الكتاب منذ سنوات، بعد نشري لكتاب غروسيه عن حياة جنكيز خان، ولكن لم يتيسر الأمر آنذاك، ولم أحصل على نسخة من نصه كاملة إلا منذ عدة أشهر، وتفيد الإشارة هنا إلى أن عدداً من النقاد يرون أن كتاب غروسيه عن حياة جنكيز خان، ما

هو إلا نص التاريخ السري المغول، كتبه هذا المؤرخ العبقري مجدداً بفرنسية معاصرة.

أملي كبير بحصول الفائدة المرجوة من هذا المصدر مع بقية مصادر هذه الموسوعة الفريدة بالعربية، والله الموفق إلى السداد، وله الحمد والصلاة والسلام على النبي المصطفى وآله وصحبه وسلم.

دمشق ٢ ـ ربيع الأول ١٤٣٢هـ/٥ شباط ٢٠١١م.

سهيل زكار

١٢

مدخل

يُعد الكتاب العائد إلى القرن الثالث عشر م، والحامل لعنوان التاريخ السري للمغول[1]، هو الأثر الكبير الأقدم والأكثر أهمية بالنسبة لأدب الشعوب التي تحدثت بالمغولية، ولم يضارعه إلا كتاب «الخلاصة الثمينة» تأليف الأمير سيانغ سيجين sayang secen (١٦٠٤ ـ ؟)[2]، وليس هناك من شك أنه ليس متفوقاً على الكتاب الأخير من حيث المزايا الأدبية، وهذه المزايا كثيرة، ولكن مع ذلك يبقى العمل الرائع لسيانغ، دون التاريخ السري، ويشهد على ذلك عدد ترجمات ونصوص للتاريخ السري التي زادت على الأربعين[3]، في حين لم تتجاوز طبعات وترجمات «الخلاصة الثمينة» على مجرد ثمانية[4].

والسبب وراء النجاح الكبير للتاريخ السري في الوطن وفي الخارج، هو أولاً وقبل كل شيء، موضوعه، وما يبحث فيه، لأن التاريخ السري هو العامل الأصيل الوحيد (ينبغي عدم مزج ذلك بالاعتماد والموثوقية) الذي يحتوي على الرواية المحلية حول حياة جنكيز خان وأعماله، ذلك أن جنكيز خان هو واحد من أعظم الشخصيات العالمية، في حين إن «الخلاصة الثمينة» هي تاريخ عام للمغول، كتب تحت تأثير الثقافة التيبيتية البوذية، ولا يوجد تأثير بوذي في التاريخ السري، ولم تتأثر لغته بالآداب التاريخية التيبيتية والمواعمان، فشعره يعكس تقاليد القبائل البدوية لمنغوليا، والسكان الذين كانوا يتحدثون التركية والمغولية، ويسكنون السهوب الواسعة في آسيا الداخلية، ومن المؤكد أن العناصر التركية ثقافياً ولغوياً موجودة في التاريخ السري، وكيف يمكن أن يكون الأمر غير ذلك، بما أن منغوليا كانت مهد، ووطن، ومنتجع كلا الشعبين، ذلك أنهما يتشاركان منذ

زمن سحيق طريقة عامة في الحياة ، والأمـور الروحانيـة نفسـها، أي الشامانية، والخلفية المتعلقة بـالطقوس والعـادات، وبتبـادلان الكلمـات، والاصطلاحات والألقاب عندما تتوفر المناسبة.

وفيما بعد عمل أتراك آسيا الوسطى الذين تبنوا حياة الاستقرار، وكانوا أكثر تقدماً من النواحي الثقافية، ولاسيما الإيغور، كمعلمين ووسطاء ثقافيين بالنسبة للمغول، وكانت المنحة الأعظم التي قدموها إليهم، هـي أحـرف الكتابة الإيغورية، التي تبناها المغول في حوالي أواخر القرن الثالث عشر، والتي بها كتب التاريخ السري للمرة الأولى، ويبقى كتاب التاريخ السـري ــ على كل حال ــ بصرف النظر عن مكوناته التركية ــ إنتاجاً مغوليـاً صحيحاً وأصيلاً[٥]، وبالتالي فريداً وحيداً من نوعه؛ لأن ما مـن شـعب بدوي آخر، أو شبه بدوي، قد أنتج قطعة أدبية راقية مثل التاريخ السري ، جمعت ببراعة بين السمات الملحمية والوقائع التاريخية، ومـن الجانـب اللغوي يزودنا التاريخ السري بأفضل مصدر فيه مادة غنية ممتـازة مـن الأدب المغولي، لما قبل ظهور المغولية الكلاسيكية، حيث أن تاريخه يعود إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر، وأيضاً قبل ظهور اللغة المغولية الوسيطة التي جرى التكلم بها فعلياً في النصف الثاني من القـرن الرابـع عشر، ولغة التاريخ السري هي لغة تفتقر إلى المحسنات الفنية المصطنعة، وهي في أسلوبها بسيطة ومباشرة، وبعيدة كثيراً عـن الثقافـة والتعلـيم، وجملها بالغالب الثقافية معقدة، ولذلك تختلف عما عرف باسـم المغوليـة الكلاسيكية[٦]، وفي هذا المقام يمكن للإنسان القول مع أ. ويلـي A.waley بأن رواة «حكاياتها... رووا حكايات هي الأكثر حيوية بين الآداب البدائية التي وجدت في أي مكان في العالم[٧]»، وتردد صدى هذه الحكايـات مـع

ف.و.كليفيس F.w.cleaves، الذي دعا التاريخ السري بأنه «واحد من أعظم المعالم الأدبية في تاريخ العالم»[8].

والتاريخ السري هو عمل معقد ومتداخل، ويمثل في كثير من الأوقات صعوبة كبيرة في التفسير، وذلك بسبب غناه بالمادة الإخبارية التي تغطي جميع جوانب الحياة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر في منغوليا، وتتحدث عن وقائع مهمة، وعن عدد كبير من الأفراد، الذين شغل بعضهم أدواراً مهمة تاريخياً، وعن عشائرهم، وقبائلهم، وهو عمل «يمكن أن يزود بتعليقات وبشروح لا نهاية لها[9]» حسب ما قاله ويلي، ومن جهته ذهب كليفيس إلى القول: «أنه لا يمكن القيام بترجمة دقيقة له، إلاّ إلى أن تكون أجيالاً من العلماء قد تفرغت لدراسته[10]»، وهذا تذكير صعب للذين يتصدون للقيام بهذا العمل.

ورقتان من مخطوطة التاريخ السري من عصر أسرة يوان التي أسسها قبلاي خان حفيد جنكيز خان في الصين

١ ـ محتويات وموضوعات التاريخ السري

ومع أن التاريخ السري مقسم بصورة اعتباطية إلى اثني عشر فصلاً أو خمسة عشر فصلاً، ومائتين واثنين وثمانين فقرة، لقد تمّ هذا التقسيم في تاريخ متأخر، ويحتوي التاريخ السري على رواية مستمرة إلى حد كبير، مع قليل من الفراغات والإقحامات في النص[١١].

ويتحول السرد النثري في كثير من الأحيان إلى نصوص فيها جناس، ولها أطوال متنوعة، أي أنها تتحول إلى شعر، القصد منه بالأساس إعطاء التأثير «الدرامي»، أو إلى تصريحات لها صفة الإلحاح والتأكيد، أو بكل بساطة لتقديم بعض الأقوال على شكل أمثال، أو أقوال حكيمة قديمة، وذلك عندما كانت الظروف تستدعي ذلك، وهذه طريقة معروفة ومتبعة كثيراً[١٢].

وجاء ترتيب الوقائع في التاريخ ترتيباً زمانياً، مع أن التاريخ الأول الذي يتوافق مع العام ١٢٠١، قد ظهر في الفقرة ١٤١ في الفصل الخامس.

وتولت الفصول ١ ـ ١٢ (حتى الفقرة ٢٦٨) وصف حياة وأخبار سيرة جنكيز خان منذ تاريخ ميلاده، ربما في العام ١١٦٢ (فقرة ٥٩) إلى موته في العام ١٢٢٧ (فقرة ٢٦٨)، وأوقفت الفقرات السالفة (١ ـــ ٥٨) على نسبه وعلى الأصول الأسطورية لقبائل وعشائر المغول.

وتعامل القسم الأخير من الكتاب (الفقرات ٢٦٩ ـ ٢٨١) مع انتخاب أوكتاي خان، الابن الثالث لجنكيز خان، وخليفته، ومع بعض حوادث حكمه (١٢٢٩ ـ ١٢٤١) من دون ـ على كل حال ـ ذكر وفاته.

وتنتهي الرواية (الفقرة ٢٨٢) مع إشارة غير كاملة، ذكرت مكان وزمان إكمال التاريخ السري. وبناء عليه الكتاب هو بشكل أساسي، سيرة حياة جنكيز، جاء فيها وصف لمختلف جوانب حياته الخاصة والرسمية، بشكل حيوي مشرق كثيراً، مع تفاصيل كبيرة في غالب الأحيان، وتعلق ذلك بحملاته العسكرية الكثيرة، وبعلاقاته مع الأقرباء، والأصدقاء، والحلفاء، وكذلك مع منافسيه وأعدائه، وكذلك بما تفوه به حول قضايا قانونية، أو تنظيم للجيش، أو مسائل أخلاقية، مثل: الإخلاص، والواجبات، وما هو متوجب على المقدمين، وعلى الرعية، وحول دور السموات والأرض في الشؤون البشرية، وحول ميول الإنسان نحو هذه القوى.

والقسم المتعلق بحكم أوكتاي، هو بالمقارنة، أقل تماسكاً، وهو متفتت تماماً، وهو نوع من أنواع الملاحق أو هو مستدرك[١٣]، ولكن مع ذلك فيه مادة مهمة حول مواضيع مهمة مثل الضرائب، وخدمات خيول البريد، وحول علاقات أوكتاي مع إخوته، ومهم هو أن تاريخاً واحداً يتوافق مع العام ١٢٣١، هو موجود في الفقرات: ٢٧٠ ــ ٢٨١[١٤]، ولكن عدداً من الوقائع الموصوفة في هذا القسم من الممكن تأريخها بشكل صحيح من الروايات الموجودة في المصادر الصينية والفارسية، وينبغي أن نذكر ــ على كل حال ــ بأن تواريخ التاريخ السري، هي بشكل عام لا يمكن اعتمادها، وهي تتعارض مع هذه المصادر، ولهذا علاقة كبيرة بطبيعة العمل، وأهداف المصنف (أو المصنفين)[١٥].

٢ ــ مكان التصنيف وتاريخه

تعد قضيتا مكان وتاريخ تصنيف التاريخ السري مهمتان، وهما معــاً مترابطتان، وقد جذبتا اهتمام العلماء منذ النصف الثاني من القرن التاســع عشر، وفيما يلي عرض مختصر لمختلف النظريات[١٦]، والحجج المتباينة حتى الوقت الحالي، مع تعليقات إضافية:

وتخبرنا الإشارة التي وردت في نهاية الفقرة ٢٨٢، بــشكل صــحيح تقريباً اسم مكان اكتمــال كتابــة المــصنف، وهــو «دولــو آن بولــداق dola'anBoldag في كوديإي أرال kode'e aral قرب نهر كيلورين keluren (kerulen) بين سيلغينْجيك silginčok و.......» واسم المكان الثاني مفقود، بسبب فراغ في النص، وهذا الفراغ غير مهم، بما أن دولو آن بولداق في كودياي أرال، هو مكان معروف تماماً، حيث يقع إلى الجنوب الغربي من ديلغيرإكسان Delgerxaan إلى الشمال من نهر اكسيرلين (kerulen) فــي جنوبي اكسينتي أيماغ xentii Aimag، وكودياي أرال هو سهل واسع واقع بين نهري اكسيرلين، وسينإكسير cenxer في الجنوب والــشرق، وجبــال بايان Bayan في الشمال والغرب[١٧]، ولقد كان في هذا الــسهل الجميــل، الكثير التلال، والمروي بشكل جيد، امتلك جنكيز خان معسكره الرئيــسي، وهنا انعقد الكورلتاي الكبير الذي انتخب أوكتاي في العام ١٢٢٩، وهــو الذي انعقد في العام ١٢٢٨، مباشرة بعد وفاة جنكيز خان ودفنه[١٨]، وهــو مكان كان مكرساً بوساطة التقاليد[١٩].

والتاريخ المدون في إشارة الفقرة النهائية هو مضلل تماماً حيث جــاء «اكتملت الكتابة أثناء انعقاد المؤتمر الكبير[٢٠]، وذلك في سنة الفأر، فــي شهر اليحمور[٢١]، حيث القصور التي أقيمت في دولا آن بولداق[٢٢]...».

وشهر البحمور هو الشهر السابع من السنة القمرية، ولكن أي سنة فأر، هذا ما ليس واضحاً ولا محدداً[٢٣].

وبما أن التاريخ السري ينتهي مع حكم أوكتاي (١٢٢٩ ـــ ١٢٤١)[٢٤]، ولكنه لم يذكر وفاته، لقد افترض منذ زمن طويل على أن السنة موضوع السؤال هي سنة ١٢٤٠[٢٥]، وهذا التاريخ ما يزال مقبولاً من قبل غالبية الباحثين[٢٦]، ولاسيما في منغوليا والصين[٢٧]، ومع ذلك ذهبت بعض الدراسات الأخيرة[٢٨] إلى أن النص اكتملت كتابته في سنة ١٢٢٨[٢٩]، وهي سنة وفاة جنكيز خان[٣١]، وأن ما جاء حول حكم أوكتاي[٣٢] هو إضافات لاحقة من قبل من أخرجوا بعض نسخ الكتاب[٣٣] خلال حكم أسرة يوان[٣٤]، التي أسسها قبلاي حفيد جنكيز خان في الصين[٣٥].

٣ ـ مؤلف التاريخ السري

تبقى مشكلة معرفة مؤلف التاريخ السري، أكثر تعقيداً، من معرفة تاريخ تأليفه[٣٦]، وبداية ليس في الكتاب ذكر لاسم المؤلف[٣٧]، وفي الحقيقة إذا أردنا معالجة هذه القضية يتبين لنا من الطبيعة التصنيفية له[٣٨]، أن من الأفضل الحديث عن مصنف جمع مواده من مصادر متنوعة شفوية ومكتوبة[٣٩]، مثل روايات شهود العيان[٤٠]، وروايات أبناء الشخصيات التي شاركت في الأحداث الموصوفة[٤١]، ولربما من بعض المنشدين للحكايات[٤٢]، والروايات حول إنجازات الأبطال[٤٤]، ولربما من بعض الوثائق[٤٥] التي كان مدوناً فيها بعض الأحكام التي تفوه بها الخان[٤٦]، وبعض النصوص القانونية[٤٧].

ويرجح أن المصنف كانت له علاقة بشكل مباشر، أو غير مباشر ببعض الروايات[٤٨]، وعلى جميع الأحوال، هو امتلك الوصول المباشر إلى معلومات داخلية[٤٩]، وربما لكونه كان عضواً في أسرة الخان[٥٠]، أو في بطانته المباشرة[٥١]، وهو فعل ذلك حتى تمكن من تقديم كثيراً من التفاصيل المهمة حول المناقشات والمداولات التي جرت في خيمة الخان[٥٢]، وكان من بعد هذا قادراً على جمع كل مواده الحقيقية والمخترعة، مع بعضها، وتنظيمها مع بعضها ببراعة كبيرة، لاسيما من قبل رجل كان بلا خلفيات تقاليد ثقافية تدعمه[٥٣]، وعلى هذا لعله كان هو الكاتب والمصنف، ذلك أن التمييز بين العملين سوف يكون من دون معنى، في الظروف التي فيها مشكلة التأليف والمؤلف بالذات غير مرتبطة بالشخص المسؤول، بما أنه كان مجهولاً وغير معروف، ونحن ليس لدينا فكرة أيضاً حول كيف تمت عملية التصنيف وتجميع المواد مع بعضها: وفيما إذا كان المصنف هو المدون الفعلي، أو فيما إذا كانت الكتابة عملت من قبل شخص ما آخر: كاتب أو ناسخ، وهذه مثلما مضى قضية ذات علاقة صغيرة[٥٤].

وهناك نظريات متعددة قد عرضت حول من كتب التاريخ السري أو صنف، والمرشحين الرئيسيين هنا هم ثلاثة:

١ ـ تاتاتونغآ t'a-t'at'ung'a الذي كان من قبل الإيغوري الحافظ لأختام تايانغ خان النيمان، الذي انتقل إلى خدمة جنكيز خان في العام ١٢٠٤، أي بعد هزيمة تايا نغ خان، حيث أصبح الحافظ لختم جنكيز خان، وكذلك تعليم أبنائه الكتابة الايغورية، وعلى هذا الأساس وحده الذي يمكن بالنتيجة أن يُعزى إليه إدخال الكتابة الايغورية بين المغول، هذا والمعلومات حوله ضئيلة جداً، هي مجرد عشرة أسطر، ترجمة لحياته بالصينية[٥٥]، وحاول

في العام ١٩١١ كاناي ياسوزو kanai yacsuzo أن يبرهن على أنــه هــو مؤلف «التاريخ السري»، على أساس أدبياته، ولكن ــ على كل حــال ــ أوضح و. هنغ w.hung أن من الصعب أن يعزى إلــى غريــب التحــق بمعسكر المغول فقط في العام ١٢٠٤م، امتلاك معلومات وتفاصيل مباشرة دقيقة حول الحياة المبكرة لجنكيز خان[٥٦]، هذا ومن غير الممكــن إغفــال انتقادات هنغ هذه، وعلاوة على ذلك ليس هناك ذكر لتاتاتونغا في التاريخ السري، وهو مجهول كلياً في جميع المصادر المغولية الأخرى.

٢ ــ جينقاي čingai (أو الأفضل جينقاي čingqai) (حوالي : ١١٦٩ ــ ١٢٥٢) الذي كان شخصية كيريتية أو إيغورية مرموقة في ظــل حكــم: جنكيز خان، وأوكتاي، وغويوك[٥٧]، ولأنه كان مسيحياً نسطورياً متعلمــاً هو جمع بين وظيفتي الحاجب، والسكرتير الأول، أو المستشار، ولأنه كان رئيساً لأعمال السكرتيرية أيام حكم أوكتاي، هو حمل الختم الامبراطوري، وكان مسؤولاً عن الشؤون الإدارية للمناطق الغربية (يعني وســط آسـيا وغربيها المسلمة)، ولم يكن من الممكن إصدار وثائق بالخط الايغوري أو الصيني من دون إشرافه وتوقيعه[٥٨]، ونحن نمتلك معلومات جيدة حوله في المصادر: الصينية، والفارسية، لا بل حتى في اللاتينية[٥٩]، وهو كان مــع جنكيز خان منذ الأيام الأولى، وامتلك امتياز أنه كان واحداً مــن الخمـسة عشر ــ أو ما يقارب ذلك ــ الذين شاركوا فيما عــرف باســم «ميثــاق بالجونا Baljuna»[٦٠]، ومن الممكن عزو عدم ذكره في التــاريخ الــسري بكل بساطة إلى سبب سياسي، وهو حذف اسمه بعد سقوطه مــن الــسلطة وإعدامه بناء على أمر من مونكي في العام[٦١] ١٢٥٢.

وفي العام ١٩٥٢ دافع ايمورا سيجي nemura - seij عن فكرة أنه المؤلف المتميز للكتاب، وهي أطروحة ما تزال لها حظوة لدى بعض العلماء في الصين، وبشكل أساسي لدى بايار Bayar(٦٢)، ولكن في الوقت الذي يعد فيه أن جيلغاي، هو مؤهل لأن يكون المرشح، بسبب تعايشه الطويل مع جنكيز خان كصاحب ومستشار، وقد امتلك براعة الكتابة والمقدرة على الوصول إلى الوثائق، أن يكون المرشح لهذه هو المؤلف أو المدون، من المدهش أنه وقد جاء مشاركاً مسهماً في ميثاق بالجونا، هو لم يشر على الإطلاق إلى هذه الحادثة الحاسمة والمؤثرة في روايته حول واقعة بالجونا في التاريخ السري، لاسيما ونحن نعرف من المصادر الصينية، أن القضية المذكورة، والقسم المهيب الذي جرت تأديته في تلك المناسبة، قد جرى تدوينهما بكل دقة في التاريخ الرسمي للخانات المغول شروعاً من جنكيز خان(٦٣).

٣ ــ وهناك سيغي قوتوقو Sigi Qutuqu (حوالي ١١٨٠ ــ ١٢٦٠) الذي كان الابن المتبنى من قبل جنكيز خان، وواحداً من أكثر رجاله ثقة واعتماداً(٦٤)، وهو كان من أصل تتاري شغل مراكز عليا في الإدارة وفي الجيش، وقد تمتع بحياة طويلة، وجرى تعيينه في العام ١٢٠٦ قاضياً أعلى، وكان في الوقت نفسه معهوداً إليه حفظ السجلات(٦٥) القانونية والشعبية ولذلك لابد أنه كان على معرفة بالكتابة الإيغورية، وكان هينيش Haenisch في العام ١٩٤١، أول من اقترح اسمه، على أنه مؤلف التاريخ السري، وقدم ب.راتشنيفسكي P.Ratchnevsky في العام ١٩٦٥(٦٦)، أطروحة قوية للدفاع عن ترشيحه، وفي الحقيقة إنه لأمر مستبعد تماماً، أن يكون التاريخ السري قد كتب في العام ١٢٢٨، وبما أن سيغي قوتوقو كان

عضواً في أسرة الخان، وكان شخصاً متعلماً، ومسؤولاً عن السجلات المكتوبة، وكان عارفاً بوجودها، وكان يستطيع الوصول إليها، ولاسيما إذا تذكرنا بأن التاريخ السري يحتوي على عدد كبير من الفقرات المتعلقة بالقوانين والمراسيم، وطالما أن الأمر هو هكذا، يمكن للإنسان بكل جدية عدّه المؤلف، أو المصنف، متذكرين في الوقت نفسه مسألة مهمة هي أيضاً أنه كان في ذلك الوقت عدداً قليلاً جداً – أو لم يكن هناك أحداً – من الأفراد المتعلمين في إطار أسرة الخان إلى جانب سيغي قوتوقو (وصحيح أن جينغقاي كان صديقاً قريباً من أسرة الخان، ومتعايشاً مع الخان، هو كان ما يزال غريباً)، وبناء عليه سوف يبقى سيغي قوتوقو بالفعل هو المرشح البديهي للذي قام بهذا العمل، وعلاوة على ذلك هنالك بعض البينات النصية التي تشير إليه على أنه الراوية في التاريخ السري[٢٧].

وكان الاعتراض الوحيد الذي أثير ضد هذه النظرية الجذابة من قبل و.هنغ W.Hung، الذي علق بأن سايغي قوتوقو هكان مع جنكيز خان في الحملة إلى الغرب، ولذلك من المستبعد أن يكون قد كتب باختصار شديد حول الأعوام السبعة من الحرب والدبلوماسية في المناطق البعيدة، وهذا الاختصار والطريقة الجافة، من الصعب مقارنتها مع الأقسام الأولى من الكتاب»[٢٨].

ومن الممكن بسهولة استبعاد هذا الرأي، فصحيح أن سيغي قوتوقو كان مسهماً فعالاً في الحملة الغربية، هو لربما نسي ما تعلق بها، بما أنه كان مسؤولاً عن الانتكاسات التي عانى منها المغول في آسيا الوسطى، فبعد المعركة قرب بروان Parvan عاد سيغي قوتوقو إلى عند جنكيز خان

يحتفظ مع البقية التي لا شأن لها من جيشه»[19]، ومـــن المعتقــد أن هــذه الحقيقة لوحدها وراء السبب الغريب للطريقة التي أهملــت فيهــا أخبــار الحرب في الغرب في التاريخ السري، وعلاوة على ذلك، لم يكن مؤلــف التاريخ السري مهتماً بالشعوب الأجنبية، وبحملات المغولية في الخــارج، ويشهد على ذلك المعالجة الغريبة لهم جميعاً، والأخطاء التي وردت بالفعل في أوصافه، لأن اهتمامه الأساسي كان مركزاً على القــضايا الداخليــة، وعلى الصراعات داخل قلب الأراضي المغولية[20].

ومن الممكن إثارة اعتراض آخر هو: لماذا إذا كان سيغي قوتوقو هو المؤلف أو المصنف للكتاب، هو لم يخلد في الكتابة حكاية أصله، على أنه كان واحداً من الأبناء الأربعة المتبنين لدى الأم أوالون[21]؟ ولقد أوضــح راتشنيفسكي بصورة صحيحة بأن رشيد الدين ذكر في روايته تبنيه من قبل بورته زوجة جنكيز خان، وليس من قبل أمه أوالون، وأن هذه الرواية أكثر صحة[22]، ولعل الجواب هنا هو أن سيغي قوتوقو فضل الرواية الجديــدة على الرواية المخترعة، حتى وإن تعلق الأمر بشخصه، ومما لاشك فيه أن أسطورة تبني الأم أوالون للأطفال المستهابين كانت منتشرة في أيام جنكيز خان (جرى أحكام صنعة الدافع في التاريخ السري لكي يتطور فيما بعــد) والدقة هي على العموم ليست الفضلة القوية في الحكاية ككل.

وفي مواجهة المرشحين للثلاثة الذين تقدم ذكرهم أعلاه، تقــدم هنــغ تصوره بأن المؤلف لابد أنه كان متنشأ في وسط أسرة جنكيز خان، وأنــه كان خادماً، تقدم بالسن مع الأسرة، وأنه شهد كثيراً من الوقائع، وأنه كــان قد سمع عن كثير من الوقائع الأخرى من أفواه الذين كانت لهــم علاقــة بها»، ولابد أن «هذا الشخص الذي لم يكن متعلماً قد حكــى كثيــراً مــن

قصصه، مراراً عديدة لعدد كبير من المستمعين، وكان ذلك قبل تدوينهم كتابة»، وقد اقتضى هذا «وتطلب حياة طويلة، وخلفية من الأجيال لا حصر لها من القدم البدوي، حتى أمكنه تصنيف كتابه، مع أن الكتابة لربما قد احتاجت إلى عدة أيام فقط[٧٣]، ويرغب هنغ الذي يعتقد بأن التاريخ السري قد صنف في العام ١٢٦٤، «في أن يتخيل أنه في الليالي اللطيفة من شهر آب على شاطئ نهر الكيرولين، دُعي راويتنا المسن المفترض ليروي بعضاً من حكاياته على أحفاد وأحفاد أحفاد جنكيز خان»[٧٤].

ووجدت نظرية هنغ حول الخادم العجوز، أو الرجل العارف بجنكيز، والذي تولى إعادة جمع وحكاية تاريخ أسرة الخان، وجدت من يتبعها في شخص س. جويما S.Ĉoimaa الذي اقترح في العام ١٩٩٤ الأب مونغليك كمؤلف للتاريخ السري[٧٥]، وكان مونغليك بن جاراقا من قبيلة قونغقوتات Qongqotat وكان خادماً مخلصاً ليسوغي با أتور والد جنكيز خان، وعدّ من قبل بعضهم على أنه الرجل الذي تزوجت منه أوالون بعد وفاة زوجها[٧٦]، ومثلما فعلت نظرية راتشنفسكي حول سيغي قوتوقو، استعان جويما ببعض الحجج اللغوية لتأييد قناعاته، مثل استخدام بعض النصوص للفظ الجمع (نحن) في التفوه باسم الشخص الأول.

وجرى تقديم فرضيات أخرى تعلقت بأفراد جرى تحديدهم على أنهم مرشحين محتملين[٧٧]، أو مؤلف مجهول كان عائداً إلى مجموعة ما أو فئة في البلاط المغولي، وفي هذا المجال علينا أن نذكر أطروحة كاتب غير مغولي مشهور هو إ.ن.غوميليف I.N.Gumilev، الذي توصل بعد تحليل دقيق ومستفيض لمحتويات «التاريخ السري» إلى نتيجة أن مؤلفه لابد أنه كان عضواً من حزب «المغول القدماء»، يعني من بين العناصر المحافظة

بين القيادة المولسوية، التي كان هدفها بعث القيم العسكرية المغولية التقليدية «لأيام الشجاعة القديمة»، في مواجهة العناصر الأكثر تعلماً وتقدماً (ممثلة بشكل رئيسي من قبل المستشارين غير المغول في البلاط)، هذه العناصر التي كان هدفها إقامة إدارة مدنية، واستثمار منطقي للأراضي المستولى عليها[٧٨].

وأخيراً كان بالنسبة لليغيتي Ligeti الذي انتقد بعض النظريات القديمة، بما في ذلك نظرية و.هنغ[٧٩]، ينبغي عدم عدّ المؤلف المجهول للتاريخ السري، كمؤلف وفق المنطق الحديث، بل ينبغي النظر إليه كمدون مصنف لمواد مستقاة من مصادر كثيرة متنوعة، وبما أنه وفقاً لممارسات ذلك العصر، لم تكن شخصية المؤلف مسألة مهمة، فهو لم يكن مهماً، بل هو يبقى خلف المشاهد، وفقط مع حادث ظروف سعيدة قد يظهر اسمه، وبالنسبة لقضية «التاريخ السري للمغول» علينا أيضاً أن ننتظر وقوع مثل هذه الظروف السعيدة[٨٠].

وفي الوقت الذي نتوافق به بشكل أساسي مع ليغيتي، نرى أن المرشح الأكثر احتمالاً لأن يكون مؤلف ـ أو بالحري مصنف ومؤلف ـ التاريخ السري هو سيغي قوتوقو، حيث هناك حججاً كثيرة تؤيد ذلك، وأنه كان بكل تأكيد مؤهلاً، بحكم أنه كان من حزب المحافظين القدماء حسب تسمية غوميليف، يعني أنه كان من «الحرس القديم»، وتنتقد المصادر الصينية بشدة معالجته للقضايا في شمالي الصين، ذلك أن التاريخ السري تجاهل جميع أفراد الجماعة المعارضة، مثل: يه ـ لو تسو ـ تساي yeh – la ch'u – Ts'ai، ونين هو تشنغ شان Nien – ho chung shan، الخ، ويمكن لهذا أن يوضح توجه التاريخ السري نحو القضايا الداخلية، وعدم الاهتمام

بالقضايا الخارجية، وربما أيضاً إشارة تتعلق بانتقال الحكم من خط أسرة أوكتاي إلى خط أسرة تولوي، وكان سيغي قوتوقو على عكس جيتغتاي لم يقف موقف المعاكس نحو مونكي بن تولوي، لأننا نعرف أنه نجا من أعمال التطهير التي أعقبت وصول هذا الأخير إلى العرش، بل أجيز بمنحه إقطاعية في العام ١٢٥٣، وأكد رشيد الدين أنه كان مرتبطاً ببيت تولوي، الذي كانت حصته بعد وفاة جنكيز خان أرض الأجداد في منغوليا[٨١]، وتتكلم هذه الجوانب في شخصية سيغي قوتوقو، وسيرته، مع الحجج المقنعة التي قدمها راتشنفسكي، والبينات غير المباشرة، على أن راوية التاريخ السري كان عضواً من أسرة جنكيز خان، تتكلم بقوة لصالحه[٨٢]، وإذا أردنا ـ على كل حال ـ الوصول إلى أية نتيجة قوية، يمكننا فقط أن نتقدم باقتراح، أو تخمين علمي، من دون إلغاء لبعض الشخصيات التي نوقشت أعلاه.

٤ ـ تاريخ النص

كانت النسخة التقليدية المخطوطة لنص التاريخ السري، وكذلك النسخ التالية المتعاقبة بخط الأحرف الصينية، وكذلك التي صنعت في القرن الرابع عشر، موضوع دراسة مفصلة قام بها و. هنغ، وهي قد ظهرت في العام ١٩٥١، وهي الدراسة التي تمت الإحالة عليها مراراً، وظهرت خلاصة مفيدة لدراسة هنغ، صنعها ب.إ.بانكراتوف B.I.Pankratov في العام ١٩٦٢، وظهرت خلاصة أخرى من قبل تشن تشن Chen Chin[٨٣]. في العام ١٩٨٦، ومن أجل تعليقات وثيقة الصلة، والمزيد من المعلومات حول النص بالأحرف الإيغورية، وحول نص الرواية الصينية، نحن مدينون بالفضل إلى ل. ليغيتي L.Ligeti، و: ف.و.كليفس

Cleaves[٨٤]، وجرى إعداد جدول تأريخي، وتراجم حياة شخصيات التاريخ السري من قبل جي. آر. كروغر J.R Krueger، وجرى نشر ذلك في العام[٨٥] ١٩٧٢.

وفقاً إلى الخطوط العامة للنص التأريخي للتاريخ السري، تأسست بشكل رئيسي على الإسهامات المذكورة أعلاه، ولكن مع عدد من الإحالات الحاسمة بين هذا وإنه بسبب القراءات الكثيرة في معرفتنا، حول ما تعلق بالمدة المبكرة (القرون ١٣ إلى ١٤)، ما تزال عملية إعادة البناء كما هي في الوقت الحاضر حدسية إلى حد كبير.

وكانت النسخة المنقحة الأولى من التاريخ السري بأحرف الكتابة الإيغورية، ومن المؤكد تقريباً أن المخطوط كان لا يمتلك عنواناً رسمياً، وحمل السطر الافتتاحي عبارة «أصل جنكيز خان»، وهو فقط يصف محتويات القسم الأول من الكتاب المتعلق بالنسب، وهو بهذا خدم من أجل تعيين بقية محتوى الكتاب، وهذه طريقة كلاسيكية صرفة، وهذه الممارسة معروفة تماماً في الغرب، نشهدها في الفقرة الافتتاحية «الإنجيل حسب رواية متى[٨٦]»، وعلاوة على هذا لم تتطلب ملحمتنا التاريخية عنواناً ملائماً لأنها لم تكتب لتنشر ككتاب، بل نظمت فقط من أجل أعضاء العشيرة الإمبراطورية[٨٧].

ونمثل كلمات نسب جنكيز قاآن العبارة الافتتاحية للتاريخ السري، المكتوبة في القرن الرابع عشر، بالخط الإيغوري، ونص هذه العبارة: «نسب جنكيز قاآن»، وبما أن جنكيز خان لم يحمل أبداً لقب قاآن (حيث كان ابنه أوكتاي وخليفته أول من تبناه)، بل لقب خان، لابد على هذا أن العبارة الافتتاحية كانت «نسب جنكيز خان»[٨٨].

وفي الافتراض بأن الكلمات الافتتاحية هي هكذا، فهذا يعني أنهم نحوياً غير مرتبطين مع الكلمات التي تبعتهم في الفقرة الأولى من التاريخ السري، وبناء عليه إنني من خلال شكل صيغة عنوان الكتاب أنا على اتفاق مع أسلافي: ناكا Naka، وبوبي Poppe، وموستارت Mostaert، وليغيتي Ligeti، وموراكامي Murakami، وكليفس Cleaves، وايرينجين Irincin، وهناك ــ على كل حال ــ كتلة من الآراء لا توافق على الافتراضين، وترى عوضاً عن ذلك بأن الكلمات موضوع السؤال هي مرتبطة بشكل منطقي مع الجملة، وهن في الحقيقة موضوعها.

ولسوء الحظ ليس لدينا معلومات عن مصير المخطوط، خلال عدة عقود من الزمن، مرت ما بين الوقت الذي اكتمل فيه الكتاب في كوباي أرال، وبداية حكم أسرة منغ Ming في الصين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، والذي نعرفه هو:

١ ــ أن عدداً من النسخ بقيت بعد الهياج الذي ترافق مع نهاية حكم أسرة يوان (أسرة قبلاي حفيد جنكيز خان).

٢ ــ تعرض النص خلال أعمال النسخ والنقل إلى بعض التعديلات، وكان من المفترض أن نص «نسب جنكيز خان» (الأصيل أو نسخ عنه) كان محفوظاً في الأرشيف الإمبراطوري، خلال مدة حكم أسرة يوان، ولكن من الممكن أن عملية تحقيق النص قد بدأت في أيام حكم مونكي خان (١٢٥١ ــ ١٢٥٩)، أو لربما أبكر من ذلك، ومعنى هذا وجود نص متوسط ــ لربما واحداً بين عدة ــ كان محفوظاً في ألتان توبجي Altan Tobji (المختصر الذهبي) ولقد حدث ــ على كل حال ــ أنه خلال الحكم الطويل لقبلاي [١٢٦٠ ــ ١٢٩٤] بدأ البحث في التاريخ المبكر للمغول، الذي منه

كان البيت الحاكم، حيث تأسست إدارة رسمية من أجل ذلك[٩٠]، وأسهم علماء مغول وصينيون في العمل في المشروع من أمثال سارمان (ت ١٢٨٨) ووانغ [١١٩٠ ــ ١٢٧٣][٩١].

وفي سبيل تدوين وتصنيف تاريخ للحكام الماضين، جمع الباحثون الرسميون في إدارة التاريخ الوطني جميع المصادر المكتوبة المتوفرة، وأعدوا (حوالي عام ١٢٩٠) مسودات في المغولية، وحفظت هذه المسودات بشكل صحيح وترجمت إلى الصينية، ويرجح أن هذه الأعمال لم تعش بعد سقوط أسرة يوان[٩٢].

وفي الوقت الذي كانت فيه هذه النشاطات التأريخية جارية في القسم الأخير من حكم قبلاي وخلفائه، تعرض نص نسب جنكيز خان إلى تغييرات متعددة على أيدي محررين غير معروفين، رأوا من المناسب «تحسين» النص الأصيل في الأجواء السياسية الجديدة، وجرى تنفيذ هذه التعديلات بصورة مستقلة عن أعمال إدارة التاريخ الوطني، وتألفت هذه التعديلات بشكل رئيسي من:

١ ــ إدخال مادة جديدة، بما في ذلك نصوص أثيرة لدى بيت تولوي، الذي انتمى إليه قبلاي أيضاً[٩٣].

٢ ــ شطب الإشارات إلى وقائع وشخصيات لم تعد مقبولة، مثل الذي تعلق بالمستشار السالف جينغقاي[٩٤].

٣ ــ تبديل الألقاب لمنحها كتشريف للأجداد الإمبراطوريين الأموات، مثل تبديل لقب «خان» بلقب قاآن بالنسبة: لقابول خان، وأمباقاي خان، وييسوغي خان، وجنكيز خان[٩٥]، الخ، وفي التدخل المتطفل في النص، من

المحتمل أن المراجعين غيروا أيضاً نظام المواد الموجودة، وتعلق الأمـر ببعض الفراغات، وبالبناء الداخلي(٩٦).

ومن المحتمل أن أعمال إعادة النظر بالنص جرت بالتدريج، ولـدى دراسة طبيعة العمل، نجد أن ذلك كله قام به موظفون مغول رسميون، أو ـ كما هو مرجح ـ جرى بوساطة أفراد مـن العشيرة الإمبراطوريـة ورجال البلاط(٩٧)، ولا يمكن للإنسان ذكر أي أثر تاريخي صيني أو نفوذ صيني في النص نفسه، ومع أنه من الصعب تحديد تاريخ لعملية مراجعـه النص، فإن معظم التغييرات نفذت خلال حكم قبلاي، عندما اهـتم الـبلاط المغولي بفاعلية بالسجلات التاريخية.

ويختلف النص المراجع الذي من الممكن تسميته الآن «نسب جنكيـز قاآن» عن النص الذي حمل اسم «نسب جنكيز خـان» فـي كثيـر مـن الجوانب، وهي حقيقة تأكدت بالمقارنة مع الـنص المحفـوظ فـي ألتـان توبجي(٩٨).

وكما تقدم الذكر من قبل حول المصادر الـشفوية والمكتوبـة حـول الحكومات الماضية، التي جمعت في وقتها، هناك رواية بين هؤلاء حـول حكم أوكتاي، صنفت حسب نمط وأسلوب نسب جنكيز خان، وكتكملة لـه، ويرجح أن هذا العمل لم يكتمل على الإطلاق، أو أنه وصل إلى أرشـيف بلاط قبلاي في حاله تلفت، وذلك بسبب الـصراع بـين بيتـي أوكتـاي وتولوي، خلال العقدين الزمانيين الماضيين، وحول وجود هذا النص نحن متأكدون، بسبب القسم المتبقي حول حكم أوكتاي في التاريخ السري، هـذا وخضعت جميع السجلات المغولية إلى تغييرات وأعمال تحرير، ويمكـن العثور على دليل حول ذلك، حول ما جاء بشأن الدخول إلى كوريا، الـذي

أقحم في النص اعتباطياً، وبشكل غير صحيح، وذلك فـــي الفقـــرة ٢٧٤، المتعلقة بأوكتاي[٩٩].

ويشير البحث الذي أجراه و.هنغ حول تاريخ المخطوطات المغولية من التاريخ السري[١٠٠] إلى أنه منذ الجزء الأخير من حكم قبلاي فصاعداً، انشغل الموظفون المغول والصينيون في العمل في عدة مشاريع تاريخية[١٠١]، وأن الريبة التي سادت في البلاط المغولي وبين الرسميين المغول، والشكوك نحو الموظفين الصينيين، أثرت على العمل التاريخي[١٠٢]، ويوضح هذا إدخال نظام المراجعة ثم إعادة المراجعة والمقابلة، للنصوص المحررة التي احتاجت إلى ترجمات متكررة ومتعددة، وصار بالإمكان ترجمة بعض النصوص إلى الصينية من قبل موظفين صينيين، كما صار بالإمكان نقل النصوص الصينية إلى المغولية بالأحرف الايغورية، وفيما يتعلق بسجلات الحكام الأوائل، توجب النقل من المغولية إلى الصينية، ولكن بالنسبة للسجلات المتأخرة شروعاً من حكم قبلاي، صار العكس هو الصحيح.

وفيما يتعلق بنسب جنكيز خان، جرى استخدام الرواية حول أوكتـــاي مع السجلات التي توفرت حول الإمبراطور الثاني، في «التـــاريخ»، ثـــم أعيدت هذه السجلات لتخزن على رفوف الأرشيف[١٠٤]، والذي نعرفـــه أن «التاريخ» عدّ كوثيقة «في غاية السرية»، ممنوع الوصول إليها إلا بموجب إذن رسمي، ومن دون شك أن الشيء نفسه جرى تطبيقه «علـــى نـــسب جنكيز خان»[١٠٥].

وفي آذار عام ١٣٦٩، جرى مباشرة بعد سقوط أسرة يـــوان تـــشكيل لجنة مؤلفة من ثمانية عشر مؤرخاً من كلية الآداب، برئاســـة ســـنغ لـــين

Sung Lien (١٣١٠ ــ ١٣٨١)، وقد بدأت بشكل جاد كتابة تاريخ رسمي لأسرة يوان السالفة[١٠٦]، وكان من بين الوثائق التي أخرجت من الأرشيف السري في المكتبة الإمبراطورية، السجلات السرية، التي كان الرئيسي بينها سجلات ثلاثة عشر حكماً[١٠٧]، حيث كان هناك ما لا يقل عن نسختين حول «نسب جنكيز خان»، وملحق بهما رواية مختصرة حول أوكتاي، ولسوء الحظ أن المؤرخين لم يستخدموا أياً من المصدرين، بسبب تعجلهم في إنهاء التاريخ الرسمي لأسرة يوان، وهو عمل أكملوه خلال سنة ونيف[١٠٨] (في تموز عام ١٣٧٠).

وجذبت في الأعوام التالية، هذه الوثائق غير العادية اهتمام العلماء المغول والصينيين في كلية الآداب، وبعد ما ألحقوا القسم المتعلق بأوكتاي «بنسب جنكيز قاآن»، نقلوا كلمات نهاية المخطوط الأصيل إلى نهاية النص المتقدم، وصنعوا نصاً مختصراً حراً بالصينية لجميع النص، مستخدمين النسخ المكتوبة بالخط الإيغوري[١٠٩]، ونتيجة لذلك هم أعدوا رسماً للكلمات بين الأسطر، مع نقل لكل كلمة إثر أخرى وترجمة إلى الصينية[١١٠]، ويظهر أن العملية الثانية جرى تنفيذها اعتماداً على نسخة مخطوطة أخرى (أو على واحدة من النسخ الأخرى)، بما أن هناك فوارق كثيرة صغيرة بين نص المختصر الحر، والنص الذي ورد ما بين الأسطر، مع تقدير للخلافات المتعلقة بكل من رسم أسماء الأشخاص، وأسماء المواقع الجغرافية، وفي تحويل الكلمات كما ورد ذكر ذلك لدى: بيليوت، وكليفيس، وموستارت[١١١]، ووفقاً لما ذهب إليه هنغ من الممكن عزو مثل هذه الخلافات إلى حقيقتين:

١ ــ أن أكثر من مترجم عمل على أجزاء مختلفة من النص.

٢ ـ قد عمل مترجمون متنوعون على إقحام ما بين الأسطر، والترجمة الحرة للفقرة نفسها من النص[١١٢]، ومع هذا الوقت أعيد تسمية الوثائق التي عثر عليها في أرشيف بلاط يوان، والتي افتقرت إلى اسم خاص بها، فصار اسمها « التاريخ السري ليوان »، وباسم «التاريخ السري للمغول» في منغوليا وهذا العنوان الأخير مجرد عنوان مكافئ مغولي للعنوان الصيني[١١٣].

وعندما في منتصف مدة حكم هنغ ـ وو Hung – Wu (١٣٦٨ ـ ١٣٩٨) قررت حكومة منغ Ming تدريب التلاميذ الصينيين ليكونوا مترجمين في تعاملهم مع جيرانهم المتعبين على الحدود الشمالية، أعدّت كلية الآداب مسرداً أساسياً للكلمات الصعبة الصينية ـ المغولية، مع الكلمات المغولية وقد كتبت حسب لفظها، وتبع ذلك قراءة تألفت من اثنتي عشرة وثيقة رسمية في المغولية، مع وجود ترجمة مكتوبة بين الأسطر بالصينية، وأيضاً مع امتلاك الوثائق الخمس الأولى تمت ترجمة جزئية مختصرة إلى الصينية، ونشر هذا العمل في العام ١٣٨٩، تحت عنوان «مفردات صينية ـ مغولية»[١١٤]، وكان هدف المصنفين الذين ذكرت أسماؤهم، تمكين المستخدمين لهذا الكتيب (الذي تألف من ٨٤ ورقة فقط) من التحدث بالمغولية، ولكن ليس الكتابة، ولم يتم الآن استخدام الكتابة الإيغورية، وكانت اللغة الصينية التي استخدمت في معجم هذه المفردات، هي التي عرفت باسم «عامية يوان»، يعني لهجة شمالي الصين للقرنين الثالث عشر والرابع عشر، وهي التي استخدمت كلغة صينية «رسمية» خلال العصر المغولي[١١٥]، وتظهر حقيقة أن النص الصيني الحر، والترجمة تحت الأسطر «للتاريخ السري للمغول» التي كانت أيضاً

بالعامية، إن نظام نسخ الكلمات المغولية بأحرف صينية قد ترافق مع مسرد للكلمات الصعبة بالصينية، مثل ذلك الذي استخدم في مسرد عام ١٣٨٩، تظهر من دون أي شك أن العلماء في كلية الآداب، عندما تولوا القيام بالعمل المعقد في ترجمة، وفي نسخ «التاريخ السري للمغول» مع إضافة مسرد صيني بالكلمات الصعبة، أنهم في العقد الأول من عصر هنغ ـ وو، فعلوا ذلك أيضاً مع هدف محدد في الذهن، ومهم أننا نجد في مرسوم عام ١٣٨٢، الذي حول صنع النص الصيني الحر، قد ذكر بالتحديد بأن باستطاعة المصنفين العودة إلى «التاريخ السري للمغول» من أجل[١١٦] التوثيق وهذا يعني بالطبع بأن تاريخ نص «التاريخ السري» كان متوفراً في الترجمة وفي الكتابة.

وعند إكمال النص الصيني الحر، أو لربما أثناء إكمال هذا «الكتاب اليدوي»، وقرر واحد ما في كلية الآداب استخدام جميع نص «التاريخ السري ليوان» يعني الترجمة للتكملة الحرة مع النص المغولي الذي كان قيد الإعداد، ليقدم:

١ ـ مصدراً إضافياً غنياً بالمادة اللغوية من أجل المترجمين المستقبليين، وفي الوقت نفسه.

٢ ـ مخزناً من المعلومات المتنوعة حول عادات المغول وأعرافهم، فقد كان العلماء في كلية الآداب آنذاك على معرفة جيدة «بالتاريخ السري ليوان»، بخط النسخ الذي كان في أذهانهم من أجل الكلمات التي أرادوا إدخالها في المعجم الصيني المغولي.

وتبيّن أثناء تنفيذ هذا المشروع أن بعض التحسينات في أعمال التحرير، هي ضرورية، واعتماداً على الخبرة التي تم الحصول عليها في

إعداد «المسرد الأساسي»، وشملت هذه التحسينات بشكل رئيسي تقسيم النص إلى فقرات (٢٨٢ فقرة)، حيث حوت كل فقرة عدداً مختلفاً من الأسطر، وتناول هذا النص المغولي المنسوخ مع الشروح بين الأسطر، وقد تبع هذا ترجمة حرة إلى الصينية، ووفق هذه الطريقة جرى تقسيم النص الأخير ــ الترجمة ــ إلى العدد نفسه من الفقرات المختصرة، تقليداً للنظام الذي جرى اتباعه في «المسرد الأساسي(١١٧)».

وجرى تطوير نظام النسخ الصوتي، يعني استخدام الأحرف الصينية لتقديم الأصوات المغولية عن طريق إدخال بعض الإبداعات المقوية للذاكرة، جاعلين النص بذلك نصاً مبتكراً، وأكثر صقلاً من «المسرد الأساسي(١١٨)».

وجرى أخيراً تقسيم النص إلى اثني عشر فصلاً، وذلك اتباعاً للممارسات الصينية في تقسيم الكتب إلى فصول، وفي القضية الحالية، لم يطلق المحررون على الفصلين الأخيرين اسم فصلين كما كنا نتوقع، بل أطلقوا عليهما اسم «مواد مكملة أي ملحق»، وشكلت الفصول العشرة الأولى الجزء الأساسي من الكتاب (الفقرات: ١ ــ ٢٤٦)، وهي تعلقت بحياة أجداد جنكيز خان، وبحياته وسيرة أعماله في منغوليا، في حين غطى الفصلان الملحقان حملاته الأجنبية، وموته، وكذلك رواية موجزة حول أوكتاي (٢٤٧ ــ ٢٨١)، وكان الدافع وراء تقسيم الكتاب إلى اثني عشر فصلاً رغبة المصنفين، أو مقصدهم بتقسيم الكتاب إلى فصول متساوية تقريباً بالطول يعني قرابة الخمسين ورقة لكل فصل (٤٩+ ٥١+ ٥١+ ٥١+ ٥٤+ ٥٠+ ٤٩+ ٤٩+ ٥٢+ ٥٦ = ٦٠٨ أوراق)، وجاء تقسيم النص إلى ٢٨٢ فقرة عرفياً صرفاً، مثلما تحدث عملية الترقيم في الغالب،

وعلاوة على ذلك جرى تقسيم بعض الفقرات إعتباطياً، في منتصف الجملة، بحيث تصبح بقية الجملة عائدة إلى الفقرة التالية، وأنا أتوقع بأنه في بعض الأوقات، تاه العلماء الصينيون والمغول، وضللوا بوساطة ترقيم المخطوطة المغولية، ذلك أن استخدام علامات الترقيم في الوثائق المغولية المبكرة، المكتوبة بالخط الايغوري، كانت كما هو معروف غير نظامية ولا يمكن الاعتماد عليها[119]، ومع هذا يبقى ذلك مجرد تخمين.

وينبغي التأكيد على أنه بما أن هدف المحررين كان بالأساس لغوياً، هم لم يتدخلوا في النص نفسه، ولا في محتويات الكتاب، وهم تجاهلوا تماماً مشاكل التأريخ، والتناقضات الداخلية، والدقة التاريخية، وكانوا من جهة أخرى دقيقين جداً في أداء العمل الذي عهد به إليهم، بما أن الدقة في النسخ وفي الترجمة كانت لها قيمة عالية، وأهمية عظيمة، وكانوا إذا لم يفهموا المعنى الدقيق لكلمة من الكلمات، أو كانوا غير متأكدين من دقة المعنى، كانوا يتركونها من دون ترجمة، وإذا كان هناك فراغ بديهي في النص، يكون مكانه بياضاً، ونحن لا نعرف إلى أي مدى حسنوا الترجمة فيما بين الأسطر، يعني المسرد الصيني للكلمات الصعبة، وزادوا على عمل أسلافهم، ولكن فيما يتعلق «بالمسرد الأساسي»، فإن النقل دائماً صحيح تقريباً، وهم لم يكونوا — على كل حال — مغرمين بزيادة وضع النقاط والفواصل، وهم لم يروا (محقين) ضرورة نقل الكلمة المغولية واستبدالها بالكلمة الصينية نفسها، وفي الحقيقة هم غالباً ما استخدموا المرادفات، واقترفوا في بعض الأحيان أخطاء في النسخ، وفي المسارد، ولكن هؤلاء الأخطاء عددهم قليل، ويمكن تحديدهم بسهولة.

وبما أن الترجمة المختصرة الحرة نفذت بالأصل مستقلة عن النسخ والترجمة، فبالإضافة إلى الفوارق التي أشير إليها في النسخ، وفي رسم

أسماء الأفراد والأسماء الجغرافية، هناك أيضاً فوارق، وهناك أيضاً فوارق في الألفاظ بين ترجمة ما بين الأسطر، ومختصرات الفقرات، ومثلما هو الحال في «المسرد الأساسي»، لم يبذل أي جهد لحفظ النص الذي كتب بالايغورية، ذلك أن هذا العمل الذي أكمل بنجاح أهمل، وفي النهاية ضاع.

ونحن لا نعرف بالتأكيد متى اكتمل هذا العمل، ولكننا نعرف أنه:

١ ــ طبع بكل تأكيد، ومع أنه لم يظهر بعد مثال كامل من الكتاب نحن نمتلك شهادة علماء المنغ، وكذلك إحدى وأربعين ورقة من النشرة المطبوعة، قد اكتشفت في قصر بكين عام ١٩٣٣، مع قطع مطبوعة من «المسرد الأساسي» و:

٢ ــ كما ظهر من هذه الأوراق، كان عنوان العمل ما يزال «التاريخ السري ليوان»، كما أن معادله المغولي قد نسخ لفظياً تحت العنوان الصيني، وهو «التاريخ السري للمغول»[١٢٠].

وعندما جرى تصنيف موسوعة المنغ «ينغ ــ لوتا ــ تين Yung – Lo ta – Ten» العملاقة (١٤٠٣ ــ ١٤٠٨)، ساد اعتقاد أنه من المناسب أيضاً أن يدخل فيها نص «التاريخ السري ليوان» تحت عنوان مادة: يوان Yuan، وفي البداية صنعت نسخة دقيقة من الترجمة المختصرة في العام ١٤٠٤، مع تغيير العنوان ليكون «التاريخ السري لأسرة يوان»، ثم قرر محررو الموسوعة، إدخال النص منسوخاً بشكل كامل، وتقسيم المحتوى إلى خمسة عشر فصلاً، جاءت من[١٢١] الفصل ٥١٧٩ إلى الفصل ٥١٩٣. وقدمت هذه التغييرات في التحرير نصاً هو نفسه بشكل دقيق، اللهم باستثناء بعض الخلافات البسيطة، مع شكل مختلف وتبديل بالعنوان، وعدد الفصول، ويمكن لتغيير العنوان أن يساعدنا على التحديد التقريبي لتاريخ

طباعة «التاريخ السري ليوان» في اثني عشر فصلاً، فنحن نعرف أن «المسرد الأساسي» قد نشر في العام ١٣٨٩، أو كما هو مرجح في العام ١٣٩٠، بسبب أن تاريخ التوطئة يتوافق مع ٣ ــ تشرين الثاني[١٢٢] عام ١٣٨٩، وكما أشار هنغ، لا يستطيع قارئ «التاريخ السري ليوان» مع نظامه المعقول في النسخ، الوصول إلى انطباع بأنه خرج إلى الوجود بعد وقت قصير[١٢٣] من عام ١٣٨٩، فنحن نعرف أن العمل في إعداده للطباعة والتصنيف احتاج إلى سبعة أعوام على[١٢٤] الأقل، وبناء عليه يمكن للإنسان أن يفترض أن الإجراءات استهلكت المزيد من الأعوام ولاسيما وأن العمل لم يكن ملحاً، بسبب أن «المسرد الأساسي» كان قد نشر لتوه، وأنا أشك في أن يكون قد اكتمل وطبع قبل النصف الثاني من تسعينات القرن الرابع عشر، وتقترح المواد القليلة المتوفرة تاريخاً هو بالحري متأخراً.

فأولاً تحمل القطع التي اكتشفنا في العام ١٩٣٣ تشابهاً مدهشاً وتطابقاً مع الإحدى والأربعين ورقة للمطبوعة من «تاريخ يوان، وهناك تطابق مع توقيع ما لا يقل عن اثنين من الذين أعدوا ألواح الطباعة، مما يدل على أن النصين قد طبعاً من قبل الفريق نفسه من العمال[١٢٥]، ولكن ــ على كل حال ــ كما أظهر هنغ إن القطع المكتشفة في القصر الإمبراطوري، تعود إلى طبعة ثانية للكتاب[١٢٦]، إنما من المشكوك به توفر الحاجة إلى طبعة ثانية للنص خلال عشرة أعوام بعد الأولى.

وثانياً: نحن نرى في الأعوام الأولى من حكم يونغ ــ لو، يعني في المدة ١٤٠٣ ــ ١٤٠٥ تحسن في العلاقات ــ وإن كانت مؤقتة ــ بين بلاط المنغ والمغول اليوريانغقاي Uriangqai في الشمال، حيث جرى تبادل لسفارات الصداقة بين الطرفين، مع أسواق منتظمة، وتأسيس قوانين جديدة

من أجل التجارة ـ معارض الخيل المشهورة ـ، وتقديم الجزية[127]، الخ، فقد كانت الأجواء مناسبة تماماً من أجل التحريك السماسي، والارتقاء بوسائل لتحسين الاتصالات والعلاقات مع المغول، بوساطة نشر بعض نصوص الكتب المؤلفة باللغة المغولية، وبالغ الأهمية أن نشر الطبعة الأولى من «المسرد الأساسي» في العام ١٣٨٩، توافق مع خضوع مجموعة مهمة من القبائل المغولية لبلاط المنغ، وكانت هذه حقيقة حاسمة في السياسة الصينية لذلك الوقت[128].

ثالثاً: كما سلف ورأينا، حدث في العام ١٤٠٤، أن الترجمة الحرة من «تاريخ يوان السري» قد نسخت لإدخالها في موسوعة المنغ الكبيرة، ومن بعد ذلك النص المنسوخ، الذي نسخ بشكل صحيح، وأدخل على الفور بعد ذلك.

رابعاً: جرى تغيير العنوان إلى «التاريخ السري ليوان»؛ ولولا أن الترجمة الحرة لتاريخ يوان لم تكن مطبوعة، مع عنوانها، وربما تقسيماتها إلى فصول، لكان من المرجح أنها تواءمت مع الذي جرى تبنيه من قبل لجنة موسوعة ينغ ـ لو ـ تا ـ تين، وبناء عليه ما لم تكن عملية تجهيز ألواح الطباعة كانت قد تقدمت كثيراً جداً مع حوالي العام ١٤٠٥، لتجعل من الممكن صنع أي تغيير في العنوان، وفي بنية شكل الكتاب، فإن الترجمة الحرة كانت من شبه المؤكد طبعت ونشرت قبل نسخ «التاريخ السري ليوان» فيما بين الأعوام ١٤٠٥ و١٤٠٨، وبناء عليه أنا سوف أقترح كتاريخ مبدأي من أجل نشر كل من الترجمة الحرة، والمسرد الأساسي في المدة ما بين ١٤٠٣ و١٤٠٥[129]، ولابد لي من التأكيد على أنه بما أن ما من نموذج من الطبعة المنشورة قد بقي، وحيث أن الأوراق

الإحدى والأربعين هي أوراق الفصل الأول أو الفصل الأخير، تبقى المناقشة قائمة على الاستنتاج بشكل كامل.

وبناء عليه يمكننا أن نفترض أنه مع العام ١٤٠٨، وجود ثلاثة نصوص من «التاريخ السري ليوان»: (أ) النص المطبوع في اثني عشر (١٠+٢) فصلاً، و(ب) النسخة المخطوطة العائدة لنشرة الموسوعة في خمسة عشر فصلاً، و(ج) المخطوطة التي نسخت أصلاً للجنة الموسوعة (في العام ١٤٠٤) من الترجمة الحرة المختصرة، والتي كانت أيضاً في خمسة عشر فصلاً، ولابد أيضاً أن نسخاً مخطوطة مبكرة من النص الحر، ومن النص المنسوخ، وربما أيضاً النص الذي كان بالخط الايغوري، أنها كانت ما تزال موجودة، ولكن مصيرها ليس معروفاً[١٣٠].

وجميع المخطوطات المتأخرة والنشرات المطبوعة من النص المنسوخ، أي من «تاريخنا السري»، انبثقت عن «أ» و«ب» وجميع المخطوطات، والطبعات المنشورة من الترجمة المختصرة الحرة، قد انبثقت عن «ج»، وفي الوقت الذي لا يوجد فيه نموذج من «أ» (باستثناء الإحدى والأربعين ورقة) و«ب» قد بقي، إنها لشبه معجزة أن «ج» قد حفظت» (انظر أدناه).

وهناك قراءات كثيرة ومتنوعة في «أ» و«ب» وضعت في لائحة ونشرت من قبل إ. هاينيش[١٣١] E.Haenisth، وعلى الأغلب كان مرد الاختلافات إلى أخطاء النساخ، وهذا ليس أمراً مدهشاً، بما أنهم موجودين في النسخ المخطوطة المتأخرة من «أ» و«ب»، وكذلك في النشرات المطبوعة حديثاً، التي اعتمدت على هذه النسخ[١٣٢]، ووقعت بعض الأخطاء في أحد النصوص المنسوخة (من «أ» و«ب») فقط[١٣٣]،

ويقودنا هذا إلى الاعتقاد أن نساخ الموسوعة قد أخطأوا أحياناً في نسخ نص صعب[١٣٤]، وكان تحت تصرف محرري موسوعة المنغ، بالإضافة إلى النص المطبوع نسخة خطية جيدة من «تاريخ يوان» من أجل العودة إليها للضبط، وهي التي استخدموها في بعض التصويبات للنسخة «أ».

وفيما يتعلق بنهاية المخطوط، بما أن جميع المخطوطات التي انبثقت عن «أ» و«ب» هي ذات نص واحد[١٣٥]، فإن الفراغات الموجودة فيها، لابد أنها تعود إلى مخطوطة (أو مخطوطات) «نسب جنكيز قاآن» التي استخدمت من قبل المؤرخين المبكرين لأسرة منغ، وهي لم تقع في النص الصيني المنقول، والمنسوخ كمختصر من قبل موستارت[١٣٦] Mostaert.

وأنا أعتقد أنه بات واضحاً مما ورد أعلاه أن تاريخ نص «التاريخ السري» في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، معتمد إلى أبعد الحدود على الاستدلال المدعوم بقليل ـ نسبياً ـ من الحقائق المقررة، ويمكن للصورة أن تتغير بشكل كبير باكتشاف مادة جديدة[١٣٧]، وبالمقارنة إن تاريخ النص ـ المحدد كثيراً بنسخ «أ» و«ب» و«ج» ـ خلال عصري المنغ، والتشنغ ch'ing، هو موثق بشكل جيد، ويمكن الآن بفضل البحث الدقيق الذي أجراه: و.هنغ، من الممكن تتبع هذا التاريخ خطوة خطوة، وإنه ـ على كل حال ـ على ضوء تعقيدات النص بسبب كتلة المواد المتوفرة، ليس من الضروري أن نصف «قرابات نسب» النص هنا بالتفصيل، لاسيما وأن مقال هنغ يمكن الوصول إليه بسهولة، وبناء عليه أنا سوف أختصر هنا محصلاته فيما يتعلق بنسب «أ» و«ب» و«ج» كما يلي:

أ ـ كان ما يزال هناك على الأقل موجوداً نموذجاً خطياً واحداً في الصين، في أواخر القرن الثامن عشر، حيث امتلك شين تي ـ يو Chin

Te-Yu (ت: ١٨٠٠) نموذجاً خطياً لم يكن كاملاً من «أ» ولمتلك تشانغ هسيانغ ـ يـون Chang Hsiang-Yun (ت: ١٧٩٩ ـ ١٨٠٦) نسخة جديدة مصورة، وبدوره امتلك كو كوانغ ـ تشي Ku Kuang-Ch'i (١٧٧٦ ـ ١٨٣٥) نسخة مصورة جيدة عن نسخة تشانغ عملت في العام ١٨٠٥، بعد ضبطها على النموذج الخطي لتشين، وعرفت نسخة كو باسم «النص المجاز»[١٣٨].

وبعدما انتقلت نسخة كو المجازة إلى ملكية عدة أشخاص، آلت إلى ملكية العالم المانشوي Manchu شينغ ـ يو Sheng-yu (١٨٥٠ ـ ١٩٠٠)، ومن بعد ذلك حصلت عليها شركة الطباعة التجارية لشنغهاي، التي أعادت إخراجها بالتصوير، ونشرتها في العام ١٩٣٦، في السلسلة الثالثة من الـ sptk، وحوت هذه الطبعة الإحدى والأربعين ورقة، التي اكتشفت في العام ١٩٣٣، وعدت الطبعة الحديثة الأفضل (Y^2)[١٣٩].

وكانت هناك نسخة مصورة من «نسخة كو المجازة» بحوزة: وين تينغ ـ شيه Wen T'ing-Shih (١٨٥٦ ـ ١٩٠٤) قد حصل عليها ييه تـي ـ هو Yeh Te-Hui (١٨٦٤ ـ ١٩٢٧)، وقد قام هذا بطباعتها ونشرها في العام ١٩٠٨ (Y^1).

وأعيد إخراج كل من Y^1 وY^2 بالتصوير في YSC، ٣١١ ـ ٦٢١ و٢ ـ ٣١٠، كل على حده.

واستخدمت Y^1 من قبل شيراتوري كوراكيشي shiratori kurakichi بالتزامن مع Y^2 من أجل طبعته (مع تصحيحات، ونسخ للنص المغولي بالأحرف اللاتينية) في العام ١٩٤٢[١٤٠].

وعندما عمل تينغ ــ شيه Ting-Shih من نسخته نسخة عن نسخة كو المجازة، لصالح نياتو توراجيرو Naito Torajiro في العام ١٩٠٢، أعيد نسخ هذه النسخة بدورها على الفور لصالح ناكاميشيو Nakamichiyo، الذي ظهرت ترجمته المشروحة في طوكيو عام ١٩٠٧ (N^1)[١٤١].

وهناك نسخة خطية كانت من قبل ملكاً لـ: ب. بيليوت P.Pelliot، هي الآن في المكتبة الوطنية في باريس (Y^4)، وهذه النسخة لم تدرس من قبل هنغ، وهي تستحق الاهتمام حيث يظهر أنها نسخة عن نسخة كو المجازة، عورضت على نسخة ب، أو على نسخة من ب، مع أنها وضعها في النسخ المنسوبة ليس واضحاً[١٤٢].

ب ــ وكان النص الأصيل قد ضاع، لربما في أثناء حرب الملاكمين، وتدمير كلية الآداب في بكين في العام ١٩٠٠[١٤٣].

وكانت هنالك نسخة مخطوطة من «ب» في حوزة تشين تاهسين Ch'ien Tahsin (١٧٢٨ ــ ١٨٠٤).

كما وكانت هنالك نسخة أخرى خطية، لربما نسخة عن المخطوطة المتقدم ذكرها، عائدة إلى ملكية باو تينغ ــ بو Pao T'ing-Po (١٧٢٨ ــ ١٨١٤)، وهذه جلبت أخيراً من قبل الأرشمندريت بالادي Palladii (ب.آي.كافاروف P.I.Kafarov ١٨١٧ ــ ١٨٧٨) في العام ١٨٧٢، وقد نسخها وترجمها إلى الروسية[١٤٤]، وجرى تحقيق نسخة مصورة عن هذه النسخة من قبل ب.آي.بانكراتوف B.I.Pankratov (١٨٩٢ ــ ١٩٧٩)، ومن ثم نشرها في موسكو في العام ١٩٦٢ (Y^3)، كما[١٤٥] أعيد إخراجها في YSC، ٦٢٣ ــ ٨٧١.

وهناك نسخة مختصرة من قطع المختصرات، استخدمت شخصياً من

قبل تشانغ مو Chang Mu (١٨٠٥ ــ ١٨٤٩)، وقد عورضت من قبله في العام ١٨٤٧ على نسخة كانت من قبل عائدة بملكيتها باو تينغ ــ بو Pao T'ing-po، وقد نشرت في العام التالي فـي الـــ Lien-yan-i-ts'ung-shu (Y³).[146]

وأغنيت طبعة «مو» التي كانت مؤلفة من ١٥ ورقة بحواشي وشروح من قبل لي وين ــ تين Li Wen – Tien (١٨٣٤ ــ ١٨٩٥)، ونشرت بعد وفاته في العام ١٨٩٦، مع هوامش من إعداد وين تينغ ــ شيه Wen'ting – Shih (yc).[147]

ومع أن دراسة هنغ غطت معظم الحقائق المتعلقة بتاريخ «ب»، وأما بالنسبة لقضية «أ» لم تكن بعض المعلومات متوفرة له في ذلــك الوقــت، وفيما يخص معلوماتنا عن الموضوع حتى الوقت الحالي، نحن لــدينا الآن المقال الرائع الذي أعده م.توبي M.Toube حول مخطوطــة بــالاديوس، والاسهامات المهمة لهارايام أكيرا Harayama Akira حــول مخطــوطتي لوهسين يوان، وبالاديوس، بما في ذلك قائمة كاملة للقــراءات المتنوعــة لهذين النصين.[148]

ج ــ كانت هذه النسخة لمدة طويلة في النى ــ كوتا ــ كو Nei – ka ta – k'u، أي مبنى للتخزين القديم في قصر بكين، ثم في مكتبة ليو ــ ياو ــ يون Liu Yao – Yun (١٨٤٩ ــ ١٩١٧)، وفي العام ١٩٣٣ في مكتبة تشين يوان Ch'en Yuan في بكين، وأعيد إخراج صفحة من المخطوط في yps l yytk.[149]

وكما سوف نرى، إن جميع أعمال النسخ والترجمة للنص المغولي من

التاريخ السري قد صنعت من y1 وy2 وy3 (أصبحت y3 متـوفرة فـي نسخة مصورة فقط في ١٩٦٢)[١٥٠] بالتعاون مع نص ألتان تـوبجي مـن أجل الإحالات، في حين عملت الترجمات للنص الصيني الحر المختصر من y5، وكذلك من y1، وy2[١٥١].

٥ ــ نص التاريخ السري في ألتان توبجي

في الوقت الذي كان فيه نص التاريخ السري بالخط الصيني معروفاً منذ وقت طويل ــ في الحقيقة منذ قرون ــ فإن وجود معـادل لـه فـي الخـط الايغوري لم يكن معروفاً حتى عام ١٩٢٦، ففي ذلك العام اكتشف جاميان غونغ Jamiyan Gung (١٨٦٤ ــ ١٩٣٠) الرئيس المثقف للجنة البحث العلمي MPR» (Bugude Nayiramdoga Mongyol Aradulus – an sinjile kui)[١٥٢] نسخة من تاريخ ألتـان تـوبجي ــ أو المختـصر (uqayan – a kuriyeleng الذهبي ــ معدة من قبل بلو ــ بزان بستان جـين Blo – Bzan Bstan – Jin (Mo.Lubsangdanjin,kh.Luvsandanzan, fl.1700) أسرة تـايجي داري Tayji dari (أو: دامدين Damdin) من عشيرة Yangsiyebu فـي Sang الماضية من سيجين قان ايمـاي sečen Gan (qosiyan) Bexise Banner التي هي بايان تومين bayan tumen الحالية من دورنود أيمـاغ Ayimay، Domod Aimag[١٥٣]، وأوقفت هذه النسخة الوحيدة من قبل أسرة تاييجي على المكتبة الشرقية للجنة العلمية في أولان باتور UlanBator.

وجد جاميان غونغ أن قسماً كبيراً من «التاريخ السري» قـد دمـج داخل «ألتان توبجي» وأدرك أهمية اكتشافه من أجل البحث فـي التـاريخ السري، وعلى الفور صنع نسخة عن العمل كله بخط يده، وأرسـلها إلـى ب.بيليوت في باريس[١٥٤] ١٩٢٧، وكان من خلال بيليوت عـرف عـالم

الباحثين للمرة الأولى حول نص من التاريخ السري كان موجوداً في ألتان توبجي[١٥٥].

وفي العام ١٩٣٢ حصل ب.يا.فلاديميركوف B.ya.Vladimircov في لينينغراد على مخطوطة على سبيل الإعارة، وصنعت خلال تلك المدة نسخة مصورة عنها لصالح مؤسسة الدراسات الشرقية التابعة لأكاديمية العلوم في «الاتحاد السوفييتي»، والتي هي حالياً فرع بطرسبورغ (SPB, Filial) لمؤسسة الدراسات الشرقية التابعة للأكاديمية الروسية للعلوم (Iv Ran) حيث ما تزال[١٥٦] محفوظة، وأما المخطوطة فأعيدت إلى أولان باتور في العام ١٩٣٥، حيث ما تزال موجودة في مكتبة أكاديمية العلوم[١٥٧].

ودرس العالم البورياتي Buriat س.ز.زامكارانو C.Z.Zamcarano[١٥٨] (١٨٨٠ ــ ١٩٣٧) الذي نفي إلى لينينغراد في العام ١٩٣٢، لأسباب سياسية، مخطوطة ألتان توبجي، وأعد وصفاً رائعاً لمحتوياتها، ونشرت دراسته في العام ١٩٣٦ في كتابه حول المؤرخين المغول في القرن السابع عشر[١٥٩].

وفي العام ١٩٣٧، نشرت اللجنة العلمية التابعة لـ MPR في أولان باتور نص ألتان توبجي، وكان ذلك لسوء الحظ ليس على شكل صور للأوراق المخطوطة، بل في طبعة محققة طبعت في مجلدين[١٦٠].

وجرت كتابة نص التاريخ السري في ألتان توبجي بالأحرف اللاتينية، وأدخل في عمل س.أ.كوزين S.A.Kozin حول التاريخ السري، الذي ظهر في موسكو ولينينغراد في[١٦١] العام ١٩٤١.

وفي العام ١٩٥٢ أعيد إخراج طبعة أولان باتور لعام ١٩٣٧ من ألتان توبجي بالتصوير من قبل جامعة هارفارد، ونشرت بمثابة المجلد الأول من سلسلة مؤسسة بتشجيع النصوص المخطوطة المغولية، في جامعة هارفارد، وحوت هذه الطبعة في مجلد واحد مدخلاً مهماً كتب من قبل أ.موستارت[١٦١].

ونشر في العام ١٩٥٧ س. ساغدار C.Sagdar، في أولان باتور نص ألتان توبجي بالخط السيريلي Cyrillic للاستخدام العام لطبعة عام ١٩٣٧، وظهرت طبعة ثانية مدققة في[١٦٢] العام ١٩٩٠.

ونشر في العام ١٩٦٣ سيتشين جاتشيد Sechin Jagchid (Jaqacidsecen,cha-ch'i-ssu-ch'in) ترجمة جزئية لألتان توبجي بالصينية، عنها ظهرت طبعة ثانية[١٦٤] منقحة في العام ١٩٧٩.

وفي العام ١٩٧٣ جرت ترجمة ألتان توبجي إلى الروسية بالكامل مع شروح تقنية وتعليقات من قبل ن.ب.ساستينا N.P.Sastina، وهو الذي سلف له من قبل ترجمة التاريخ المغولي Sara Tuji[١٦٥].

ونشر في العام ١٩٧٤ ل.سليغيتي L.Ligeti، الذي امتلك نسخة مصورة على شريط (مايكروفيلم) من مخطوطة أولان باتور، نسخته بخط يده من نص التاريخ السري المدموج في ألتان توبجي، في سلسلته[١٦٦] MLMC.

ونشرت طبعة مغولية داخلية من ألتان توبجي، اعتمدت على طبعة أولان باتور لعام ١٩٣٧، مع تعليقات غنية من قبل جوييجي Čoyiji في هوهوت Hohhot (kokeqota) في العام[١٦٧] ١٩٨٣.

وبعد فحص دقيق لمخطوط ألتان توبجي في أولان باتور في العام ١٩٧٠ ثم في العام ١٩٨٧، نشر المؤلف الحالي مقالاً في العام ١٩٨٩، أوضح النقص وانعدام الموثوقية في جميع الطبعات المتوفرة من ألتان توبجي، ولاسيما طبعة التاريخ السري المحفوظة فيه[١٦٨]، واختتم المقال بالتماس موجه إلى السلطات المغولية «لجعل هذه الوثيقة التاريخية الفريدة متوفرة على شكل أوراق، أو إعادة إخراج نسخة مصورة في أقرب وقت ممكن[١٦٩]».

وفي العام ١٩٩٠ جرى نشر نسخة مصورة رائعة عن مخطوط ألتان توبجي، وكان ذلك ضمن نشاطات منغوليا التي ارتبطت بالذكرى ٧٥٠، لكتابة التاريخ السري، وجاء النشر من قبل أكاديمية العلوم المغولية، والتحقيق من قبل س.بيرا[١٧٠] S.Bira، وبذلك صار الأصل متوفراً للعلماء في العالم أجمع، ونحن جميعاً مدينون بالفضل إلى الأستاذ بيرا ولزملائه، لإنجازهم هذا العمل الرائع في وقت قصير نسبياً، وللسمات العالية لهذه الطبعة التي لا غنى عنها.

وفي العام ١٩٩٢ جرى نشر نسخة كاملة وفهرس كلمات لألتان توبجي من قبل هـ.ب.فيتزي H.P.Vietze، وغيندينغ لوبسانغ Gendeng Lubsang، بالاعتماد على الطبعة المعاد تصويرها لعام ١٩٩٠، وجاء النشر من قبل مركز دراسات اللغات والثقافات لآسيا وأفريقيا في جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية[١٧١].

وعلى هذا، نحن الآن مزودين في الوقت الحالي بشكل جيد، للقيام ببحث دقيق لألتان توبجي، مستخدمين النص الأصيل للمخطوط الفريد لعمل لوبسانغدانجين، وينبغي أن نذكر ــ على كل حال ــ بأن هذه المخطوطة

متوسطة الجودة من أواخر القرن السابع عشر، أو أوائل القرن الثامن عشر، وهي منسوخة عن أصل مفقود، وهي تحتوي على كثير من التصحيفات والأخطاء.

ومنذ ثلاثينات القرن العشرين والعلماء في منغوليا، والصين، واليابان، وأوروبا، والولايات المتحدة، وهم يدرسون الألتان توبجي من الجوانب: الأدبية، واللغوية، والتاريخية، وبشكل مستقل عن نص التاريخ السري المدموج[١٧٣] فيها، والإسهام الأساسي بالنسبة لتحليل جيد لنصي التاريخ السري، وألتان توبجي، هو من دون شك الرسالة التي صدرت حديثاً، والتي أعدت من قبل س.جويما S.Čoima، وحسبما جرى التبيان بوضوح وغزارة من قبل: زامكارانو Zamcarano، وهيسغ، وموستارت: الألتان توبجي مصدر غني بالمواد الملحمية المتعلقة بشكل رئيسي بحلقات من القصص حول جنكيز خان، وأولاده، ورفاقه المقربين، ومخزن أيضاً للأقوال الحكيمة، أو الإرشادات، المعزوة إلى جنكيز خان، فقد نسخ لوبسانغدانجين قصصاً ملحمية قديمة، وحكماً مروية تقليدياً مع قصص تاريخية مستقاة من مصادر متنوعة، معظمها لم يعد الآن موجوداً، شاملة لمدة من ملوك الهند، والتيبت إلى أسطورة نسب جنكيز، ومن خلال جنكيز إلى أولاده، وأولاد أولاده إلى دايان خان Dayan (١٤٧٠ ــ ١٥٤٣) وليغدين Legden (Ligdan,Lindon) خان الجاقار Čaqar (١٥٩٢ ــ ١٦٣٤)[١٧٤].

وفيما يتصل بالرواية حول أجداد جنكيز، بداية مع بورته جينوا borte činua، وتواماراس Tooa Maral، وانتهاء بوفاة جنكيز في عام الخنزير (١٢٢٧) اعتمد لوبسانغدانجين بشكل رئيسي على التاريخ السري، ونحن لا

متوسطة الجودة من أواخر القرن السابع عشر، أو أوائل القرن الثامن عشر، وهي منسوخة عن أصل مفقود، وهي تحتوي على كثير من التصحيفات والأخطاء.

ومنذ ثلاثينات القرن العشرين والعلماء في ملغوليا، والصين، واليابان، وأوربا، والولايات المتحدة، وهم يدرسون الألتان توبجي من الجوانب: الأدبية، واللغوية، والتاريخية، وبشكل مستقل عن نص التاريخ السري المدموج[١٧٣] فيها، والإسهام الأساسي بالنسبة لتحليل جيد لنصي التاريخ السري، وألتان توبجي، هو من دون شك الرسالة التي صدرت حديثاً، والتي أعدت من قبل س.جويما S.Čoima، وحسبما جرى التبيان بوضوح وغزارة من قبل: زامكارانو Zamcarano، وهيسنغ، وموستارت: الألتان توبجي مصدر غنيابالمواد الملحمية المتعلقة بشكل رئيسي بحلقات من القصص حول جنكيز خان، وأولاده، ورفاقه المقربين، ومخزن أيضاً للأقوال الحكيمة، أو الإرشادات، المعزوة إلى جنكيز خان، فقد نسخ لوبسانغدانجين قصصاً ملحمية قديمة، وحكماً مروية تقليدياً مع قصص تاريخية مستقاة من مصادر متنوعة، معظمها لم يعد الآن موجوداً، شاملة لمدة من ملوك الهند، والتيبت إلى أسطورة نسب جنكيز، ومن خلال جنكيز إلى أولاده، وأولاد أولاده إلى دايان خان Dayan (١٤٧٠ ـ ١٥٤٣) وليغدين Legden (Ligdan,Lindon) خان الجاقار Čaqar (١٥٩٢ ـ ١٦٣٤)[١٧٤].

وفيما يتصل بالرواية حول أجداد جنكيز، بداية مع بورته جينوا borte činua، وتواماراس Tooa Maral، وانتهاء بوفاة جنكيز في عام الخنزير (١٢٢٧) اعتمد لوبسانغدانجين بشكل رئيسي على التاريخ السري، ونحن لا

نعرف كيف تمكن من الوصول إلى هذا المصدر، يعني فيما إذا كان ذلك بشكل مباشر أو من خلال تاريخ آخر كان يحويه، كما أن لوبسانغدانجين لم ينقل عن التاريخ السري كمصدر، وكل الذي نمتلكه هو أن نص لوبسانغدانجين نفسه، الذي أعاد إخراج الجزء الرئيسي من التاريخ السري، فإن جميع النصوص المختلسة قد تم تحديدها والتعرف عليها من قبل: كوزين، وموستارت، وليغيتي[175]، وفي التحليل العميق لنص التاريخ السري في ألتان توبجي، الذي قام به ليغيتي، هو كتب الملاحظات التالية:[176]

١ ـ نسخ لوبسانغدانجين معظم التاريخ السري، وأودعه في عمله.

٢ ـ جاء بالعادة نسخ نص التاريخ السري حرفياً.

٣ ـ أعيد إخراج نص بعض فقرات نص التاريخ السري إما على شكل «جمعي» أو «موسع».

٤ ـ تتكرر الزلات والهفوات، لاسيما في قضية الأسماء الشخصية والجغرافية، وكذلك بالنسبة لقضية الكلمات المهملة، ومرد ذلك إما لإهمال الناسخ أو لجهله[178].

٥ ـ بات بديهياً ما تقدم أعلاه أن النص الحالي لألتان توبجي هو نسخة عن الأصل بوساطة ناسخ غير معروف[179].

٦ ـ مع أن لغة التاريخ السري جرى تحديثها بعض الشيء من قبل لوبسانغدانجين للمواجهة مع التيار «الكلاسيكي» المحافظ الذي كان رائجاً آنذاك[180]، فإن شكل إملاء الكلمات لما قبل «الكلاسيكي» غالباً ما تمت المحافظة عليه، لاسيما في النصوص التي لم يفهمها لوبسانغدانجين (غالباً

ما أضافت يد واحد غير معروف شروحاً بين الأسطر لكثير من هذه الكلمات، ولكنهم في الغالب غير صحيحين)[١٨٢].

٧ ــ استخدام لوبسانغدانجين مخطوطة من التاريخ السري كانت محافظة على السمات الإملائية واللغوية للخط الايغوري الأصيل للقرن الثالث عشر[١٨٢].

٨ ــ لم يكن التعرف إلى المخطوطة التي خدمت كمصدر لألتان توبجي، مع المخطوطة (أو المخطوطات) التي استخدمت من قبل نُساخ المنغ، ومترجميهم، كما ظهر بوساطة الروايات الكاملة، يعني الكلمات المضافة والجمل التي وجدت في النسخة السالفة[١٨٣].

٩ ــ وتشير الفوارق الواسعة التي وجدت بين رواية ألتان توبجي والتاريخ السري (y) إلى أن لوبسانغدانجين قد استخدم مصدراً آخر (غير معروف) حول جنكيز خان إلى جانب التاريخ السري[١٨٤].

١٠ ــ ويعود أمر الفقرات المتعددة المجموعة، يعني فقرات التاريخ السري، التي عرضت على شكل رواية أقصر، أو أهملت كلياً في ألتان توبجي إما بسبب تحرير لوبسانغدانجين واختياره للمواد، أو إلى أنهم لم يكونوا موجودين في المخطوط الذي استخدمه، والحالة الأخيرة هي لربما قضية الفقرات ١٧٦ ــ ٢٠٨، التي أوقفت على قضية الخلافة إلى العرش، التي من المرجح أنها أقحمت فيما بعد في «نسب جنكيز خان»، وكذلك الأمر بالنسبة للفقرات ٢٦٩ ــ ٢٨١ حول أوكتاي[١٨٥].

والنتيجة التي من الممكن استخلاصها من تحليل ليغيتي هي أن نص التاريخ السري الذي استخدم من قبل لوبسانغدانجين هو من حيث الجوهر

«نسب جنكيز خان» الذي يعود إلى القرن الثالث عشر، وليس نصاً متأخراً عن هذا، وهو يبقى رواية من القرن الثالث عشر «لنسب جنكيز خان»[١٨٦] وتمت المحافظة على مختلف القراءات المبكرة المتعلقة بشكل أساسي بالرسم الإملائي للكلمات مع أنها جاءت على شكل مصحف، غالباً ما وصل إلى درجة عدم المقدرة على التعرف على الصحيح، ومرد ذلك إلى أخطاء النسّاخ، وهناك تغييرات أخرى، مثل التغييرات التي أثرت على الأسماء والألقاب (من ذلك مثلاً: جنكيز خان - سوتوبويدا جنكيز قاآن، وموقالي - موقولي، الخ)، وهذه التغييرات شكلية بصورة محضة، مثل التحسينات النحوية التي أدخلت من قبل لوبسانغدانجين، وبناء عليه إن جميع التغييرات الرئيسية التي لاحظنا وجودها في ألتان توبجي، يمكن أن يكون مردها إلى إضافات وشطب قام بها لوبسانغدانجين نفسه الذي كان تحت تصرفه مصدر آخر حول جنكيز خان، وهو أيضاً كمصنف لم يتردد في حذف بعض المواد التي عدّها غير مهمة، أو غير مرتبطة بالموضوع، كما أنه لم يتردد أيضاً في إقحام قطعاً ملحمية متأخرة التاريخ، في رواية «التاريخ السري»، هذا وأعتقد زاماكارانو Zamacarano بأن بعض هذه القطع يعود إلى أيام جنكيز خان، ونتيجة لذلك، احتفظ بهم س.دامدينسورين C.Damdinsuren، في طبعته المغولية الحديثة من التاريخ السري، ومهما كانت مغريات المحصلة المذكورة أعلاه، يشير وجود المفارقات التاريخية نفسها في نص ألتان توبجي، المتعلقة بحوادث عام ١٢٢٨، كما ظهرت في التاريخ السري، إلى أن نص ألتان توبجي يمثل من جميع الأوجه المحتملة نصاً متوسطاً[١٨٧].

ومع هذا، إنه كما أظهر بيليوت، وموسترات، وليغيتي مع باحثين آخرين من غير الممكن التقليل من قيمة نص التاريخ السري في ألتان توبجي، ليس فقط هو يمكننا من ملئ عدد من الفراغات، بل أيضاً يساعدنا على استرداد القراءة الأصيلة للأسماء الكثيرة المشكوك بها، والاصطلاحات، وكما كتب بيليوت إنه بالنسبة لأسماء الأعلام والأسماء الجغرافية بشكل خاص، كان اجتماع غموض وصعوبة الخط الايغوري، وجهل نساخ المنغ أثناء أدائهم لعملهم[١٨٨]، معناه أن عدداً من الكلمات المنسوخة من قبلهم لا يمكن اعتمادها، وعلى هذا إنه بمعونة قراءات ألتان توبجي من الممكن إعادة بناء أشكالهم الصحيحة.

ولسوء الحظ أننا لا نمتلك حتى الآن طبعة محققة بشكل نقدي صحيح لكتاب لوبسانغدانجين «ألتان توبجي»، والترجمة الوحيدة له إلى لغة غربية هي ترجمة ساساتينا Sastina للنص الروسي، وقد ترك عملها كثيراً من الرغبات، وعلى هذا كانت ترجمة جديدة اعتماداً على طبعة محققة بدقة للنص، من أماني ن.بوبي N.Poppe[١٨٩]، وصار من بعد نشر الطبعة المصورة لمخطوط أولان باتور، والأبحاث التاريخية واللغوية التي قام بها: جوييجي Čoyiji، وأوزاوا Ozawa، وأورلوفسكايا Orlovskaya مع آخرين، من الممكن القيام بمثل هذا العمل.

وأنا استخدمت بشكل متواصل نص التاريخ السري في ألتان توبجي في التعليقات، وهناك قائمة بصفحات التاريخ السري في ألتان توبجي موجودة في الملحق الثاني (لم يترجم).

٦ ـ التاريخ السري كتاريخ وأدب

إن الآراء حول قيمة التاريخ السري كوثيقة تاريخية متباينة كثيراً، فمن جهة أولى قصوى، استخدم بعض المؤرخين والكتّاب، يمثلهم بشكل أساسي ريفه غروسيه التاريخ السري بمثابة مصدرهم الأساسي حول حياة جنكيز خان، مع أنه كان ـ على كل حال ـ مدركاً للنكهة الملحمية والمحاباة والانحياز، يعني عدم الموثوقية حول كثير من الحوادث المهمة[١٩٠].

ومن الجهة الأخرى، عدّ علماء مثل أ.وولي A.Waley ـ وأوكادا هايديهيرو Okada Hidehro «التاريخ السري»، لا قيمة له تقريباً كسجل تاريخي[١٩١].

ونجد في مكان ما في الوسط : ب. بيليوت، و ب فلاديميركوف B.Vladimircov، ول.هامبس L.Hambis، وب.راتشنيفسكي B.Ratchnevsky، قاموا بإخضاع نص حوادث «التاريخ السري» إلى فحص دقيق، على أساس البحث المقارن المعتمد على جميع المصادر المتوفرة، فقبلوا، أو رفضوا، أو أعادوا تفسير حوادث بأكملها، وكذلك التواريخ، وعقابيل الحوادث المعروضة في التاريخ المغولي[١٩٢].

وبالنسبة لـ: س.بيرا S.Bira، نجد أن القسم الأكبر من كتابه حول «التاريخ المغولي»، موقفاً على «التاريخ السري»، الذي هو في كلمات المؤلف: «إنتاج مبدع للذكريات الكاملة للأرستقراطية القديمة للبلاط، ولرواة الحكايات»، ويصر بيرا على أن هذا المنتج، هو في الحقيقة تاريخ «للعشيرة الذهبية »، عشيرة جنكيز خان، وأنه كتب ليكون مرشداً لخلفاء مؤسسي الإمبراطورية المغولية، كما أن «الشذرات الملحمية»، المقمحة في

التاريخ السري (التي منحها بيرا تصنيفاً مفيداً) خدمت أيضاً هدفاً محدداً، وذلك بوساطة استخدامها كأداة وصل مع الموضوع الأساسي العام، والهدف من الرواية «فقد خدمت هذه الشذرات كصورة شفوية معادلة للصورة المكتوبة للحوادث الموصوفة، وهم أيضاً وسائل أساسية في التعبير عن وجهات نظر تاريخية»، وبناء عليه: «التاريخ السري» هو سجل تاريخي، ولدى «الفحص الدقيق لهذا العمل الخالد، ليس من الصعب إدراك وجود مقاربة تاريخية، متبناة من قبل كل من مؤلفيه، ليس فقط نحو الماضي البعيد، ولكن أيضاً نحو معاصريهم»، وعلاوة على ذلك، إنه من وجهة نظر إحراز الهدف التاريخي، إن الأجزاء الأساسية من التاريخ السري هي مثل هذا متميزة « فبوساطة الحقائق الموجودة فيهم، علينا التعامل مع عروض معقدة تماماً للأخبار التاريخية»، ثم توسع بيرا في تركيزه على الفلسفة التاريخية لمؤلفي «التاريخ السري» الذي كان الموضوع المركزي لهذه الفلسفة ـ تبعاً له ـ هو إيجاد دولة مغولية، يعني أن موضوع الدولة المغولية كان «الهدف الأكثر قوة للمعرفة التاريخية للمغول في ذلك الوقت»، وهذا المفهوم «ليس مشكلاً بصورة محددة على شكل مسيرة تاريخية معقدة، ولكن ليس من الصعب الحصول على انطباع حوله أثناء تحليل المادة الأساسية لهذا العمل العملاق، وتروي هذه الحقيقة، التي هي الأولى، والأكثر أهمية تاريخ أنساب الخانات المغول، وهي بحد ذاتها تقدم شهادة في سبيل الاهتمام بتاريخ النخبة الحاكمة، المشخصة بوساطة الخانات»، وبالنسبة لبيرا، في المحصلة: «إن التاريخ السري هو العمل العملاق الأكثر شهرة وخلوداً في التأريخ المغولي»(١٩٣).

التاريخ السري (التي منحها بيرا تصنيفاً مفيداً) خدمت أيضاً هدفاً محدداً، وذلك بوساطة استخدامها كأداة وصل مع الموضوع الأساسي العام، والهدف من الرواية «فقد خدمت هذه الشذرات كصورة شفوية معادلة للصورة المكتوبة للحوادث الموصوفة، وهم أيضاً وسائل أساسية في التعبير عن وجهات نظر تاريخية»، وبناء عليه: «التاريخ السري» هو سجل تاريخي، ولدى «الفحص الدقيق لهذا العمل الخالد، ليس من الصعب إدراك وجود مقاربة تاريخية، متبناة من قبل كل من مؤلفيه، ليس فقط نحو الماضي البعيد، ولكن أيضاً نحو معاصريهم»، وعلاوة على ذلك، إنه من وجهة نظر إحراز الهدف التاريخي، إن الأجزاء الأساسية من التاريخ السري هي مثل هذا متميزة « فبوساطة الحقائق الموجودة فيهم، علينا التعامل مع عروض معقدة تماماً للأخبار التاريخية»، ثم توسع بيرا في تركيزه على الفلسفة التاريخية لمؤلفي «التاريخ السري» الذي كان الموضوع المركزي لهذه الفلسفة ـ تبعاً له ـ هو إيجاد دولة مغولية، يعني أن موضوع الدولة المغولية كان «الهدف الأكثر قوة للمعرفة التاريخية للمغول في ذلك الوقت»، وهذا المفهوم «ليس مشكلاً بصورة محددة على شكل مسيرة تاريخية معقدة، ولكن ليس من الصعب الحصول على انطباع حوله أثناء تحليل المادة الأساسية لهذا العمل العملاق، وتروي هذه الحقيقة، التي هي الأولى، والأكثر أهمية تاريخ أنساب الخانات المغول، وهي بحد ذاتها تقدم شهادة في سبيل الاهتمام بتاريخ النخبة الحاكمة، المشخصة بوساطة الخانات»، وبالنسبة لبيرا، في المحصلة: «إن التاريخ السري هو العمل العملاق الأكثر شهرة وخلوداً في التأريخ المغولي»[١٩٣].

وكان رأي بيرا أيضاً بأن مؤلفي «التاريخ السري»، قاموا لدى اعتمادهم الكبير على مرويات شفوية، باستخدام سجلات مكتوبة(١٩٤).

وكان المؤلف الآخر الذي تعامل مطولاً مع الأهمية السياسية للتاريخ السري، هو: أي. ن. غوميليف J.N.Gumilev، فبالنسبة له ـ مثلما الأمر بالنسبة لبيرا ـ هذا العمل هو إنتاج ممثل للنخبة الحاكمة (بالنسبة لبيرا، كان التأليف ـ على كل حال ـ جماعياً)، وهو كما تقدم الذكر من قبل، كان عضواً «من الحزب المغولي القديم»، وكانت عقيدته وبرنامجه السياسي «عودة إلى أيام الشجاعة القديمة»(١٩٥).

ولعله من الممكن أن نرى مبالغة كبيرة في هذه المظاهر المتنوعة للتأليف، ومع أنه من الواضح أن «التاريخ السري» هو ليس تاريخاً لجنكيز خان مثل عمل الجويني، وليس مجرد تاريخ للوقائع مثل الـ ـ Cheng Wu ch'in – Cheng Lu (وافتراضاً Tobčiyan المفقود)(١٩٦)، ولكنه مزيج بارع لحكاية ـ تاريخية نثرية وملحمية شعرية، مزجت دوماً وبشكل غير متوقع الحقائق والحكايات،(١٩٧) ولسوف يكون أكثر صحة أن ندعوه «القصة الملحمية (أو الرواية) حول جنكيز خان»، وإذا ما تبنينا تسمية بيليوت له هو «تاريخ ملحمي»(١٩٨)، ولدى اتباع خطوات بيليوت سوف نستمر بالنهل منه معطيات ـ هناك مخزون كبير منهم ـ هي لن تثبت فقط الذي نعرفه أيضاً من سجلات معاصرة، بل أيضاً تتكامل وتتوافق معهم، لاسيما ما يتعلق بتحديد مكان بعض الوقائع والأشخاص الذي لهم علاقة، وجدير بالذكر أن هناك في التاريخ السري تسعمائة اسم خاص وجغرافي (كثير منهم لم يرد ذكرهم في أي مصدر آخر) مقابل ٦٤٠ في الـ Sheng – Wu Ch'in – Cheng Lu(١٩٩).

ومحاولة فصل جميع الحقائق الصرفة عن شبه الحكايات، أو الروايات المحكية في «التاريخ السري»، هي صعبة إلى أقصى الحدود، وفي الغالب عمل لا يمكن القيام به، ومن الممكن تحقيق النجاح فقط في عدد محدود من الأمثلة، حيث هناك مصادر مستقلة تماماً، تدعم نص «التاريخ السري»، ومن المؤسف أننا لن نستطيع على الإطلاق أن نعرض أياً (أو لا شيء) من الأقوال الكثيرة المدونة في «التاريخ السري»، التي قيل بأن جنكيز خان قد تفوه بها، وهناك عدة حوادث نمطية، مثل إنقاذ تيموجين لبورته، من المحتمل أنها عملت بالفعل وصيغت من قبل المصنف الذي استلهم الروايات الرائجة والحكايات الشعبية، وهذا بالحقيقة مثل الذي صنع من قبل كتّاب الحوليات الاغريقية والرومانية، وبرأيي ــ على كل حال ــ إنه ليس الجانب التاريخي للعمل، هو الموجود فيه الأهمية الحقيقية بالنسبة «للتاريخ السري»، بل بالحري وصفه الصحيح للحياة القبلية المغولية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، لاسيما ما تعلق بدور الفرد في ذلك المجتمع، وفي هذا المقام إن التاريخ السري هو منجم حقيقي للمعلومات، والموضوع المركزي في ملحمتنا التاريخية هو الدور المحوري لكائن متحكم واحد، تمكن مع أشخاص قياديين آخرين ــ من أتباعه والقائمين على خدمته ــ من المعالجة الناجحة لمجتمع وقته، لتحقيق هدفه الوحيد، وهو السيادة لنفسه ولعشيرته في مواجهة عدد لا يحصى من المصاعب، ولقد وصف التاريخ السري هذه المسيرة بتفصيل كبير، وعرض المظاهر المتعددة لشخصية بطله المعقدة، وإذا كانت هناك رسالة واحدة حملها «التاريخ السري» وأوصلها وفق شروط لا لبس فيها، هي إن النجاح كقائد لا يمكن تحقيقه من دون حظ جيد، وقوة مضفاة عليه من قبل السماء والأرض، وإخلاص القائمين على خدمة الشخص ورعاياه، وعند ذلك يخدم

مثل هذا القائد بإرادة السماء، يعني بوساطة حق رباني، وليس هناك حاجة إلى القول بأن المسيرة لا يمكن أن تعمل بنجاح من دون أن يلتزم القائد من جانبه بالأخذ بمبدأ التبادلية، يعني: المكافأة، والعناية، والحماية نحو أتباعه والمعتمدين عليه[٢٠٠]، ولهذا المفهوم ما يعادله تماماً تقريباً في أوربا في العصور الوسطى، وهو كان الركن الأساسي للنظام الإقطاعي.

وعلى هذا، إن التاريخ السري هو فوق كل شيء مصدر للصعود الأول للتاريخ الاجتماعي للمغول قبل تأسيس امبراطوريتهم العالمية، ومع أن اهتمامه الأول بداهة منصرف نحو «أرستقراطية السهوب» ولكن المضي خلال صفحاته يُمكِّن الإنسان من الحصول على رؤية داخلية مستمرة، وليس مجرد إلقاء نظرات، على داخل حياة الناس العاديين، والأدوار المتبادلة فيما بين الزعماء والناس الخاضعين لهم، وجرى استخدام كامل للمعطيات المقدمة من قبل التاريخ السري من قبل ب.فلاديميركوف لوصف ما دعاه باسم «الإقطاع البدوي»، ويُعدُّ عمله هو العرض الدراسي الأفضل للمجتمع المغولي وللعلاقات الاجتماعية منذ أيام جنكيز خان، وصولاً حتى بداية القرن الثامن عشر[٢٠١]، وذلك على الرغم من بعض الآراء المضادة، والعموميات، والانحيازات، والقيود التي فرضت عليه في الزمن والظروف التي كتب فيها، ومن أجل نظرة ثاقبة، ورأي حول المغول في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، من جوانب علم الأحياء والاجتماع، سوف يبقى مقال ج.فليتشر J.Fletcher الذي نشر بعد موته في العام ١٩٨٦، متفوقاً[٢٠٢].

وجرى عرض عمليات الاستيلاء المليئة بالقوة والنشاط، والأجواء البشرية القاسية والفيزولوجية لمنغوليا حسبما أكملت من قبل جنكيز خان

ووصفت من قبل «التاريخ السري»، عرضها بشكل متفوق وتحليلها من قبل: أو. لاتيمور O.Lattimore في أطروحته التي نشرت في «العلوم الأمريكية» في العام ١٩٦٣[٢٠٣]، ويقدم التاريخ السري معلومات من الدرجة الأولى حول التنظيم العسكري للمغول تحت قيادة جنكيز خان، وأوكتاي، وحول قوانين جنكيز حول واجبات ومسؤوليات الحرس، الذي كانوا قوام المؤسسة الأكثر أهمية بين جميع المؤسسات، وهي التي ضمنت، مع التطبيق الصارم للقانون المغولي (الیسق)، النجاح المستمر لجيوش التوسع والاستيلاء.

- بالإضافة إلى قيام التاريخ السري بتزويدنا بمعلومات حول الميول السياسية والدينية للنخبة القبلية، وبصورة مفصلة حول الحياة القبلية، والطبقات الاجتماعية والقضايا العسكرية، وبالإضافة إلى هذا إن «التاريخ السري» هو أيضاً مصدر رئيسي حول المواد الثقافية لمغول العصور الوسطى، وهذا جانب من الكتاب لم يتم البحث حوله بشكل كامل[٢٠٤].

وفي الوقت الذي كان فيه التاريخ يدون، لخلفاء جنكيز ـ وفي الحقيقة لصالح سلالته ـ حكمة جنكيز خان وبراعته التنظيمية، وبعد نظره، هو أيضاً علامات لمدح الأبطال الآخرين (وربما الحقيقيين)، في الملحمة الشعرية، وللرفاق الشجعان للأيام المبكرة «مثل الأبطال الأربعة» و«الفرسان الأربعة»[٢٠٥] ومثل ذلك قادة الألوف الذين لولا التزامهم الكامل نحو قائدهم، لما استطاع جنكيز خان أن يبقى واحداً من بين الكثير من الزعماء القبليين في شمالي منغوليا.

وتتلاقى الحماسة الشعرية مع التاريخ عندما يصبح الشاعر المنشد هو المؤرخ، بسبب أن هؤلاء الأبطال المشهورين المحتفى بهم هم أناس حقيقيون (حتى في الأوقات التي تراءوا فيها كأشخاص فوق العاديين) وبراعاتهم على أرض المعركة – على الرغم من الانتكاسات أحياناً – هي فقط صحيحة جداً، وإنه من هذا الجانب والتقدير، «التاريخ السري» بالنسبة لنا هو وثيقة خاصة، فهو يضيف الجسد والروح للكثير مما نتعلمه من المؤرخين الفرس والصينيين، بإعطائنا الحقائق حسبما رويت، أو جرى تصورها من المعسكر المغولي، وبكلمة أخرى «من الداخل».

وليس للتاريخ السري سلف، ولا خلف في تقاليد المرويات التاريخية المغولية، ومع أن لا التاريخ المعروف باسم ألتان دبيتر Altan Dobter (الكتاب الذهبي) الذي استخدم من قبل رشيد الدين، ولا توبجيان Tobčian الذي ورد ذكره من قبل، موجود الآن، أنا يمكنني القول بثقه أن أياً منهما ينتمي إلى نوع الكتابة التاريخية، التي ينتمي إليها التاريخ السري[٢٠٦]، ولهذا السبب أنا متردد في وضع التاريخ السري داخل تقاليد الكتابة التاريخية، كما فعل بيرا، وبحكم ما يزال غير مؤكد تاريخ تصنيف ألتان توبجي، كي نعدّ عمل لوبسانغدانجين بمثابة «التاريخ الأول في الكتابات التاريخية المغولية»، وبذلك نعطي الأولوية على: (للعام ١٦٦٢) sayan sečen,serbeni-yin[٢٠٧].

وأيضاً يقف التاريخ السري لوحده، بسبب أنه كان قريباً جداً من الحوادث التي تولى روايتها، وإننا إذا ما اخترنا تجاهل جانبه التاريخي، يبقى أننا نستطيع أن نتمتع به كقطعة أدبية راقية جداً، لأنه الأبدة الوحيدة



في الأدب المغولي المبكر لما قبل البوذية، كتب بلغة تعكس سمات وثقافة المغول قبل تحولهم، وبالتالي الخضوع لتأثير الحضارة التيبيتيه على طريقة حياتهم، وكما ذكر زأمكارانو بشكل صحيح: «إذا ما قورن تغيير النصوص التي من القرنين الثاني عشر والثالث عشر، بنصوص القرن السابع عشر، (ولو حتى كانت فقرات) يعطي فكرة عن الفوارق بين المدتين، وأيضاً بين طرائق صياغة كلامهم، والمحتويات التي يشار إليها في مفرداتهم، وهناك من الجانب الأول: البساطة، وانعدام التصنيع، وأصالة موثوقية بالنسبة لرواية القرنين الثاني عشر والثالث عشر مع الكلمات القديمة لهذين القرنين، وهناك من الجانب الآخر بعض التزيينات والزخرفات مع أفكار بوذية، وتعابير لطيفة واحترام أمام السادة، وكذلك السمات الأسطورية لرواية القرن السابع عشر» (٢٠٨)، وبالفعل صحيح أن الإسراف، والحماس، والعناصر السحرية، هي سمة للملحمة المغولية المتأخرة، هي غائبة تماماً تقريباً من التاريخ السري، الذي هو من هذا الجانب «يتسم بالجدية المدهشة»، وبناء على هذا الجانب لوحده، يحتل التاريخ السري مركزاً فريداً في التاريخ الأدبي لمنغوليا.

وتستحق لغة التاريخ السري رعاية خاصة، وفيما يختص بلفظ الكلمات ذات الشأن في النص المنسوخ بالخط الصيني، يعطينا هذا النص فقط التمثيل الصوتي المعبر عن كيفية قراءة نساخ المنغ مخطوطة التاريخ السري المكتوبة بالخط الايغوري في النصف الثاني من القزن الرابع عشر، وبناء عليه لا يعكس النص المنسوخ لغة الحديث في أيام تصنيفه، أي اللغة التي تحدث بها جنكيز خان، أو في أدنى الأحوال، اللغة وسط

البلاط المغولي في أوائل القرن الثالث عشر[٢٠٩]، ففي الأكثر من المائة والخمسين عاماً بين أيام التاريخ السري، أي الأيام التي كتب فيها، والأيام التي نقل فيها لفظياً إلى الصينية، كان ما عرف باسم اللغة المغولية الوسيطة قد تعرضت لتغييرات متنوعة، كما أنها كانت ما تزال تتعرض، وبعض هذه التغييرات مدركة في النص المنسوخ، وهذه أثّرت على كل من الأصوات وتناغمها، وبين الأصوات التي لحقتها التغيير على الإنسان نكر ما يلي: (من خلال الاستيعاب)

Ī → I,q(i) → k(i)h (Nuit) – zero, a,a, e,é –é,a,a-ō,a,ō-ū ū, - u,a-a,a → u

وعلاوة على ذلك إن قيمة بعض الأصوات مثل(q /y and t / d) هي ما تزال غير مؤكدة[٢١٠]، ومع ذلك من الممكن تحويل النص من الخط الصيني إلى الخط الايغوري، بشكل آلي تقريباً، وقد صنع هذا بالحقيقة بالنسبة للنص «ما قبل الكلاسيكي» بأحرف الخط اللاتينية، وبالخط الشاقولي الايغوري[٢١١]، ومن غير الممكن القول كيف كان يقرأ النص الأصيل بالخط الايغوري، أي نص «نسب جنكيز خان» في العام ١٢٣٠، وسوف تبقى إعادة بناء هذا النص بالذات من الخط الصيني بمساعدة ألتان توبجي دوماً عملية أولية، والذي أراه أنها عملية هي بلا ثمار، وعلى سبيل المثال، إن الكلمة التي استخدمت في التاريخ مقابل كلمة «فأر» هي qaluqana وهي سجلت سبع مرات من قبل علماء المنغ في نسخهم للنص[٢١٢]، وفي جميع أعمال إعادة بناء النص بالخط الإيغوري، نجد qaluyana، وهو الشكل المعبر عنه في المغولية المكتوبة[٢١٣]، وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر (بالتحديد عام ١٢٤٠)، كتبت هذه الكلمة ــ على كل حال ــ بصيغة qulayana بسبب أن الحرف الصوتي

«a» في المقطع الثاني لم يكن قد تشابه بعد مع المقطع[٢١٤] الأول، وفي جميع الاحتمالات امتلكت المخطوطة التي استخدمت من قبل نساخ المنغ صيغة qulayana التي قرأوها بمثابة quluqana (= qulu yana) ونسخوها على هذا الشكل[٢١٥]».

ومع أن معظم الألفاظ الأساسية في التاريخ السري هي عامة بالنسبة إلى الكتابة المغولية، وفيما يتعلق باللهجات الحديثة هي في الشكل نفسه، أو بأشكال قريبة، وكثير من الكلمات بقيت وما تزال موجودة في إحدى اللهجات، ولكن اختفت من لهجة من اللهجات الأخرى، واللهجات التي من الممكن معرفة وجود دليل أنهم لربما يجري التحدث بهم في الأجزاء المواجهة لمجموعة المغول الشرقية، مثل لهجات البوريات Buriat في الشمال، والأوردوس Ordos، والخاراتشين Karachin في الجنوب[٢١٦]، واستعيرت عدة دزينات من الكلمات من اللغة التركية، ومعظمها من الايغورية[٢١٧]، ومثل ذلك من اللغات الأخرى مثل الفارسية، وما يزال هناك أقل من عشرين كلمة من أصل اثنتين وثلاثين كلمة لم يشرح غريبها من قبل المترجمين المنغ، محيرة[٢١٨].

وبسبب السمات غير المتجانسة للكلمات المغولية لنص التاريخ السري، كان من غير الممكن ربط لهجة النص الأصيل مع أي من اللهجات بشكل خاص[٢١٩].

وبعيداً عن المشاكل الصوتية التي ورد ذكرها أعلاه، فيما يتعلق بارتقاء المغولية الوسيطة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، جرى البحث بدقة في موضوع النحو للتاريخ السري في الخمسين عاماً الأخيرة،

وهناك الآن عدة منشورات رئيسية حول الموضوع[٢٢٠]، ولكن ما يزال هناك ــ على كل حال ــ مشاكل خاصة باقية في المجال المعجمي، وكثير من التعليقات في العمل الحالي موقفة على شرحهم.

وكان زامكارانو Zamcarano قد وصف منذ زمن مبكر الرواية المغولية للقرنين الثاني عشر والثالث عشر، بأنها اتسمت بالبساطة وعدم التصنيع[٢٢١]، والصدق، وبالنسبة لما تعلق بالتاريخ السري جرى فحص معمق للغته وأسلوبه وقدم من قبل أ. موستارت، الذي بين بأن لغة التاريخ السري تتسم بالحرية والانسيابية[٢٢٢].

وبالإضافة إلى ما تقدم ذكره أعلاه من سمات، إن الصفة الأكثر أهمية بالنسبة للتاريخ السري كعمل أدبي، هي من دون شك محتوياته الملحمية، التي كتب حولها كثيراً في العديد من اللغات، وهو الأمر الأكثر جاذبية بالنسبة إلى معظم القراء، وقال بيلوت عن التاريخ السري بأنه مخزن للملاحم الشعبية، حافظ على كثير من حكايات «الأعمال» بنشر مسجوع[٢٢٣]، وعدّ وولي waley أجزاء التاريخ السري التي تأسست على حكايات رواة القصص، على أنها الأدب الأكثر إشراقاً وحيوية قد وجد في أي مكان في العالم[٢٢٤]، وهو من دون شك على صواب.

ويوجد في التاريخ السري /١٦٥/ نصاً منظوماً أو (مسجوعاً) لهم أطوال متنوعة، من بيتين إلى أكثر من ثمانين بيتاً (مع قليل من الأسطر غير المسجوعة فيما بينهم) مع من سبعة نصوص شعرية إلى في الحد الأقصى، أربعة وعشرين نصاً شعرياً في كل فصل، وعلى هذا إن أكثر من ثلث العمل كله جاء على شكل أبيات فيها جناس، أي على شكل أبيات

شعر[٢٢٥]، وهنالك أيضاً عدة نصوص غنائية ودرامية، في رواية نثرية[٢٢٦]، وجاءت أجزاء الأقوال المأثورة من التاريخ، أي التعابير الكثيرة على شكل أمثلة، أو أقوال حكيمة، كما هي العادة مسجوعة وذلك كما هو متوقع[٢٢٧]، وبالأصل جرى غناء القطع الملحمية من قبل رواة القصص، الذين اتبعوا التقاليد القديمة لشعراء الغناء القدماء من مغول وأتراك، وخير مثال على ذلك هو كتاب Dede Qorqut، حيث وشيت الحكايات بسجع وجناس، وبنصوص مسجوعة بلهجة خطابية، ومستوى اللغة متراوح، نجده الآن شعري جليل، وفي آن آخر نحيل وعامي[٢٢٨].

وفي الوقت الذي تجاهل فيه: بالادي، وناكا، وهينيش النصوص الشعرية في ترجماتهم للتاريخ السري، قام معظم المترجمين الآخرين بشكل أو بآخر بعزل هذه النصوص وتمييزهم، وفي بعض الحالات النادرة حولوهم إلى شعر حقيقي[٢٢٩].

وكان من أوائل الباحثين الغربيين الذين درسوا بشكل محدد العنصر الملحمي في التاريخ السري هو ن.بوبي N.Poppe، الذي أوقف عليه عدة صفحات من عمله حول الملحمة البطولية المغولية خالخا[٢٣٠]، وتناول ج.ر.كروغير J.R.Krueger بالبحث النصوص الشعرية في التاريخ السري في إطار دراسته للنصوص الشعرية الموجودة في الـ Erdeni-yin Tobči،[٢٣١] وكتب باحثون غربيون في أوقات مختلفة حول الشعر في التاريخ السري[٢٣٢]، وهناك مقال مهم حول أسلوب التاريخ السري نشره في العام ١٩٨٦: أ.ف.كوديياروف A.V.Kudiyarav[٢٣٣]، ولكن حتى هذا الوقت لا توجد معالجة كاملة للموضوع من قبل أي باحث.

ولا يمكن للإنسان ــ على كل حال ــ أن يفصل النصوص الشعرية في التاريخ السري (٧) عن النصوص الذين يقابلونهم في فقرات ألتان توبجي (المختصر الذهبي)، وباستثناء الفقرات المفقودة من التاريخ السري (١٧٦ ــ ٢٠٨)، وبالطبع الفقرات التي لها علاقة بأوكتاي (٢٦٩ــ ٢٨١) لمعظم النصوص الشعرية في هذا الكتاب ما يوازيها في ألتان توبجي وعلاوة على ذلك ــ كما ورد الذكر من قبل ــ هناك نصوص ملحمية في الأبيات المسجوعة المقحمة في نص ألتان توبجي هي من التاريخ السري، وهذه ينبغي معالجتها على انفراد[٢٣٤]، وكما بين هـ.ب.فيتز H.P.Vietze، إنه لدى مقارنة النصين نفسيهما من النص الشعري نفسه، تتبين حقيقة مهمة أن نص ألتان توبجي يختلف في بعض الأحيان عن نص التاريخ السري، وبصرف النظر عن أبيات الشعر التي أهملت كلياً من قبل لوبسانغدانجين هناك:

١ ــ أبيات شعر في التاريخ السري أدخلت إلى نص ألتان توبجي مع تغيير طفيف في الرسم الاملائي، أو تغيير في الاسلوب، و:

٢ ــ هناك في ألتان توبجي نصوصاً شعرية تحتوي على كلمات أكثر، لا بل حتى على أبيات أكثر[٢٣٥]، ومع أن دراسة مقارنة كاملة للنصين ما تزال مطلوبة، قدم فيتز عدداً من الأمثلة حول الفوارق بين النصين، ومن الممكن للإنسان أن يستشير، وهو مستفيد أيضاً من ترجمة ساستينا لألتان توبجي، حيث نقلت جميع النصوص الشعرية، وقدمت على شكل منظوم[٢٣٦].

وفي التاريخ السري نصوص ملحمية أو درامية، من الممكن إصحابها بإشارة إلى كلمات الحكمة للقدماء، بوساطة النقل والاقتباس من أقوال مسجوعة أو حكمة أقوال سائرة، من ذلك على سبيل المثال: «الولولة» المشهورة لأوالون (فقرة ٧٨)، وغضب الأم على الطفلين القاتلين (تيموجين وقاسار) حيث اقتبست أقوالاً قديمة، ورددت كلمات قديمة، موبخة بقوة ولديها، مذكرة إياهما بالمحنة الشديدة للأسرة بقولها:

«نحن لا نملك صديقاً غير ظلنا،

نحن لا نمتلك سوطاً سوى ذيل حصاننا».

وهناك الكثير من أمثال هذه الأقوال، والتعابير التي جاءت على شكل أمثال في التاريخ السري، بعضها ما يزال موجوداً في اللهجات الحديثة، وفي المجموعات الكبيرة للأمثال المغولية(٢٣٧)، وجرى تحديد هؤلاء جميعاً في التاريخ السري، مع التناول بالبحث في مقال مهم، نشر في العام ١٩٨٦، من قبل د.سيرينسودنوم D.Cerensodnom.

وأخيراً إنه كما جرى الإيضاح بشكل صحيح من قبل ليغيتي إن كثيراً من النقاش، حول: هل ينبغي تصنيف التاريخ السري كتاريخ، أم كأدب، هو عمل عقيم، بحكم أن هذا صدر أصلاً عن الافتراض بأنه ينبغي تعريف الأصول الأدبية المغولية والشرقية وتحديدها والحكم عليها وفق الحكم على الآداب الغربية «دون أن نذكر أنه بالنسبة للمدة المعطاة للدراسة في الارتقاء الاجتماعي، لا يمكن العثور على أصول «نقية صرفة» حتى في المكان الذي تطوروا فيه بشكل واضح»(٢٤٠) وبشكل مجمل يمكننا القول بأمان، كما أعتقد بأن «التاريخ السري» هو تاريخ ملحمي، وليس ملحمة

بطولية، استهدف ليس فقط تسجيل أفعال جنكيز خان، وما كان قد تفوه به، بل أيضاً ما يعزى إلى رفاقه المخلصين بلغة وأسلوب عكس ميول وقيم المغول الذين عاصروا جنكيز خان، وهو استهدف في الوقت نفسه تمجيد عشيرة البطل المغولي لصالح سلالته، لاسيما خلفائه المباشرين، وبرأيي أن الحقيقة المجردة بأنه دوّن كتابة، بعد وفاته مباشرة (على شكل ما زال محتفظاً به إلى أبعد الحدود) تشير أنه قصد منه أن يخدم كدليل ومرشد، وليس فقط أن يكون مجرد سجل، أو من أجل التسلية[٢٤١]، وأنه موجود في معظم النصوص الشعرية في التاريخ السري هناك شعور وإدراك لا يمكن إنكاره بالتاريخ، ولقد جرى تذكيرنا بتعليقات أ.فيتشر A.Fichter على الأنيياد Aeneid لفرجيل virgil، وهي تعليقات من الممكن تطبيقها على التاريخ الملحمي المغولي قوله: «يجلب الموضوع الأسروي إلى دائرة الضوء ما ينبغي أن يعدّ واحداً من أهم العناصر الأساسية للملحمة... وهو عنصر إدراكها للتاريخ، حيث تعكس الاستراتيجية الروائية الشعرية للسلالة الحاكمة الفرضية التالية... بأنه يمكن عدّ الحاضر بمثابة التراكم والتكديس لمسيرة مجموعة من الأحداث متحركة في الماضي البعيد، فالنبي في السلالة الحاكمة هو محل للتجربة التاريخية، وهو يضفي على نفسه.... امتياز صياغة مادته، وبذلك يبدأ في الوسط، وفي النهاية يوجه الملاحظة نفسها[٢٤٢]».

٧ ــ أعمال النسخ والترجمة والطبعات الحديثة للتاريخ السري

لقد جرت ترجمة نص التاريخ السري المكتوب بالأحرف الصوتية، ونسخه، يعني إعادة بنائه عدة مرات باللاتينية والسيريلية، وكذلك بالمغولية بالخط الايغوري.

وكانت أول عملية ترجمة من الصينية إلى أبجدية غربية، من قبل بالادي Palladii، وجاءت هذه الترجمة بالخط السيريلي، وكان بالادي لا يعرف المغولية، ويظهر أن عمله جاء لصالح الباحثين الذين لم يعرفوا الصينية[٢٤٣]، وقدم بالادي مع النسخ ترجمة إلى الروسية كلمة كلمة أودعها ما بين الأسطر، وهو هنا اعتمد على النص الصيني الذي أودع ما بين الأسطر، وجرى تنفيذ هذا العمل الأخير الذي قام به بالادي فيما بين الأعوام ١٨٧٢ و١٨٧٨، اعتماداً على نسخة مخطوطة باو تنغ ــ بو Pao t'ing-po، التي كان قد حصل عليها في العام ١٨٧٢ (انظر ما تقدم أعلاه بالفقرة الرابعة)، وأكمل بالادي عمله في العام ١٨٧٨، ويبدو أنه أعطاه إلى أ.م.بوزدنيف A.M.Pozdneev الروسي المختص بالمغوليات والواسع الشهرة (١٨٥١ ــ ١٩٢٠)، وكان ذلك عندما زار هذا الأخير بكين حيث كان بالادي مقيماً كرئيس للبعثة الكنسيّة الروسية، وذلك على أساس التفاهم بأن بوزدنيف سوف يتدبر النشر في بطرسبورغ[٢٤٤]، ومات بالادي في نهاية العام ١٨٧٨ في مرسيليا، وهو على طريقه من بكين إلى بطرسبورغ[٢٤٥]، وبعد عامين نشر بوزديف الفصل الأول (المراجع) من نسخة بالادي المخطوطة بيده وترجمته للتاريخ السري تحت اسمه هو[٢٤٦]، وكان بالادي قد نشر من قبل في العام ١٨٦٦ ترجمة لنص الترجمة

المختصرة الحرة، في الجزء الرابع من أعماله (Trudy) حول البعثة الكنسية الروسية (انظر ما سوف يأتي)، ولقد كان من خلال هذه الترجمة مع الذي نشره بوزدنيف في العام ١٨٨٠، أصبح «التاريخ السري» معروفاً للمرة الأولى في الغرب (١٨٨٠)، واستخدم بوزدنيف عمل بالادي في أعمال نشر أخرى، من دون الاعلان ـ على كل حال ـ عن مصدره الحقيقي، ولكنه لم ينجح على الإطلاق في نشر العمل كاملاً، مع أن عدة محاولات بذلت من قبل الجمعية الامبراطورية الروسية للآثار، لتنفيذ المشروع[٢٤٨]، وبعد وفاته بوزدنيف في العام ١٩٢٠، بقي المخطوط محفوظاً في أرشيف مركز الدراسات الشرقية في بطرسبورغ (لينينغراد) حيث ما يزال حتى الآن[٢٤٩]، وهنالك نسخة مضروبة على الآلة الكاتبة دقيقة جداً، كانت من قبل ملكاً لبيليوت، موجودة في المكتبة الوطنية في باريس[٢٥٠]، وبات الآن التاريخ المعقد لمخطوط بالادي، والدور غير الملتزم لبوزر نيف حوله معروفاً في أوساط الباحثين المختلفين ، الباحثين المتسمين بالمثابرة والاجتهاد[٢٥١].

وفيما يلي قائمة بالمؤلفين الذين أعادوا بناء النص المغولي المنسوخ المعتمد على: y1 وy2 وy3، وفق ترتيب تاريخي:

١٨٧٢ ـ ٧٨ ـ بالادي (p.i.kaharov): مخطوطات غير منشورة (انظر ما تقدم أعلاه).

١٩٢٠ ـ ب: بيليوت: إكمال نسخه في مخطوطات[٢٥٢].

١٩٣٥ ـ إ.هينش[٢٥٣]، E.Haenisch.

١٩٣٧ ـ نفسه طبعة ثانية[٢٥٤].

١٩٣٩ ــ هاتوري شيرو Qu.Dayarjob,Hattori Shiro، فصل واحد فقط بالخط الايغوري[٢٥٥].

١٩٤١ ــ س.أ.كوزين[٢٥٦].

١٩٤٢ ــ ب. بيليوت[٢٥٨].

١٩٦٢ ــ إ.هينش، إعادة طباعة ١٩٣٧[٢٥٩].

١٩٦٤ ــ ل.ليغيتي I.ligeti[٢٦٠].

١٩٧١ ــ ل.ليغيتي، طبعة ثانية[٢٦١] (انظر ١٩٦٤).

١٩٧٢ ــ آي. دي. راتشيويلتز I.de Rache wiltz[٢٦٢].

١٩٨٠ ــ بايار Bayar، بالخط الإيغوري، ونسخة صوتية[٢٦٣].

١٩٨٤ ــ ١٩٨٩ ــ أوزاو اشيغيو Ozawa Shigeo ، بالخط اللاتيني والإيغوري [٢٦٤].

١٩٨٥ ــ ت.داسيدين T.Dasaden[٢٦٥].

١٩٨٦ ــ ايلدينغتي، أرداجاب Eldengtei,Ardajab، بالخط الايغوري[٢٦٦].

١٩٨٧ ــ يي.ايرينجين Ye.Irinčin في الخط الايغوري (ما قبل الكلاسيكي)[٢٦٧].

١٩٩٠ ــ ب.سمياباتار B.Sum'yaabaatar، بالخط الايغوري [٢٦٨].

١٩٩٧ ــ ج.س. ستريت J.C.Street[٢٦٩].

٢٠٠١ ــ كوريباياشي هيتوشي kuribayashi Hitoshi، كويجينجاب coijinjab[٢٧٠].

وهناك أيضاً نسخة منقولة عن التاريخ السري، غير كاملة وغير منشورة، من قبل كليف Cleaves في غيلفورد Gilford، نيوهامبشاير New Hampshire.

وعلى الإنسان أن يعلن أن أياً من أعمال النسخ للنص وإعادة بنائه، ممن ورد ذكره أعلاه، هو معتمد بشكل مطلق، وفي الحقيقة كثير منهم لم يعد صالحاً من أجل تحليلات لغوية جادة، وهم لهم فائدة تاريخية فقط[٢٧٢]، وما يزال هناك عملاً مطلوباً هو إعداد نص علمي ومعتمد كلياً بالأحرف اللاتينية، على ألا يكون غير كامل من خلال وسيط مثل الخط الايغوري (مع أن هذا من الممكن عملة في مرحلة ثانية)، والذي أراه هو أن عملية البناء التي قام بها ج.س.ستريت، وتنقيح ومراجعة طبعة ليغيتي من قبل كل من كوريباياشي وكوبجينجاب هي الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح.

وقد ترجم التاريخ مرات كثيرة إلى حد أن القارئ يملك التسويغ في أن يسأل عما إذا لم يكن في الحقيقة ترجم أكثر من اللازم، وبما أننا نتعامل ــ على كل حال ــ مع نص صعب ومعقد من الجانب التاريخي والجانب اللغوي، فإن كل عملية ترجمة جديدة مع تعليقات هي مرغوب بها شريطة ألا تكون مجرد تحسين لطبعات ماضية، وأن تضيف شيئاً ما إلى معلوماتنا.

وفيما يلي جدول بالترجمات مرتب تاريخياً، مع تبيان اللغة التي كتبت بها:

١٨٧٢ ــ ٧٨ ــ بالادي: مخطوطة روسية غير منشورة (انظر أعلاه).

١٨٨٠ ــ بوزدنيف (اعتماداً على بالادي): بالروسية الفصل الأول فقط ٢٧٣.

١٩٠٧ ــ ناكاميشيو Naka Michiyo: باليابانية[٢٧٤].

١٩١٧ ــ سيندغون Cend Gun (Cendu Gung): أكمل ترجمته إلى المغولية الحديثة، بالخط الايغوري.[٢٧٥]

١٩٤٠ ــ كيسغباتو Kesigbatu : m.M.u.s الجزء الأول فقط (الفقـرات ١ ــ ١٥٣)[٢٧٦].

١٩٤١ ــ إ.هينش: الألمانية[٢٧٧].

١٩٤١ ــ س.أ.كوزين: الروسية[٢٧٨].

١٩٤١ ــ ألتنفاتير Altanvatir : m.M.u.s[٢٧٩].

١٩٤١ ــ بوكيكيسيغ Bokekeig : m.M.u.s[٢٨٠].

١٩٤١ ــ كيسيغباتو : m.M.u.s[٢٨١].

١٩٤٢ ــ كوباياشي تاكاشيرو kobayashi takashiro: اليابانية[٢٨٢].

١٩٤٣ ــ تاكاميشيو : طبعة ثانية ١٩٠٧[٢٨٣].

١٩٤٧ ــــ س.دامدينـــسورين c.Damdinsuren (c.Damdingsurung) : m.M.u.s[٢٨٤].

١٩٤٨ ــ إ.هينش: طبعة ثانية ١٩٤١[٢٨٥].

١٩٤٨ ــ ب.بيليوت: الفرنسية، الفصول ١ ــ ٦ فقط[٢٨٦].

١٩٤٨ ــ أ.تمير : التركية[٢٨٧].

١٩٤٨ ــ س.دامدينسورين، طبعة مغولية داخلية ١٩٤٧[٢٨٨].

١٩٥٠ ــ ٥٢ ــ أ.موستارت: الفرنسية، فقرات عديدة ونصوص[٢٨٩]، (انظــر ١٩٥٣).

١٩٥١ ــ س.دامدينسورين: ترجمة صينية من قبل هــسيه تسايــشان Hsieh Tsaishan[٢٩٠].

١٩٥٣ ــ أ.موستارت: مجلد واحد، إعادة طباعة ١٩٥٠ ــ ١٩٥٢[٢٩١].

١٩٥٥ ــ ب.بوشا P.Poucha: التشيكية[٢٩٢].

١٩٥٦ ــ س.دامدينسورين: ترجمة صينية، طبعة ثانية[٢٩٣].

١٩٥٧ ــ س.دامدينسورين: طبعة ثانية لنشرة ١٩٤٧، بالخط السيريللبكي[٢٩٤].

١٩٥٧ ــ س.دامدينسورين: طبعة مغولية داخلية لنشرة ١٩٤٧[٢٩٥].

١٩٦٠ ــ ياو تسونغ وو Yao Ts'ung wu مع سشين جاغشيد sechin jagchid: بالصينية[٢٩٦].

١٩٦٢ ــ ل. ليغيتي L.Ligeti: الهنغارية[٢٩٧].

١٩٦٣ ــ ايوامورا شينوبو Iwamura Shinobu: اليابانية[٢٩٨].

١٩٦٥ ــ كو ــ يي بو kuo – yi poo (ünensečen) الانكليزية: الفصل التاسع فقط[٢٩٩].

١٩٧٠ ــ س.كايوزينسكي S.Kaiuzynski: بولندية[٣٠٠].

١٩٧٠ ــ ١٩٧٦ ــ موراكامي ماساتسوغو Murakami Masatsugu: اليابانية[٣٠١].

١٩٧١ ــ ١٩٨٥ ــ أي.دي.رانشيويلتز: الانكليزية[٣٠٢].

١٩٧٣ ــ س.أ.كوزين: ترجمة إيطالية لطبعة ١٩٤١ من قبل م.أولسوفيفا[٣٠٣] M.Olsufieva.

١٩٧٦ ــ س.دامدينسورين: طبعة ثالثة لنشرة ١٩٤٧ بالخط السيريلبكي[٣٠٤].

١٩٧٨ ــ دوروناتيب Doronatib: الصينية[٣٠٥].

١٩٧٩ ــ دوروناتيب: إعادة طباعة لطبعة ١٩٧٨[٣٠٦].

١٩٧٩ ــ سشين جاغشيد: الصينية[٣٠٧].

١٩٧٩ ــ س.دامدينسورين: ترجمة قازاقية لطبعة ١٩٥٧ من قبل س.ماغويا S.Magouiya[٣٠٨].

١٩٨٠ ــ دوروناتيب: m.M.u.s، ترجمة جزئية[٣٠٩].

١٩٨١ ـ إ.هينش: طبعة و هيسلغ لعام ١٩٤٨[٣١٠].

١٩٨١ ـ بايار: m.M.u.s[٣١١].

١٩٨٢ ـ ف.و .كليفو: الانكليزية، المجلد الأول (ترجمة فقط)[٣١٢].

١٩٨٤ ـ ب.كاهن: الانكليزية[٣١٣].

١٩٨٤ ـ ٨٩ ـ أوزلو اشيغيو : اليابانية[٣١٤].

١٩٨٥ ـ إ.هينش: طبعة ثانية لطبعة ١٩٨١.

١٩٨٥ ـ مانسانغ Mansang: m.M.u.s[٣١٥].

١٩٨٧ ـ ك.دوربا K.Dorba: أويرات Oirat[٣١٦].

١٩٨٩ ـ م.توبي M.Toübe: الألمانية[٣١٧].

١٩٩٠ ـ يو.أونون U.Onon: الانكليزية[٣١٨].

١٩٩٠ ـ س.ر.نامزيلوف C.R.Namzilov: بوريات وروسي[٣١٩].

١٩٩٠ ـ س.دامدينسورين: طبعة رابعة لطبعة عام ١٩٧٤ بالخط السيريليكي[٣٢٠].

١٩٩٠ ـ ب.أ.دارفيف،غ.غ.جيميتوف P.A.Daraev,G.G.Čimitov: كالموك Kalmuck، روسي وبوريات[٣٢١].

١٩٩٠ ـ س.غادامبا S.Gaadamba (S.Iadomba): m.M.u.s.[٣٢٢].

١٩٩١ ـ أ. فيدوتوف A.Fedotov: البلغارية[٣٢٣].

١٩٩٣ ـ د.سيرينسودنوم D.Cerensodnom (D.Ceringsodanam)[٣٢٤]: m.M.u.s.

١٩٩٣ ـ يو ـ أونون، (S.Badbury): الانكليزية[٣٢٥].

١٩٩٣ ـ ب.آي.بانكراتوف B.I.Pankratov: الروسية، ترجمة جزئية[٣٢٦].

١٩٩٤ ــ يو ــ وون رسو Ya Wŏn – Su: الكورية[٣٢٧].

١٩٩٤ ــ م.د.إيفين، ر. بوب M-D.Even,R.Pop: الفرنسية[٣٢٨].

١٩٩٥ ــ س.أ.كوزين: طبعة ثانية عن طبعة ١٩٧٣[٣٢٩].

١٩٩٧ ــ أوزاوا شيغيو Ozawa Shigeo: اليابانية[٣٣٠].

١٩٩٧ ــ سيلد غون: نشرة لنسخة مصورة عن طبعة ١٩١٧: m.M.u.s[٣٣١].

١٩٩٧ ــ باك وون ــ غيل Pak won – gil: المجلد الأول فقط، بالكورية[٣٣٢].

١٩٩٨ ــ ب.آي.بانكراتوف: ترجمة جزئية إلى الروسية[٣٣٣].

٢٠٠٠ ــ س.أ.كوزين: إعادة طبعة لطبعة ١٩٩٥[٣٣٤].

٢٠٠٠ ــ كيسيغباتو: إعادة طبعة لطبعة ١٩٤١[٣٣٥].

٢٠٠١ ــ يو أونون: طبعة ثانية مراجعة لطبعة ١٩٩٠[٣٣٦].

٢٠٠١ ــ يو تا ــ تشون Yu'Ta – Chun: الصينية[٣٣٧].

ومع أن هذه القائمة هي كاملة بقدر ما استطعت أن أعملهـا، هنـاك بعض الترجمات أو النصوص من التاريخ السري، لاسيما إعادة الطباعة، وطبعات تالية، لربما تمّ تجاوزها، ومع ذلك أنا واثق بأن جميع الأعمـال المهمة قد أدخلت في القائمة[٣٣٨].

واعتمدت جميع الترجمات التي ورد ذكرها أعلاه على النص المغولي بالخط الصيني، ولكن هناك أيضاً العديد من الترجمات عن النص الصيني الحر المختصر، لابد من ذكرها، وهم فيما يلي وضـعوا وفـق التسلـسل التاريخي:

١٨٦٦ ــ بالادي: الروسية[٣٣٩].

١٩٥٧ ــ وي كوي ــ سن Wei Kwei Sun = الانكليزية.

١٩٦٣ ـ أ.ويلي A.Waley: الانكليزية[٢٤٠].

١٩٩٧ ـ سيند غون: m.M.u.s[٢٤٢].

٢٠٠٠ ـ ل.راميرز بيليرين L.Ramirez Bellerin: اسباني.

وعلى ضوء وجود عدد كبير من النصوص المنسوخة والترجمات، من المواثم إخبار القارئ بفضائلهم بالنسبة إلى بعضهم بعضاً.

فبين النصوص المغولية المنسوخة بالحرف اللاتيني هناك نصوص: ل.ليغيتي، وآي.ديراتشيويلتز، وس.أوزاوا، وج.س.ستريت، وهي نصوص موصى بها، شريطة استخدام النصين الأولين مع بعضهم مضاف إليهما الإضافات المتأخرة والتصحيحات[٢٤٤]، ولربما سيجد اللغويون نسختي: أوزاوا وستريت من الممكن ربطهما بهذا أو بذاك.

وفيما يتعلق بالترجمات، أنا أعتقد أن الأعمال التي قام بها: أ.موستارت، ول.ليغي، وم.موراكامي، وس.أوزاوا، وف.هـ.كليف، ودوروناتيب، وس.غادامبا، ود.سيرينسودنوم، لهم قيمة عالية، والاسهام العملاق لأوزاواهو: «سين قو انون sine qua non»، بسبب أن تعليقاته اللغوية الفنية، لا يمكن لنا الاستغناء عنها مقابل الحواشي الغنية والتعليقات التي قدمها موستارت، والباحثين الآخرين، وفيما يتعلق بالمدة المبكرة، الذي أراه هو أن عمل: م.ناكا، وإ.هينش كانا هما الأفضل، وكان من غير الممكن مقارنتهما، إلى المدة التي ظهرت فيها دراسة كل من موستارت، وليغيتي.

ويستحق عمل كليف ذكراً خاصاً، فقد كان هدفه من هذه الترجمة تقديم النص المغولي الأصيل بقدر ما أمكن من أمانة، حتى فيما تعلق بالنحو، وببناء الجمل، وذلك في سبيل مضارعة اللغة القديمة للنص الأصيل،

واستخدم الانكليز في الترجمة «بعض الكلمات المهجورة إلى حد ما»، جرى تكييفها من قبل كليف بقدر ما سمحت «نصوص اللغة للكتابات المقدسة»[٣٤٥]، واعتقد كليف نفسه بأن الترجمة أكثر مواءمة من أجل التلاوة، أكثر من القراءة الصامتة[٣٤٦]، ومع أنه جرت إضافة الكثير من الحواشي إلى الترجمة، فإن المجلد المخطط له لم يظهر على الاطلاق، كما أن المدخل الذي يتعامل مع النص التاريخي للتاريخ السري، هو غير كامل[٣٤٧].

وفي أوقات كانت صعبة إلى درجة الغموض بالنسبة للقارئ العلماني[٣٤٨]، مع ذلك يعد كتاب كليف على درجة عالية من الأهمية، لأنه مثل جهداً مشتركاً لاثنين من أعظم العلماء في ميدان اللغة المغولية القديمة (يعني اللغة ما قبل الكلاسيكية، والمغولية الوسيطة)[٣٤٩]، وعمل موستارت وكليف المبذول في إعداده جهود كبيرة، هو القاعدة لجميع الترجمات الحالية والمستقبلية، وهو في الحقيقة عمل عملاق، وجميع الترجمات لما بعد عام ١٩٨٢، ونصوص الملحمة التاريخية المغولية، استفادت منه كثيراً جداً، ولهذا السبب أنا أضفت إلى العمل الحالي قائمة بالإضافات والتصحيحات لكتاب كليف.

وأما بالنسبة لترجمة النص الطبيني المختصر، ستبقى الترجمة التي عملها بالادي، هي الأكثر صحة، مع أنها في بعض الأحيان صعبة القراءة، وفي حين أن عمل ويلي، من المؤكد أنه الأكثر قراءة، ولكنه لسوء الحظ بعيداً عن الاكتمال، إنما جميع النصوص التي لها قيمة موجودة فيه.

وفيما يتعلق بالطبعات الصينية الثلاث للنص، والتي لا يستغنى عنها (y1 وy2 وy3) قد جرى بحثها من قبل في الفقرة الرابعة، والمجلد

الحاوي لطبعة عام ١٩٧٥ (Y S C) هو الأكثر مواءمة للاستخدام، وهو أكثر سهولة للحصول عليه، من المجلدات الثلاثة كل على حده، ويقدم المجلد السادس من عمل أوزاوا ($o-z^1$) طبعة محققة بشكل نقدي للنص يمكن الاعتماد عليها، والطبعة المؤلفة من مجلد واحد التي عملها إيدينغتي وأويوندالاي Oyundalai (El – Oy) هي أيضاً موائمة للاستخدام، ولكن:

١ ـ ترقيم الصفحات لا يتماشى مع ترقيم y1 وy2، و:

٢ ـ أنقل النص في اتحقيقه. و:

٣ ـ نص الترجمة الحرة المختصرة، في نهاية المجلد، عرض بصفة مبسطة.

وكانت طبعة بايار في ثلاثة مجلدات (Ba) قد أنتجت بعناية، وهي الأكثر مواءمة للاستخدام، وهي لا تشبه El – Oy في فقراتها التاريخ السري، يعني الفقرات ٢٨٢، فهذه الفقرات غير مرقمة وترتيب الأسطر، والنسخ الصوتي ليس من السهل التعرف عليه بالنسبة للكلمات أو للنصوص، وعلى الرغم من هذه السمات وهذا النقص، هم أيضاً إسهام ثمين.

٨ ـ الدراسات الحديثة والمعاصرة للتاريخ السري

ليس من السهل لعلى الإنسان العثور على طريقة للحديث عن الروعة الأدبية للتاريخ السري، فالمقالات، والاطروحات، والدراسات، والكتب حول الموضوع قد نشرت في عدد كبير من اللغات، وهم يزدادون بالعدد، ولاسيما في العقدين الزمانيين الأخيرين، وقد ظهر بعضهم في مجلات ومنشورات، إما أن بعضها قد ظهر وهو غير معروف، أو من الصعب

الوصول إليه، وسمة هذه الإسهامات غير متوازنة كثيراً، ومع ذلك إنه لمن الضروري دراسة العدد الأكبر منهم بقدر الإمكان.

هذا وإن أفضل قوائم المصادر والمراجع العامة، والمختصة (بما في ذلك أطروحات حول المصادر ومقالات) هم المصادر للإحالة والتوثيق مع فهارس محتويات المكتبات[٣٥٠]، ونشرت كثير من المجلات حول التاريخ الأسيوي، وفقه اللغة، وحول آسيا الوسطى، والدراسات المغولية، مقالات حول التاريخ السري[٣٥١]، وأكثر الإسهامات أهمية ـ مقالات ودراسات وكتب ـ قد وضعت قوائم بمصادر الكتب حول التاريخ السري، مثل الكتاب الحالي، وجرى احتلال مركز خاص من الأبحاث، والمقالات، والنقل لمختلف المصادر، وفي المؤتمرات حول الدراسات الآسيوية، والألتكيه Altaic، والمغولية، حيث جرى تقديم مقالات حول مختلف جوانب التاريخ السري ونشرها[٣٥٢]، وجاء من بعد ذلك رسائل الأخبار، والمقالات والدراسات التي تصدر في بعض الأحيان عن مؤسسات مثل: الجمعية المغولية لبلومينغتون Blomington، واندیانا Indiana، التي إليها وجدت بعض المواد التي لها علاقة بالتاريخ المغولي، طريقها أيضاً، وإلى هؤلاء ينبغي أن نضيف مجلدات ذكرى Festschriften، ومجلدات تحتوي بالغالب، أو موافقة بشكل حصري، على الأبحاث حول التاريخ السري، وجميع هذه النشرات من السهل نسيانها[٣٥٣].

ولسوء الحظ أننا لا نمتلك بعد مسرد للمصادر حول الموضوع، يصدر بين آونة وأخرى، ولذلك يتوجب على الإنسان التفتيش والبحث بين كثير من المواد ليجد المعلومات المطلوبة؛ وأن يستخدم الاتصالات الشخصية، التي هي في الغالب أفضل الطرق.

وتحتل المواد الأكثر أهمية حول التاريخ السري، المواد التي تعالج لغته، وهي اللغة التي تعرف بشكل عام باسم المغولية الوسيطة، ولحسن الحظ، أننا خدمنا من هذا الجانب بشكل جيد، بسبب أن قواعد، وتركيب الجمل في التاريخ السري قد تناولها البحث باستيعاب ودقة، ولاسيما القواعد، وذلك منذ البدايات المبكرة للأبحاث التي تناولت هذا الموضوع من قبل ن.بوبي، وإ.هينش(٣٥٤)، ولقد ظهرت عدة أبحاث فائضة حول القواعد على أيدي: ج.س.ستريت، وس.غودزينسكي، وس.أوزاوا(٣٥٥)، ومن خلال الأبحاث حول جوانب متعددة بشأن لغة التاريخ السري، والوثائق المغولية حول القرنين الثالث عشر، والرابع عشر، التي نشرت بأشكال متنوعة (مقالات، وأبحاث، وكتب(٣٥٦))، بما في ذلك قواعد لغة ألتان توبجي، وهي قد أقحم فيها كثيراً من الأمثلة التي أخذت من التاريخ السري (٣٥٧).

ومع هذا الوقت ظهر أدب واسع حول النصوص المغولية الوسيطة في أبجدية phagspa وأبجديات أخرى (فارسية وعربية، الخ)، مع الدراسات الواسعة حول المواد المغولية بالخط الايغوري، وقد ملأ هذا الأدب الفراغ في معلوماتنا إلى أبعد الحدود، وذلك حول اللغة المغولية القديمة، وجعل نصوصاً صعبة مثل التاريخ السري من السهل التعامل معه، والتوصل إلى فهمه، وواحداً من الموضوعات المهمة التي تتطلب الاهتمام من الدراسات المعمقة هو بناء الجملة المغولية لما قبل المرحلة الكلاسيكية، الذي هو غير مستقر ومعقد، وهناك مسألة أخرى تتطلب هجوماً قاسياً، هي مشكلة نوقشت مطولاً حول النسخ، وما يزال العلماء منقسمون حول قيمة الشارات الحلقية، والشفوية(٣٥٨).

ونالت دراسة مفردات التاريخ السري، عوناً كبيراً، بأعمال النشر التي مضى عليها حتى الآن حوالي خمسة وستين عاماً، ولاسيما الدراسة الثمينة «worterbuch» التي أعدها هينش[٢٥٩]، وبوساطة الكلمة التي تشير أنها سوف تتبعها، وأول أمثال هذه الإشارات، هي عكسية من دون الإشارة إلى الصفحة أو الفقرة، قد ظهرت في العام ١٩٦٩، وظهر فهرس كامل للأفعال في العام ١٩٧٢، وفهرس كامل للألفاظ (من دون الكلمات الملحقة) في ١٩٩٣ / ٢٠٠٠، وفهرس كامل للكلمات وملحقاتها (مع صور (y^2) في العام ٢٠٠١) وكان واحداً من أعظم الأدوات قيمة من أجل شرح الغريب في التاريخ السري لاسيما ما تعلق بالاصطلاحات، جاء إنتاجاً لجهد جماعي لفريق من الباحثين في داخل منغوليا، الذين فحصوا بتفاصيل كبيرة في الغالب الدلالات الداخلية لمئات الكلمات[٢٦١].

وهناك الآن فريقاً عالمياً من الباحثين يعمل على إعداد معجم للمغولية ما قبل الكلاسيكية، سوف يتضمن أيضاً الأشكال المغولية الوسيطة.

٩ ــ العمل الحالي

المقصود من هذا المدخل خدمة مقصده الأدبي، يعني فقط تقديم القارئ إلى التاريخ السري، وإلى مشاكله، وهو يغطي الشؤون الأساسية، مثل مكان التصنيف وزمانه، والتأليف، وتاريخ النص، من دون تشويش القارئ بكثير من التقنيات، كما جرى التعامل بما فيه كفاية مع موضوع قيمة التاريخ السري كمصدر تاريخي وأدبي.

ومن جانب آخر من الممكن قول المزيد حول موضوعات أخرى، مثل العلاقات بين التاريخ السري، وألتان توبجي، والفلسفة السياسية الكامنة

تحت العمل، وكذلك حول قيمتــه كمــصدر حــول التــاريخ الاجتمــاعي والاقتصادي لتلك المدة، ولاسيما ما تعلق بالمكانة الخاصة التي يحتلها في الإطار التاريخي والأدبي لملاحم وسط آسيا، وفي الحقيقة إن أياً من هــذه الموضوعات يمكن أن يكون بسهولة موضوعاً لكتاب، وأنا آمل أنــه فــي النهاية سوف تجري معالجة هذه الجوانب المهمة من العمل، اعتماداً علــى مصادر ومعلومات لم تكن متوفرة للباحثين في الأجيال الماضــية، ومــن الممكن الوقوف على الإحالات على هذه المصادر، وعلى الإسهامات التي عملت من قبل الباحثين الحديثين والمعاصرين، في التعليقات، ومؤسف أن بعض المنشورات من روسيا، ومنغوليا، والصين، لا يمكن العودة إليهــا، وعدد منهم قد ورد ذكرهم ونقل عنهم كمصادر من الدرجة الثانية[٣٦٣].

واتبعت الترجمة إلى حد بعيد الطبعة الأولى (ra) واســتهدفت حــلاً وسطاً بين الإخلاص للأصل المغولي وإمكانية القراءة، ولم يكن هذا مــن السهل الوصول إليه وتحقيقه، بسبب الطبيعة المختلفة بالذات للغة جنكيــز خان، واللغة الملكية الانكليزية، ففي الوقت الذي قصد فيه أن تكون ترجمة ف.و.كليف ترجمة حرفية وأدبية في نقل الأصل، (مثل نص الملك جيمس بالانكليزية) فإن ترجمتي قد صممت بالدرجة الأولى لتزويد القارئ بترجمة صحيحة، وفي الوقت نفسه أن تكون هذه الترجمة سلسة بانكليزية حديثــة، وفي الوقت الذي قادت فيه المعايير نصوصنا الخاصة هي مختلفة، فإن هذه المعايير مع ذلك متكاملة[٣٦٤].

وتابعت استخدام الحروف المائلة من أجل إضافاتي في سبيل تجنــب الجمل المعترضة والحواصر المربعة، وأنا أحتفظ بهم من أجل الاقحامات

الأقل (انظر الإشارات والعلامات الموائمة)، بحكم أن العدد الكبير من الجمل المعترضة والحواصر تميل إلى تشويه الصفحة، وبما أنه توجبت المحافظة على القليل من الاصطلاحات المغولية والأجنبية بشكلها الأصيل (مثل: قودا، وغور، وقان) أنا آثرت المحافظة على هذه الاصطلاحات لتجنب الفوضى[٣٦٥]، وأنا استخدمت المزيد من الاصطلاحات العلمية والمغولية بنسخها كما هي من اللغة المغولية والألتكية، وأنا لم أقسم الأسماء المركبة الجغرافية وأسماء الأعلام بوساطة فواصل أو غير ذلك، كما حدث في الطبعات الماضية[٣٦٦].

وكان واحداً من أكثر جوانب الترجمة صعوبة الالتزام بشكل مستمر باستخدام الأحرف المائلة، ولاسيما بامتلاك الضمائر (كقاعدة لم تكتب الضمائر الشخصية بالأحرف المائلة)، وفي الترجمة نفسها عند نقل الكلمة المغولية نفسها أو التعبير إلى الانكليزية في إطار مختلف، وفي اتخاذ قرار حول استخدام الحرف المائل لكتابة ضمير أو اسم، أنا تركت نفسي أقاد بوساطة بديهتي وحدسي أكثر من أن أقاد بالمنطق، وبذلك عرضت نفسي إلى النقد[٣٦٧]، وفيما يتعلق بالتماسك في الترجمة، قدرت حقيقة أنه في المغولية كما هو الحال في اللغات الأخرى، يمكن لكثير من الكلمات أن تمتلك ــ وبالفعل تمتلك ــ دلالات واسعة، وفي أثناء محاولتي أن أكون مستساغاً بقدر ما هو ممكن، أخذت بعين التقدير كل من الإطار والاستخدام الانكليزي، ولا يمكن أن يكون هناك انسجاماً «كاملاً»، كما ظهر أيضاً من خلال جهود ف.و.كليف في إخراج نص منقول حرفياً للنص المغولي[٣٦٨]، ومثل هذا، توجب عليّ استخدام طرائق متنوعة في ترجمة الألفاظ المغولية لتجنب بناء مشوش بالإنكليزية[٣٦٩].

والترجمة مرافقة ببعض الحواشي للمساعدة على حل بعض المشاكل المباشرة في التفسير، من دون الإشارة المستمرة للتعليقات، وأيضاً لنصيحة القارئ بالعودة إلى التعليقات عندما يقتضي الحال من أجل فهم كامل للنص.

وازدادت التعليقات كثيراً خلال الأعوام، وهم الآن ضعف حجم تعليقات الطبعة الأولى، وهي حقيقة تعكس التطور في الدراسات المغولية في العقدين الزمانيين الماضيين، ومع أنه كان المقصود من التعليقات أن تكون تاريخية ولغوية، هي لم تعالج جميع السمات اللغوية للتاريخ السري، بل عالجت فقط السمات التي ما تزال متعلقة بفهم النص، وهي ما تزال ملتبسة، و ــ أو ــ مثيرة للخلافات، والشيء نفسه ينطبق على المشاكل التاريخية، وبشأن معالجة أكمل للكلمات الفردية والاصطلاحات، ومثل ذلك الخصوصيات النحوية والتراكيب، ينصح القارئ بالعودة إلى العمل الذي لا نظير له الذي أخرجه أوزاوا[٣٧٠] (oeuvre)، وليس هناك ــ لسوء الحظ ــ ما يعادل عمل أوزاوا في المساعدة على حل ما لا يحصى من الإرباكات التاريخية والجغرافية المفروضة من قبل التاريخ السري، وما تزال هناك بعض المشاكل، ولكنني آمل مخلصاً بأن التعليقات مضت نحو حل معظم القضايا التي ما تزال معلقة بالنسبة للمختص بالمغوليات، وغير المختص معاً.

وفي سبيل تسهيل مهمة المستخدم للكتاب، جرى تجهيز عدد كبير من الملاحق[٣٧١] على شكل ثلاثة فهارس: وبناء عليه يمكن للتعليقات ألا تساعد فقط على شرح النص والترجمة، بل أيضاً تحيل القارئ إلى سلسلة

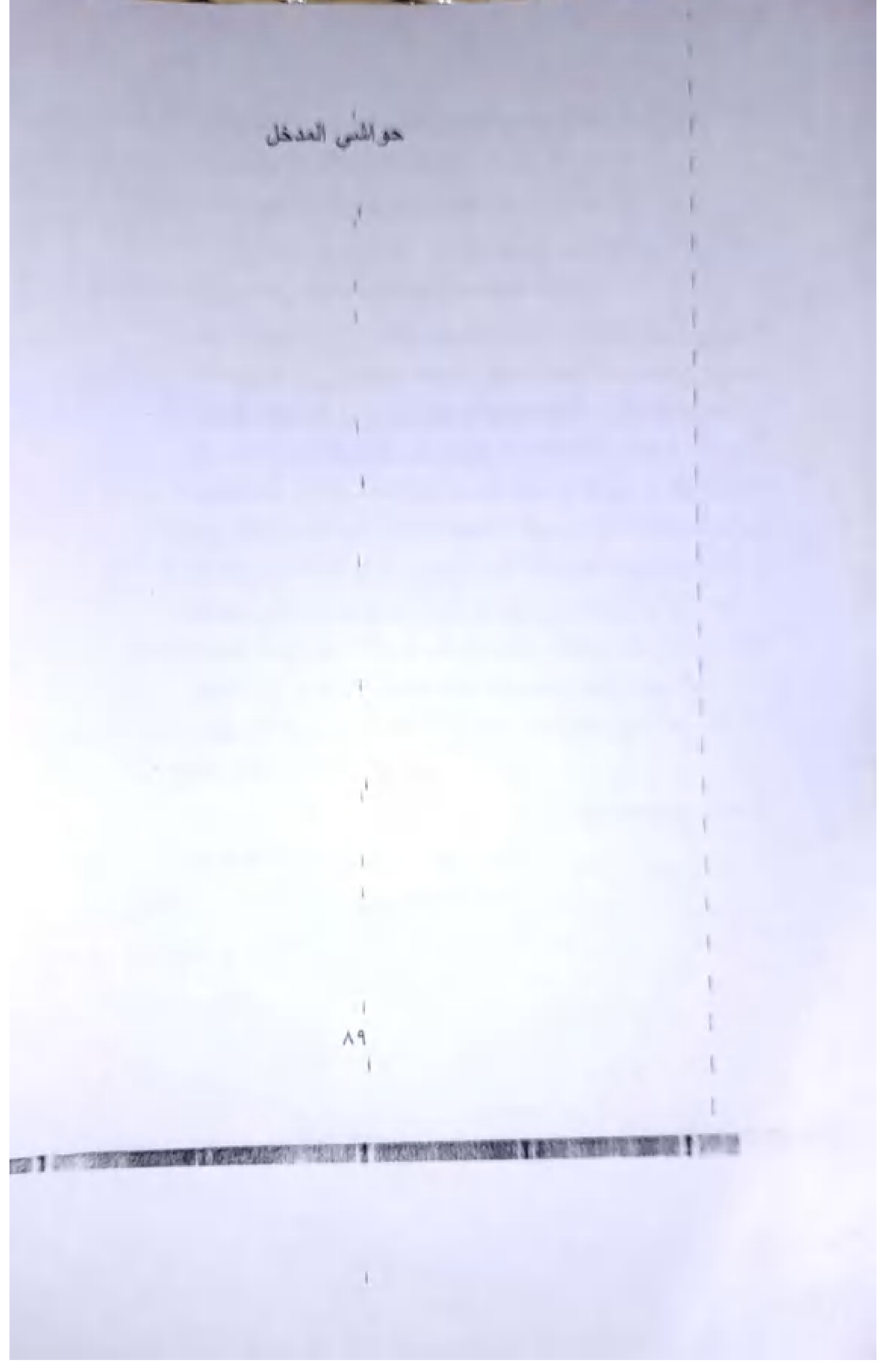
واسعة من الموضوعات، بشكل مباشر أو غير مباشر، أي الموضوعات التي لها علاقة بالتاريخ السري.

وأخيراً لابد من ذكر النقاط التالية:

١ ــ إن النص المنسوخ الذي تأسست الترجمة عليه، هو النص الذي كنت قد نشرته في العام ١٩٧٢، بعد مراجعته كما ينبغي.

٢ ــ وباستثناء بعض الأخطاء الإملائية، التي جرى تصحيحها، وأشير إليها في الحواشي، إن شكل أسماء الأعلام والأعلام الجغرافية في الترجمة هو نفسه الموجود في التاريخ السري، وبالنسبة للقراءات المتنوعة أو البديلة، فقد أشير إليها بالحواشي أو في التعليقات، وفيما يتعلق بأسماء القبائل المغولية، هي كتبت دوماً بالمغولية، وهكذا كتب اسم جنكيز قاآن، وليس كجنكيز قاهان[٣٧٣]، وأيضاً باستثناء قليل من الأسماء مثل «المغول» و«التتار» و«الايغور»، التي صارت عملياً واحدة في معظم اللغات الغربية، أنا تركت جميع أسماء القبائل المغولية والتركية من دون تغيير بصيغة الجمع، مثل: التايجيوت، والأنغوت، والنيمان، الخ، وعدد من هذه الأسماء هي في الحقيقة بصيغة الجمع في المغولية، وبتصرفي هكذا أنا اتبعت بشكل فعلي الممارسة التي تبناها ب.بيلوت، وأ.موستارت، وف.وكليف، وباحثون آخرون[٣٧٤].

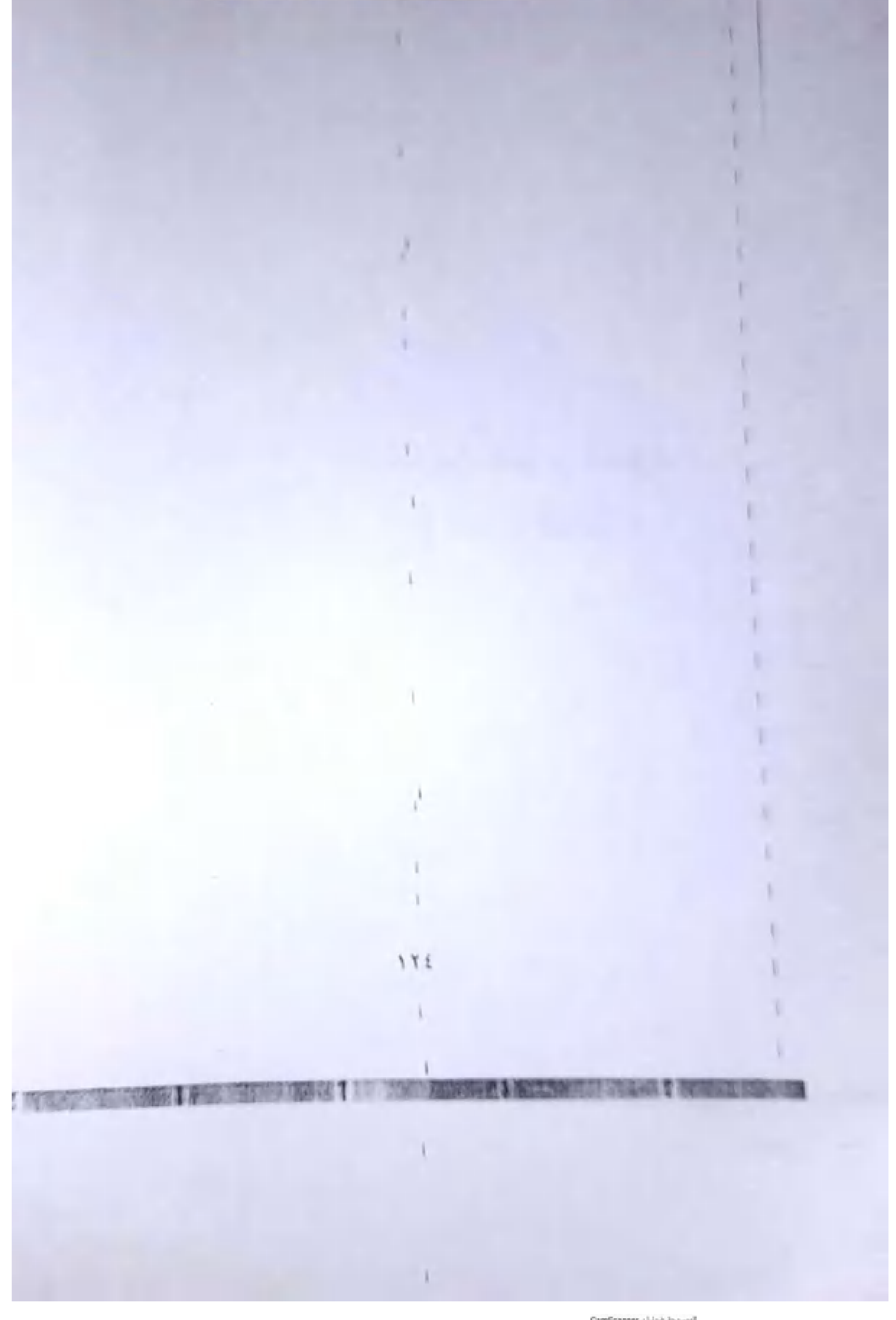
٣ ــ وقدمت الإحالات في الغالب على شكل مختصرات، وهناك قائمة بالمختصرات في قائمة المصادر.



حواشي المدخل

التاريخ السري للمغول

(النص الكامل)



الفصل الأول

أصول جنكيزخان

في البداية كان هناك ذئباً أغبر، ولد بإرادة مقررة من السماء في الأعلى، وكانت زوجته ظبية سمراء، وقد جاءا ليعبرا البحر، واستقرا بعد ذلك عند نبع نهر أونان Onan على جبل برقان قالدون، وهناك ولد لهما باتا سيقان Bataciqan.

وكان ابن باتاسيقان هو: تاماكا Tamaca، وكان ابن تاماكا هو: قوريكار ميرغان Qoricar Mergan، وكان ابن قوريكار ميرغان هو: أوجام بوروأول A'ujam Bora'ul، وكان ابن أوجام بوروأول هو: سالي قاكاو Sali Qaca'u ، وكان ابن سالي قاكاو هو: يكي نيدون Yeke nidun ، وكان ابن يكي نيدون هو: سيم سوجي Sem Sogi ، وكان ابن سيم سوجي هو: قاركو Qarcu.

وكان ابن قاركو هو: بورجيغيداي ميرغان Borjigidai Mergen ، وكانت لهذا زوجة هي مونغقولجين قوا Mongqoljin Qo'a ، وكان ابن بورجيغيداي ميرغان هو : تورو قولجين بايان Toroqoljin Bayan ، وكان لهذا زوجة هي بوروقجين قوا Boroqcin Qo'a ، ومملوك شاب اسمه بورولداي سويالبي Boroldai sualbi ، وخصيين جيدين هما: داير Dayir وبورو Boro ، وكان لتورو قولجين ابنان هما: ديوا سوقور DU'A Soqor ، ودوبون Dobun.

وامتلك ديوا سوقور عيناً واحدة في منتصف جبينه، غير أنه كان يستطيع رؤية ما يدور حوله على مسافة بعيدة أمامه.

وذات يوم انطلق ديوا الأعور مع أخيه دوبون الماهر لتسلق قمة جبل بورقان قالدون Burqan Qaldun ، وبينما كان يتطلع من تلك القمة نحو الأسفل رأى ديوا الأعور عصبة من الناس تتقدم بجانب نهر يدعى تونغليك Tunggelik وباتجاه مجراه، فقال ديوا: "هناك عربة سوداء وسط أولئك الناس الذين يتابعون مسيرهم، وفي مقدمتها تجلس امرأة وسيمة" ثم استطرد قائلاً: "إنها إذا لم تكن متزوجة فلنتخذ منها زوجة لأخي الأصغر دوبون" فطلب ــ وهو يقول ذلك ــ من دوبون أن يذهب ويلقي بنظرة.

وعندما مضى دوبون ميرغان إلى بين تلك العصبة من الناس ونظر إليهم، وجد أن المرأة كانت تدعى آلان قوا Alan Qo'a الجميلة، ولقد كانت حقاً وسيمة للغاية، ولم تكن متزوجة.

وكانت العصبة إياها عائلة قوريلا ــ تاي Qorilartai البارع، فلقد كان لرجل يدعى بارقوداي Barqudai البارع صاحب أرض كول ــ بارقوجين Kol ــ Barqujin من قبل، ابنة تدعى بارقوجين الجميلة وكانت قد تزوجت من زعيم عشيرة قوري ــ تومات Qori ــ Tumat الذي يدعى قوريلاتاي البارع، وأنجبت له في أريق ــ يوزون Ariq ــ Usun ابنة دعيت آلان الجميلة.

وسبب رحيل قوريلا ــ تاي هو أنه غضب في إقليم قوري تومات من بعض الناس الذين احتفظوا لأنفسهم بصيد الدلق، والسنجاب، ومنعوه من صيد أي منها، فسمع بأن صيد الطرائد وفير في قمة بورقان، فما كان منه إلا أن شد الرحال مع عائلته بأسرها، والتجأ إلى أحد سادة قمة بورقان، وهو شينشي Shinchi الغني، وكان هذا كيف برز اسم عشيرة قوريلا ــ تاي إلى الوجود، وكيف جعل دوبون البارع من آلان الجميلة زوجة له.

وبعد أن أصبحا زوجين رزقا ابنين هما بيلغونيوتي Belgunutei وبغونيوتي Bugunutei، بينما رزق ديوا الأعور، أخو دوبون البارع الأكبر سناً، أربعة أبناء، وعندما توفي ديوا، بعد وهلة من الزمن، لم يعامل دوبون الأبناء الأربعة كعمّ لهم، فانفصلوا عنه وخرجوا ليسلكوا طريقهم الخاصة بهم، وهكذا برزت عشيرة دبون (أربعة) إلى حيز الوجود.

وخرج دوبون البارع ذات يوم، فيما بعد، إلى جبل يدعى طوقوتشاق Toqachaq ليصطاد الدلق، وأثناء سيره في الغابات لقي رجلاً من قبيلة يوريا نغقاني Uriangqani كان قد أخذ غزالاً عمره ثلاث سنوات فقتله، وقام بطبخ أحشاءه وخاصرتيه، وتساءل دوبون فيما إذا كان بوسعه أن يحصل على قطعة لحم، فما كان من اليوريا نغقاني إلا أن احتفظ لنفسه بالحجاب الحاجز والمعلاق (الرئتين) وأعطاه ما تبقى من اللحم.

فعندما حصل دوبون على لحم الغزال هذا عاد به إلى البيت، وفي طريقه التقى برجل فقير يصطحب صبياً معه، فسأله دوبون ممن أنت يا هذا؟ فأجابه الرجل: "إنني من فرع المآليق Ma'aliq من عشيرة بيا أودي Baya,udai ، وإنني في ضيق من أمري، لذا أطلب إليك أن تعطيني بعضاً مما لديك من اللحم، وتأخذ الصبي مقابل ذلك" ففعل دوبون وأعطاه إحدى القوائم الخلفية للغزال، وأخذ الصبي مقابلها ليقوم بخدمته في بيته.

وبعد وفاة دوبون أنجبت زوجته، آلان الجميلة، ثلاثة أبناء يدعون: بوقو كاتاغي Buqu- Katagi وبوقاتو سالجي Buqatu- Salji وبودونتشار Bodanchar، فتشاور كل من بيلغونيوتي وبيغونيوتي، اللذان كانا قد ولدا عندما كان دوبون لا يزال حياً، سراً فيما بينهما وقالا لبعضهما: "على الرغم من أنه ليس لوالدتنا زوج، ولا أشقاء زوج فقد أنجبت ثلاثة أبناء،



والرجل الوحيد في المنزل هو ذلك الخادم من عشيرة المآليق بيا أودي، فأغلب الظن أن يكون هؤلاء الأبناء الثلاثة أولاده، ومهما يكن من أمر فقد سمعتهما الأم وفهمت ما دار بينهما من حديث.

وذات يوم من أيام الربيع كانت أمهم آلان الجميلة تقوم بطبخ بعض لحم الضأن الذي كان قد حفظ منذ الشتاء، فنادت أبناءها الخمسة وجعلتهم يجلسون في صف، ثم ناولت كل واحد منهم سهماً وطلبت إليه أن يكسره وعندما نفذ كل واحد ما طلب إليه ربطت خمسة سهام في حزمة واحدة وطلبت إليهم أن يكسروا الحزمة، غير أن واحداً منهم لم يتمكن من أن يفعل ذلك.

فقالت: "إنكما تتساءلان أنتما الاثنان يا بيلغونيوتي، وبوغونيوتي من هو والد أبنائي الثلاثة، ولست أعجب أنا من ذلك، إنكما لا تعلمان بأن رجلاً شاحباً أصفر، كان يدخل كل يوم عبر مدخنة السقف (الروزنة) أو الفجوة فوق الباب، ويطرق بطني، وما أن يغوص نورة في أعماق بطني حتى يغيب مبتعداً وراء أشعة الشمس أو القمر، فيبدو ككلب أصفر.

فعليكما ألا تتعجلا وتتهورا في الحديث.

وإنه لمن الواضح بالنسبة لمن يعلم في هذه الأمور.

بأن هؤلاء الأبناء الثلاثة هم أبناء السماء.

ويجب ألا يقارنوا البتة بالبشر العاديين.

ولن ينظر إليهم بما هم عليه من حال إلا بعد أن يصبحوا أباطرة".

وعند ذلك سوف يفهم الناس العاديون.

وعلمتهم آلان الجميلة درساً، قائلة: "أنتم الأبناء الخمسة ولدتم جميعاً من رحم واحد، وأنتم مثل هذه السهام الخمسة الآن، التي عندما أخذت

واحداً واحداً كسرت، وإذا ما بقيتم أنتم أيها الإخوة على رأي واحد فلسوف تكونون مثل السهام، عندما ربطت مع بعضها، لن يكون أحداً قادراً عل كسركم"، ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى فارقت والدتهم الآن الجميلة الحياة.

ـ وبعد وفاتها تقاسم: بيلغونيوتي، وبوغونيوتي، وبوقو قاتاجي، وبوقاتو ـ سالجي الملكية فيما بينهم، ولم يعطوا بودونكار، الذي كانوا يظنون بأنه ضعيف وسخيف، أي جزء منها وعاملوه وكأنه لم يكن أخاً لهم.

وعندما رأى بودونكار بأنهم لا يعاملونه كأخ قال: "ما الفائدة من بقائي هنا؟ فالأفضل لي أن أمشي في حال سبيلي، والأمر سيان بالنسبة لي، فإن مت أكون قد مت، وإن عشت أكون قد عشت"، وهكذا فقد امتطى حصاناً أبيض بعلامات داكنة، وجرح عميق مؤلم في ظهره، وذيل هزيل، وسار على جانب نهر الأونان Onan حتى وصل إلى بلجون، آرال Baljun- Aral حيث أقام لنفسه كوخاً من الأعشاب يأوي إليه.

وبينما كان يقيم هناك وقعت عينه على باز أصفر حديث السن، كان قد اصطاد تدْرجاً، فوردت لذهنه فكرة، ثم قام بنتف بعض الشعر من ذيل الحصان وصنع منها شركاً اصطاد به الباز، ورباه وعندما مرة لم يكن يجد شيئاً يقتات به، شاهد دلقة برية على منزلق صخري تحيط بها مجموعة ذئاب فكان يرمي بعضها ويقتلها أحياناً، ويمضي أحياناً أخرى ليجمع الفضلات التي تخلفها الذئاب فيدبر لنفسه وجبة ويُقيت بازه، وقضى الشتاء بطوله، يعيش على هذا النحو.

ومع حلول فصل الربيع بدأت تصل طيور الأوز، والبط البري، ووقتها شرع بودونكار يُجيّع بازه لوهلة من الزمن، ثم كان يطلق سراحه

فيصطاد له عدداً من الأوز والبط، والذي لم يستطع هو أكلهم جميعاً، كان يعلقهم على شجرة ذابلة حيث يبقون هكذا إلى أن تصبح رائحتهم نتنة، وهكذا:

تلطخت كل شجرة برائحتهم النتنة.

وكل شجرة ميتة تلطخت أيضاً برائحتهم البشعة.

وإلى الشمال من جبل دويرن Duiren كانت تقيم جماعة من الناس الذين كانوا قد قدموا على طول مجرى نهر تونجيليك، واعتاد بودونكار أن يُطيِّر بازه كل يوم ثم يمضي بعدها إلى أولئك الناس ويطلب منهم حليب المهاري (القمز) ليشربه، ثم يعود إلى كوخه عند حلول الظلام ويقضي ليله فيه.

وحاول هؤلاء الناس الحصول من بودونكار على بازه، لكنه لم يستجب لطلبهم علماً بأن لم يسألهم في يوم من الأيام من كانوا، كما أنهم لم يسألوه هم بدورهم عن اسمه، بل سارت الأمور بينهم وبينه على ما كانت عليه.

وبعد حين من الزمن قدم بوقو – قوتاجي، أخو بودونكار، على طول نهر الأونان ليبحث عنه، وعندما أتى إلى شاطئ التونجيليك قابل أولئك القوم الذين كانوا يخيمون هناك، وتوجه إليهم بالسؤال "هل رأيتم هنا رجلاً مظهره كذا وكذا يمتطي جواداً كذا وكذا؟"، فقالوا له: "أجل هناك" في الواقع رجل تماماً كالذي تصفه، فهو يصطاد ببازه الأصفر خلال النهار، ويأتي إلينا ليحصل على بعض الحليب (القمز) ليشربه، لكن مالا نعرفه هو أين يقضي ليله، على أية حال عندما تهب الرياح شمالية غربية تجر معها زوابع من ريش الأوز والبط باتجاهنا، لذا فإننا نعتقد بأنه من المؤكد أن

يكون مقيماً في تلك الجهة، وهو يأتي حوالي هذا الوقت تماماً، وقد يكون من الأفضل أن تنتظراه قليلاً".

وفي ذلك الحين رأى بوقو – قوتاجي رجلاً قادماً، وكان هو فعلاً بودونكار، فدعاه أخوه، وأعاده معه، فتبعه بودونكار هرولة، وبينما كانا يسيران قال: "إن البدن يرحل على غير هدى بدون الرأس، والمعطف بلا قبة، لا منفعة فيه" ولم يجب أخوه بكلمة، فكرر بودونكار الكلام ذاته وأجابه أخوه هذه المرة قائلاً: "لقد كررت الشيء ذاته مرتين، فما الذي تقصده؟" فقال له بودونكار: "إن أولئك الناس الذين رأيتهم بجانب نهر تونجيليك لا رئيس يحكمهم، وهم لا يفرقون بين العظيم والصغير، وإنه لمن السهل أخذ مثل هؤلاء الناس، فدعنا نعود ونأسرهم"، وقال له أخوه: "إذا كان الأمر كذلك دعنا نعود إلى البيت الآن، وعندما نتشاور في الأمر فيما بيننا نحن الإخوة سنعود، ونجعل منهم أسرانا".

وعندما وصلا إلى البيت تحدث الإخوة فيما بينهم بالأمر، وتم التوصل إلى قرار قضى بوجوب قيام بودونكار بالمضي من أجل الاستطلاع.

وبينما كان يفعل ذلك، التقى امرأة حاملاً فاستوقفها وسألها قائلاً: " إلى أية قبيلة تنتمي؟ " فأجابته: " إنني امرأة من عشيرة آدانجقا – يوريا نجقا من قبيلة جارشي – أوت، هذا أنا ذا، ومن أكون ".

وجميع ما تبقى من أولئك الناس، كان الإخوة الخمسة قد احتجزوهم، وأحضروهم معهم إلى البيت، وهكذا فقد أصبح لديهم فيض من الحيوانات المفترسة والطعام والخدم.

وآلت المرأة التي كانت في منتصف مدة حملها إلى بودونكار، ومن ثم أنجبت ولداً ذكراً، وبحكم أنه كان ابناً للغرباء، فقد أطلقوا عليه جاجيراداي

Jajradai ، وهو كان جد الجاداران Jadaran (أي الغرباء)، وكان اسم ابن ذلك الغريب توغوأوداي Tugu'udai، وكان بوري بولغيرو Buri Bulgiru هو ابن توغوأوداي، وكان قرا قادان Qara Qada'an هو ابن بوري بولجيرو، وحمل هؤلاء اسم عشيرة الغرباء Jadarans .

وأنجبت تلك المرأة أيضاً ولداً ذكراً من بودونكار، وبما أنها كانت امرأة أسيرة، فقد أطلق على ابنها اسم باريداي Ba'aridai، وهو كان جد البآرين Ba'arin (الأسرى) ، وكان اسم ابن باريداي هو غيدوقول بوكو Giduqul Boko، وهو الذي كان لديه عدداً كبيراً من الزوجات، وهو أيضاً الذي ولد أولاده بأعداد كبيرة، وقد حمل هؤلاء اسم منن بآرين Menen Ba'arin.

ومن بيلغونيوتي نبعت عشيرة البيلغونوت Belgunut، ومن بوغونيوتي عشيرة البوغونوت Bugunut ، ومن بوقوقا تاجي عشيرة القاتاجين، ومن بوقاتو ــ سالجي السالجي أوت، ومن بودونكار عشيرة البورجيغين Borjigin.

ومن الزوجة التي كان بودونكار قد اتخذها لنفسه، ولد ولد اسمه باريم سيراتو قابيغي Barim si'iratu Qabigi ، وكان بودونكار قد اتخذ لنفسه خليلة، هي وصيفة أم قابيجي باأتور Qabigi Ba'atur، التي كانت قد وصلت إليه كصداق، وقد ولدت منه ولداً كان اسمه جيأوريداي Je'uredai ، وفي البداية شارك جيأوريداي في تقديم قرابين الجوغيسي Jugaci التي كان فيها يجري تعليق اللحم على عمود، ويقدم للسماء، وبعد وفاة بودونكار أقصي عن هذه المشاركة، بسبب أن ــ كما قالوا ــ رجل الأدانغقا أوريانغقاي Adangqa uriangqai كان موجوداً دوماً في البيت، ولربما كان جيأوريداي ابنه، وهم جعلوه يتخذ اسم جيأرييت Je'ureyit، وهو قد أصبح جد الجيأوريت Je'uret.

وكان ابن قابيجي باتور هو منن تودون Menen Tudun ، وكان أبناء منن تودون: قاجي كولوك Qagi Kuluk ، وقاغين Qagin، وقاغياو Qagi'u، وقاغولا Qagula ، وقاغياون Aagi'un ، وقرالداي Qaraldai ، وناغين باأتور Nagin Ba'atur.

وولد قايدو Qaidu بن قاغي كولوك من أم نومولونMother Nomolun، وكان اسم ابن قاغين : نوياغيداي Noyagidai ، وبسبب أنه بالطبيعة أحب أن يتصرف كما قدم، فإن أبناءه حملوا اسم عشيرة نوياكين Noyakin ، وكان اسم ابن قاغياو: بارولاتاي Barulatai ، وهو كان كبير الجسم، وكان أكلاً شرهاً، ولذلك حمل أبناؤه اسم عشيرة بارولاس Barulas، وبما أن أبناء قاغولا كانوا أيضاً شرهين، فقد أطلق عليهم اسم ييكي بارولا yeke Barula (بارولا الكبير)، وأوجوغين بارولا Ugugen Barula (بارولا الصغير)، وهم حملوا أيضاً اسم عشيرة بارولاس Barulas وكان هؤلاء هم الذين أصبحوا الإيرديمتو بارولا Erdemtu Barula ، وتودو اين بارولا Todo en Barula ، والبارولايين الآخرين، ولم يلتزم أبناء قرالداي بالاعتراف بالسيادة عندما طبخوا عصيدة، ولذلك حمل أبناؤهم اسم عشيرة بوداآت Buda'at ، وأطلق على ابن قاغيا أون اسم أداركيداي Adarkidai، لأنه نشر الافتراء بين أخويه الأكبر والأصغر، وحمل أبناؤه اسم عشيرة أدارغين Adargin ، وحمل ابنا ناغين باأتور اسما: أوروداي Uru'udai ، ومانغقوتاي Mangqutai ، وحملا اسما عشيرتي أوروت Uru'ut ، ومانغقوت Mangqut، وحمل ابنا ناغين باتور، اللذان ولدا من الزوجة التي كان قد اتخذها لنفسه : سيجوداي Siju'adai ، ودوقولاداي Doqoladai .

وكان أبناء قايدوهم: باي سينغقور دوقسين Bai singqor Doqsin، وغراقاي لينغقو Garaqai Lingqu ، وغاوجين أورتيغي Gaujin Ortegei،

وكان ابن باي سينغقور دوقسين هو تومبيناي سيغين Tumbinai Segen ، وكان ابن جراقاي لينغقو هو سينغوم بيلغي Senggum bilge وأخذ أبناؤه ابتداء بأمباقاي قاآن Ambaqai Qa'an اسم عشيرة تايجيأوت (تايشيأوت) Tayici'ut، ومن أخت زوجة جراقاي لينغقو، التي أصبحت زوجته، ولد ابن كان اسمه بيسوتي Besutei، وقد حمل أبناؤه اسم عشيرة بيسوت Besut ، وحمل أبناء جاوغين أورتيغي والذين انحدروا منهم أسماء عشائر: أورونار Oronar ، وأونغقوتان Ongqotan ، وأورولات Arulat ، وسونيت Sonit ، وقابتورقاس Qaburqas ، وغينيغيز Geniges.

وكان ابنا تومبيناي سيغين: قابول خان، وسيم سيغولي (؟) Sem segule، وكان ابن سيم سيغولي هو بولتيغو بأتور Bultegu Ba'atur (أو ساكا بيكي saca Beki) وكان عند أولاد قابول خان سبعة ذكور، كان أكبرهم أوكين بارقاق Okin Barqaq ، ثم جاء من بعده بارتان بأتور Bartan Ba'atur ، وقوتوقتو مونغور Qutuqtu Monggur: وقوتولا قاآن Qutula Qa'an وقولان Qulan ، وقاداآن Qada'an ، وتودوين أو تجغين Todo'en Otcigin ، فهؤلاء كانوا سبعة.

وكان ابن أوكين بارقاق قوتوقتو يوركي Qutuqtu yurki ، وكان ابنا قوتوقتو يوركي هما : سيغي بيكي Sege Beki ، وتايغو Taigu ، وحمل هؤلاء اسم عشيرة يوركي Yerki.

وهؤلاء الأربعة التالية أسماؤهم، هم أولاد بارتان بأتور : مونغيتو كيان Monggetu kiyan، ونيكون تايسي Nekun Taisi ، وييسوغي بأتور yisugei Ba'atur ، وداريتاي أو تغيغين Daritai Otugin ، وكان ابن قوتوقتو مونغور هو بوري بوكو Buri Boko ، ولقد كان هذا هو الذي فصم بسيفه كتف بيلغوتي Belgutei أثناء وليمة أقيمت في الغابة عند نهر أونان.

وكان أبناء قوتولاقاآن هم : جوغي Jogi، وغيرماو Girma'u ، وألتان، وكان ابن قولان بالتور هو: بيكي غيرين yeke geren ، وهو قد كان سيداً للرجلين الحربن باداي Badai ، وكيسليق Kisiliq، وكان كل من قادان، وتودين من دون أولاد .

وحكم قابول خان سائر المغول، بيد أنه على الرغم من أن كان لديه سبعة أبناء ــ لم يختر واحداً منهم ليخلفه، بل، بدلاً من ذلك، جعل ابن عمه أمباقاي ابن سينغوم ــ بيلغي حاكماً للمغول، وكان ذلك بناء على إرادة قابول خان.

وعلى طول امتداد نهر اورشيئون Urshi'un الذي يصل بين بحيرتي بيويور وكولن كانت هناك قبيلة التتار، الذين كان أمباقاي قد زوّج ابنته منهم، بعد أن أحضرها لهم شخصياً، وبينما كان يقوم بذلك احتجز من قبل بعض رجال جويين Juyin التتار، الذين عندما كانوا على طريقهم سلموه إلى ألتان Altan خان الكيتات Kitat وبذل أمباقاي قاآن غاية جهده لإرسال رسالة، مستخدماً رسولاً بالاقاغي Balaqagi ، الذي كان رجلاً من البيسوت Besut ، وقد قال له: " تحدث إلى قوتولا، الابن الوسط بين الأبناء السبعة لقابول قاآن، ومن بين أولادي العشرة، تكلم إلى قادآن تايسي Qada'an taisi"، وبعث يقول له: "عندما تصبح قاآن على الجميع، وسيداً على جميع الناس، تعلم من مثلي، وكن حذراً ولا تأخذ ابنتك شخصياً إلى خطيبها، فلأنني فعلت ذلك أسرت من قبل التتار،

فإلى أن يتم بالنسلبة إلى أظافر أصابعكم الخمسة،

الزوال والانسحاق الكامل،

وإلى أن تزول أصابعكم العشرة وتتلاشى،

ناضلوا في سبيل الانتقام لي.

وفي تلك الأثناء كان ييسوغي بآتور، والد جنكيز خان، يقوم بالصيد بواسطة عقبانه على نهر أونان عندما قابل واحداً من المركيت يدعى ييكي – جليدو، الذي كان يعيد زوجة كان قد تزوج منها من شعب الأولقونوأوت Olqunu'ut ، وقد رأى ييسوغي بأنها كانت وسيمة للغاية فعاد على الفور مسرعاً إلى البيت ليحضر أخاه الأكبر، الأمير نيكون تايسي، وأخاه الأصغر داريتاي أوتجيغين (أي الابن الأصغر).

وعندما ظهروا ثلاثتهم صار ييكي جليدو مذعوراً، فضرب حصانه بسوطه وجرى به عدواً عبر مرتفع صخري، وتسلق رابية منحدرة، ثم عاد إلى عربة أوالون زوجته فقالت له: "لا تعجبني نظرة هؤلاء الرجال الثلاثة أبداً، وإنني لعلى يقين بأنهم يضمرون لك السوء، ويريدون أخذ حياتك، وإنك إذا ما نجوت، سوف تجد :

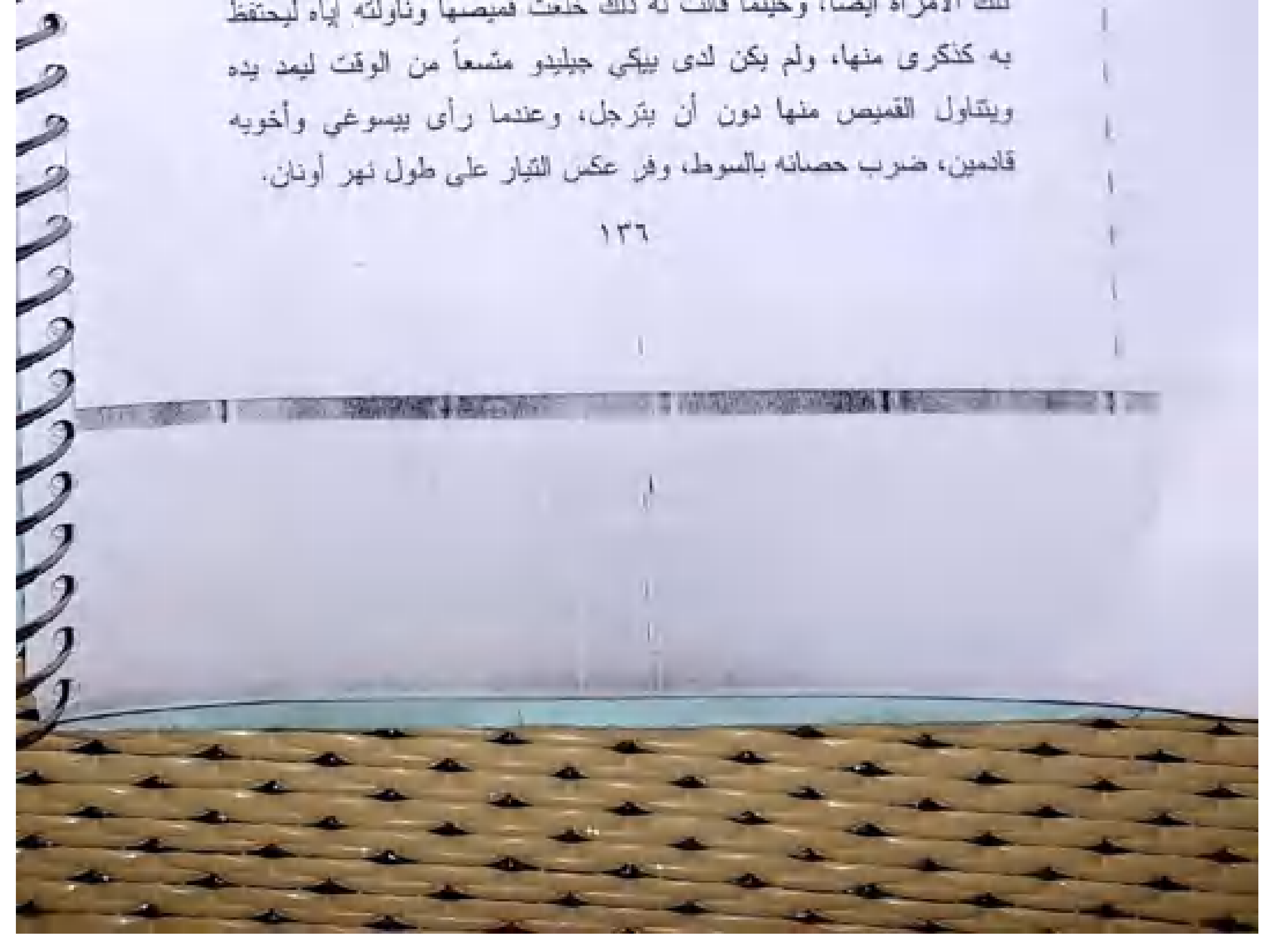
في المقعد الأمامي لكل عربة،

هناك فتيات،

ففي كل عربة سوداء ،

هناك نساء .

وإنك إذا ما هربت ونجوت بروحك سوف تتأكد بأنك ستجد امرأة أخرى مثلي، وإذا كان اسمها مختلفاً وإذا فقدتني فأطلق اسمي أوالون على تلك الامرأة أيضاً، وحينما قالت له ذلك خلعت قميصها وناولته إياه ليحتفظ به كذكرى منها، ولم يكن لدى ييكي جليدو متسعاً من الوقت ليمد يده ويتناول القميص منها دون أن يترجل، وعندما رأى ييسوغي وأخويه قادمين، ضرب حصانه بالسوط، وفر عكس التيار على طول نهر أونان.



فتبعه الإخوة الثلاثة حيث عبروا ثلاثة روابي أثناء المطاردة غير أنهم لم يتمكنوا من اللحاق ببيكي جيليدو واستداروا في نهاية الأمر، وقبضوا على العروس وقاد بيسوغي عربتها، بينما كان الأمير نيكون يدل على الطريق، ودار اتاي الأصغر يسير بجانب عريش العربة، وكان اسم العروسة أوالون Ho'eleen، ورددت السيدة تقول وهم يتابعون سيرهم:

إن سيدي جيليدو كان رجلاً ،

لم يتم قط حمل شعره،

في وجه الريح وضده ،

ولم يحمل الجوع في بطنه أبداً،

في السهوب .

ولكن كيف هي الحال الآن؟ وكيف يتدبر أموره، وجديلتاه تتحركان أحياناً فوق ظهره، وفي بعض الأحيان فوق صدره، حيناً إلى الأمام، وحيناً إلى الخلف؟ فهي هكذا تعلمت، ومضت وهي تنتحب، وصوت عويلها كان مرتفعاً كثيراً:

حتى أن صوتها أحرك مياه نهر الأونان،

إلى حد أن تردد صداه خلال الغابة والوادي،

وقال لها داراتاي أوتغيغين الذي كان راكباً إلى جانبها :

إن الرجل الذي كان يضمك بين ذراعيه،

قد عبر شعاباً جبلية كثيرة،

والذي تنتحبين من أجله،

قد عبر جداول عديدة،

وإذا ما دعوتيه، ونظر هو إلى الخلف،

هو لن يستطيع رؤيتك،

وإنك إذا ما بحثت عن آثاره،

لن تقتفي آثاره ولن تجديها أبداً.

وقال لها محذراً: إهدأي وتوقفي عن النحيب، وعند ذلك أخذ بيسوغي السيدة أوالون إلى داخل خيمته، وكان وفق هذه الطريقة خطف بيسوغي السيدة أوالون،

ووفقاً لرسالة أمباقي قاآن، التي كان قد عين بها كل من قادان، وقوتولا، وتنفيذاً لذلك تجمع كافة أبناء شعب المغول والتايجيئوت سوية في وادي قورقوناق قرب نهر أونا وجعلوا قوتولا قاآن حاكماً لهم، وأقام المغول وليمة تحت شجرة كبيرة، وغمرتهم السعادة جميعاً، وأداروا حلقات الرقص إلى أن حفرت أقدامهم خندقاً عميقاً في الأرض وصل حتى أوساطهم ووصل الغبار حتى ركبهم.

وبعد أن أصبح قوتولا حاكماً، مضى هو والأمير قادان تايسي للقتال ضد شعب التتار انتقاماً منهم، وخاضا ثلاث عشرة معركة ضد كودون – باراقا، وجالي – قوقا، لكنهما لم يفلحا،

في تحقيق الانتقام،

والمجازاة على الجريمة،

جريمة قتل أمباقي قاآن.

وأثناء تلك المعارك مع التتار أسر بيسوغي اثنين منهم من التتار يدعيان: تيموجين يوج، وقوري – بوقا وتتار آخرين، وفي تلك الأثناء

كانت أوالون، زوجة بيسوغي، تحمل طفلاً، وعلى نهر الأونان في سفوح جبل ديليزون بولداق حيث كانت تقيم وضعت تيموجين (أي جنكيز خان المستقبل)، ولما ولد كان يقبض في يده اليمنى على خثرة دموية على شكل سلامي إصبع، وقد أطلق عليه اسم تيموجين لأنه كان قد ولد في الوقت الذي قبض والده فيه على تيموجين بوج وأسره.

وأنجبت أوالون لبيسوغي بآتور أربعة أبناء هم: تيموجين، وقاسار، وقاجيون، وتيموجي، وابنة واحدة سميت تيمولون، وعندما بلغ تيموجين الثامنة من العمر كان قاسار في السادسة، وقاجيون في الرابعة، وتيموجي في الثانية، وكانت الابنة تيمولون لا تزال في المهد، [ومن الزوجة الثانية لبيسوغي باآتور ولدت الأم سوجيغيل: بيكتير Bekter، وبيلغوتي Belgutei].

وعندما كان تيموجين في التاسعة من عمره، قرر بيسوغي باآتور الاستعداد للذهاب إلى عند شعب الأولقونوأوت Olqunu'ut ، أقرباء الأم أوالون، آخذاً تيموجين معه وقائلاً : "أنا سوف أطلب من أخواله فتاة ليتزوج منها ، وعلى الطريق التقيا بين جبلي شيكشر Chekcher وشيخيرخو Chikhrkhu ، برجل من الاونغجيراتيين Onggirates يدعى داي سيخن Dei- Sekhen .

فقال داي سيخن: " إلى أين ماضٍ يا صديقي بيسوغي؟ " فأجابه بيسوغي: " إنني اصطحب هذا الولد إلى عند أهل أمه الأولقونوأوت، لأجد له زوجة، فأجابه داي ـ سيخن " إن لولدك،

هذا عينين براقتين،

ونوراً في وجهه،

ولقد حلمت الليلة الماضية بأن بازاً طار نحوي حاملاً الشمس والقمر بين مخالبه، ثم حط على يدي، وقلت لأحدهم: أن يحلم الإنسان ببساطة برؤية الشمس والقمر ليس أمراً غير عادي، غير أن هذا البار الذي حط على يدي يجب أن يكون بشير خير!، فمن الواضح يا صديقي يسوغي بأن قدومك مع هذا الولد هو تفسير لحلمي، وليس ثمة شك بأنه فأل خير لكم يا شعب كيات Kiyat ، فهذا الذي أعلنته زيارتك،

فمنذ العصور الغابرة، يتطلع شعب الأونغيرات Onggirat نحونا وأن تكون له علاقة معنا،

ليمتلك نظرات جيدة نحو حفيداتنا،

وفي جمال بناتنا ما يكفي

ونحن لا نكافح من أجل الملك،

فمن أجل الذين من بينكم أصبحوا خانات،

نحن نمتلك بناتنا الجميلات الوجنات،

ليركبن على عربات كبيرة، نحن سخرنا لجرهن،

جمال سود ذكور،

نحن نقطرهن ونحملهن إلى القاآنات،

ونجلسهن إلى جانبهم على عرش الخانية،

نحن لا نكافح في سبيل الملك، ولا شعبنا،

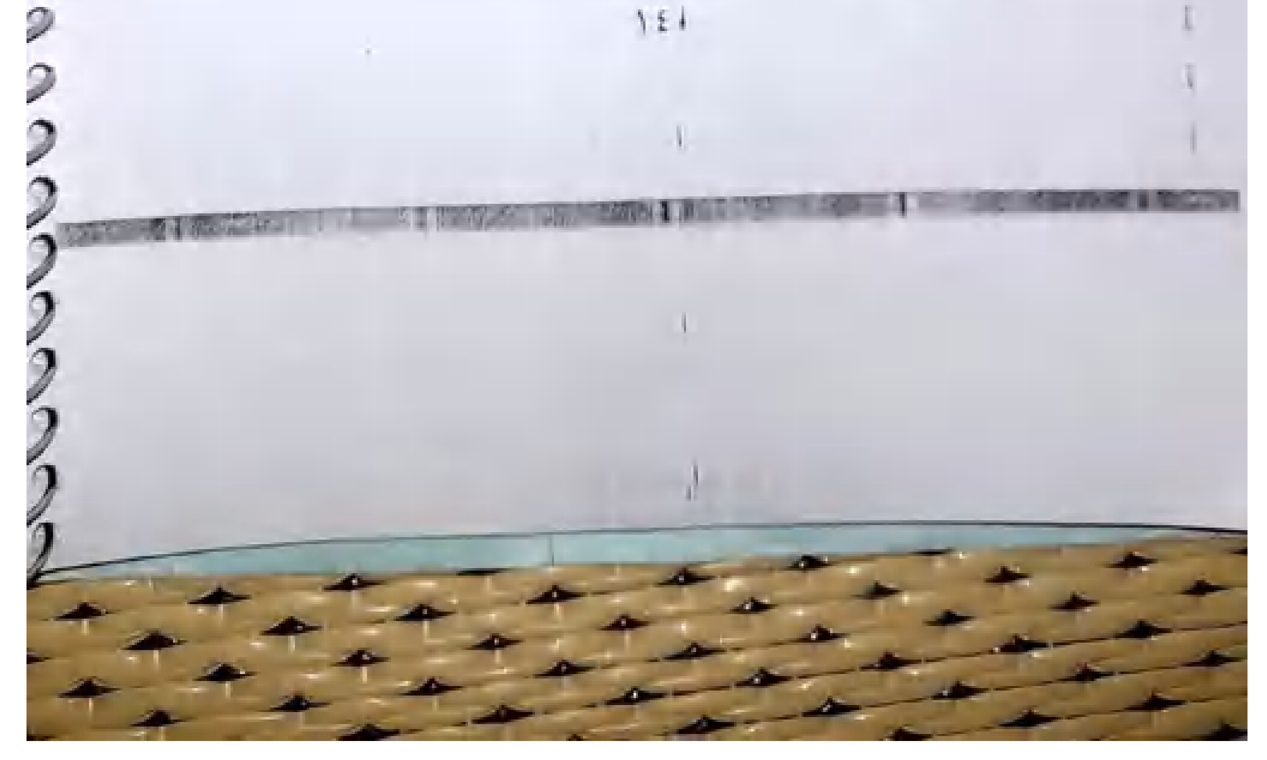
فنحن تركنا للرعاية الجيدة لبناتنا،

فنحن أعددناهن ليركبن على العربات ويجلسن على المقاعد الأولى،

وقطرنا العربات إلى جمال سود،

لنأخذهن إلى القاآنات،

ليجلسن على العرش إلى جانبهم،



فمنذ الأيام الغابرة كان شعب الأونغيرات:
قد امتلك الحانات كترسة لهم تحميهم،
وبناتهم كشفيعات ووسيطات،
ونحن نعيش من أجل الرعاية الجيدة،
لحفيداتنا،
ولجمال بناتنا،
وبأجسادنا، عندما يسعون للحصول على عريس،
يتطلع الإنسان وينظر نحو ثروة معسكرنا،
وبالنسبة لبناتنا عندما يطلبن ليكن عرائس،
يقدر الإنسان جمالهن فقط،

ودعنا يا صديقي يسوغي نذهب إلى خيمتي، وابنتي ما تزال صغيرة، تفضل وألق نظرة عليها يا صديقي، وكان هذا ما قاله داي سيخن، وبعدما اقتاده إلى خيمته جعله يترجل.

وعندما رأى يسوغي ابنته، هو رأى فتاة،
امتلكت نوراً في وجهها،
وبريق نار في عينيها،

وكان مسروراً برؤيتها، وقد كانت في العاشرة من عمرها، أكبر سنة من تيموجين، وكان الهمها بورته، وقضى يسوغي الليلة هناك، وفي الصباح التالي عندما طلب من داي سيخن ابنته لتيموجين قال له: "إنني إذا ما استجبت لطلبك وأعطيتك إياها، من دون سؤال كثير من جانبك، إنك سوف تحترمني، وإنني إذا لما استجبت لطلبك وأعطيتك إياها من دون سؤال كثير من جانبك، فإنك سوف تستخف بي، ولكن مصير الفتاة ألا تتقدم بها السن كثيراً، في الأسرة التي ولدت فيها، وبناء عليه أنا سوف أعطيك ابنتي

لتكون زوجة له" وهكذا اتفق الطرفان، وقال بيسوغي باأتور: "إنني سوف أترك ابني عندك كصهر لك، ولكن ابني يخاف من الكلاب، فلا تدعه يا صديقي يتعرض للخوف من الكلاب، ثم أعطاه حصانه الاحتياط كعربون خطوبة، ومضى مغادراً تاركاً تيموجين كصهر له.

وأثناء عودته وهو على طريقه التقى بيسوغي باأتور، عندما وصل إلى جبل غيكسير Gekcer ثم إلى سيراكير Sirake'er ببعض التتار الذين كانوا يقيمون وليمة، وكانت الرحلة قد جعلته جائعاً وعطشاً، وهكذا فقد ترجل، ومكث معهم معتقداً بأنهم لم يعرفوا من كان، غير أنهم ميزوه وقالوا: "لقد أتى بيسوغي الكياني" وتذكروا ولم يكونوا قد نسيوا بأنه قد أخذهم أسرى ذات يوم، كما أنهم كانوا لا يزالوا يكنون له الحسد والكراهية، لذا فقد خلطوا السم بالطعام سراً وقدموه له ليأكله، وامتطى بيسوغي باأتور صهوة جواده، وشعر في طريق عودته أن ضرراً قد أصابه، فوصل بيته بعد رحلة دامت ثلاثة أيام غير أن وضعه كان قد تردى للغاية.

فقال بيسوغي: "لقد هدني المرض، من ها هنا يا ترى؟" وعندما أخبروه بأن مونغليك بن جاراقا العجوز من القونغقونات موجوداً، استدعاه بيسوغي وقال له: "يا بني مونغليك لم يصلب عود أولادي بعد، وقد أخذت تيموجين لأجد له شريكة عمره، وأثناء عودتي دس لي التتار السم خفية، وإنني أعاني من مرض شديد حقاً، لذا فإنني أطلب إليك أن ترعى "إخوانك" والصغار الذين أتركهم خلفي، وأيضاً أختك الأرملة (زوجة بيسوغي) بكل اهتمام، كما أريد منك أن تحضر، يا بني مونغليك، ابني تيموجين بما أمكن من السرعة، ولم يفتأ أن قال ذلك، حتى فارق الحياة.

الفصل الثاني

الحياة المبكرة لجنكيزخان

وأصغى مونغليك إلى كلام ييسوغي باأتور، وأطاع أمره، فمضى إلى داي سيخن، وقال له: " إن أخي الأكبر ييسوغي باأتور يديم التفكير حول تيموجين، وقد افتقده كثيراً، وقلبه يؤلمه من أجله، ولذلك أنا قدمت لآخذ تيموجين"، فأجابه داي سيخن: "إن كان صديقي شديد الشوق إلى ابنه، دعه يذهب معك، ولكن بعد أن يراه، عليه أن يعود سريعاً"، وهكذا عاد الأب مونغليك، وأعاد تيموجين معه.

وفي ربيع ذلك العام كانت الملكتان أرملتا أمباقاي خان Ambaqai Khan : أوربي Orbei وسوقاتاي Soqatai تقدمان القرابين إلى ــ الأسلاف، وقد تأخرت السيدة أوالون في البدء، لذا فلم تحظ بتقديم نصيبها من القربان، فقالت أوالون: "ترى هل لأنكم تقولوا لأنفسكم بأن ييسوغي باأتور قد توفي، أو ربما لأن أولادي مازالوا صغار السن، أو ما هو السبب الذي يجعلكم تمتنعون عن إعطائي حقي من لحم قربان الأجداد؟ وإنني ألمح تماماً بأم عيني بأنكم تحجمون عن تقديم المأكل والشراب لي، ويبدو وكأنكم عندما تنقلون معسكراً تمضون دون أن تعلموني بذلك"، وقالت الأرملتان أوربي Orbei وسوقاتاي Sokhatai " في حالة كحالتكم لا تستدعي أحكام العادة :

توجيه دعوة لك أبداً وإعطاء الطعام لك.

وأنت حسبما تقضي الأعراف،

إذا صدف ومرّ بك الطعام لك أن تأكلي فقط،

فأنت حسبما تقضي الأحكام،

يجب عدم دعوتك، وألا تعطين طعاماً،

بل مثلك تأكل الطعام إذا مرّ بها،

وإنه بسبب قولك لنفسك، بأن أسباقاي خان هو ميت، تستطيعين أن تتكلمي إلينا على هذا النحو حتى أنت يا أوالون، وإن أفضل خطة بالنسبة لكم يا شعب التايجيئوت، أن تتركوا هذه الأم وأولادها في المخيم، وأن تنتقلوا من دون أن تأخذهم معكم.

وعلى هذه الصورة تكلمتا، وفي اليوم التالي شرع تاقوتاي كيريلتوق من التايجيئوت، وتودوئين غيرتي، وبقية التايجيئوت الآخرين، بالتحرك هبوطاً على امتداد مجرى نهر أونان، وتركوا خلفهم السيدة أوالون، والأمهات والأطفال، فسعى العجوز جاراقا من الأونغقونات خلفهم، وحاول أن يوقفهم، غير أن تودوئين غيرتي قال:

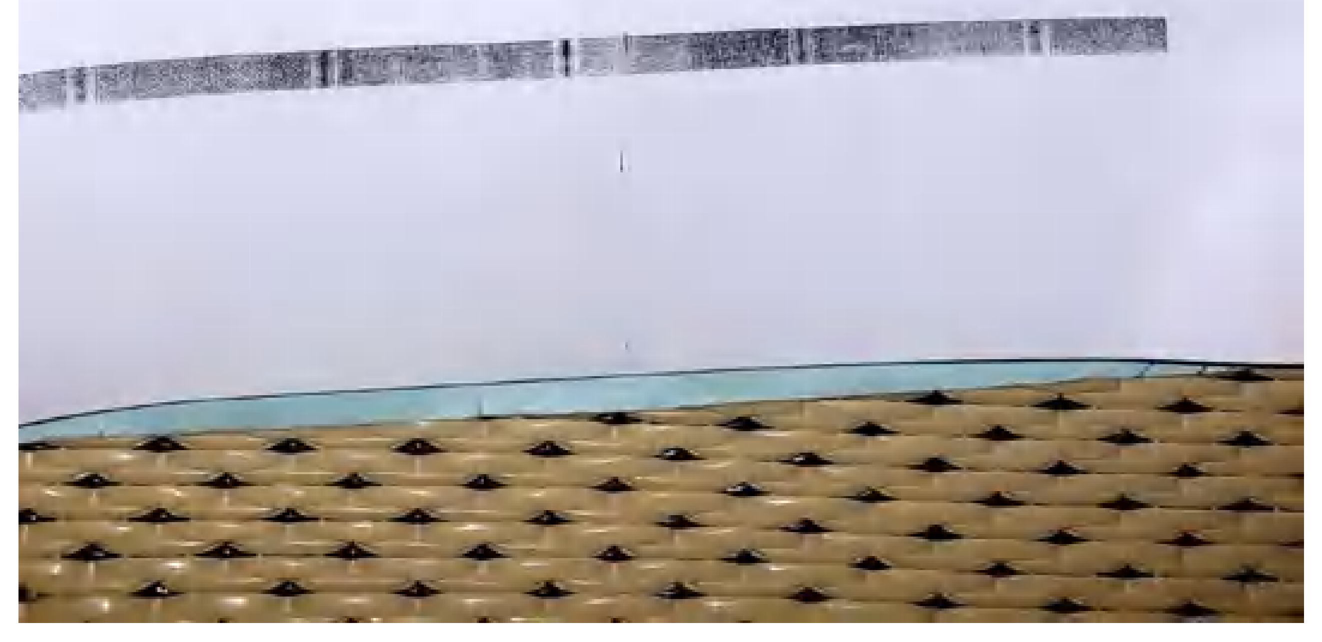
"لقد جفت المياه العميقة،

وتناثر الحجر البراق"

ومع قوله هذا تحركوا وتابعوا ارتحالهم، وهم يقولون: "لماذا تحاول أنت إعاقتنا؟"، وعلاوة على ذلك طعن تودوئين غيرتي جاراقا برمح في ظهره.

وعاد جاراقا العجوز إلى خيمته جريحاً، وعندما كان متمدداً في حالة يائسة كثيراً، جاء تيموجين لرؤيته، ثم إن العجوز جاراقا الذي هو من قبيلة قونغقوتات قال: "إن الشعب الذي جمع والدك الراحل شمله، وشعبنا جميعاً،





أخذوه معهم، وارتحلوا مبتعدين، وعندما حاولت أو أوقفهم، انظر كيف هم عاملوني، وعند ذلك بكى تيموجين، وانصرف مغادراً.

وبعد ما ترك التايجيئوت السيدة أوالون، وخلفوها وارتحلوا، حملت الراية، وركبت جوادها وسارت لوحدها خلفهم، فأفلحت في استرداد نصف الناس، ولكن على الرغم من ذلك، لم يبق حتى هؤلاء الذين أعادتهم، وهم انتقلوا أيضاً، ولحقوا بالتايجيئوت.

فلقد ذهب الأخوة التايجيئوت والأقرباء، وانتقلوا بعيداً، تاركين الأرملة السيدة أوالون مع أولادها الصغار، تاركين الأمهات والأطفال في المخيم، ولكن:

السيدة أوالون كانت قد ولدت،
امرأة بارعة ذكية،
وهي قد أطعمت أولادها الصغار وغذتهم هكذا:
كانت تربط قبعتها الطويلة بإحكام،
وتشدها فوق رأسها،
وتربط حزامها بإحكام،
لتجعل منزرها أقصر،
وعلى امتداد نهر أونان،
كانت تسعى صعوداً ونزولاً،
فهي جمعت التفاح البري الحامض والتوت البري،
وأطعمت ليلاً ونهاراً أفواههم الجائعة،
فهي قد ولدت شجاعة وأماً نبيلة،

وهي غذت أولادها الذين كانوا مرعيين،
من قبل السماء ومحظيين من عليين،
وبعصا مدببة من الراتنج،
حفرت واقتلعت جذور عشبة المرقئة،
واقتلعت أيضاً جذور نباتات أخرى،
وهكذا زودتهم بالأطعمة،
والأبناء الذين تغذوا بالثوم البري،
وأطعموا البصل البري من قبل الأم النبيلة،
غدوا بوساطة عقلها السامي وهي الأم النبيلة،
شرعيون وحكماء،
والأبناء الجياع والضعفاء،
الذين تربوا على أكل الكراث البري،
وعلى البصل البري من قبل السيدة الجميلة،
أصبحوا رشيقين نشيطين وجيدين،
وترعرعوا ليكونوا رجالاً ممتازين،
حقاً شجعان وجريئين،
يقول كل واحد منهم إلى الآخر،
دعونا نطعم أمنا،
فجلسوا على شاطئ نهر أونان،
وأعدوا الشصوص واصطادوا الأسماك،

الأسماك الخسيسة والرديئة،

حيث كانوا يطوون الإيرلتكون خصوصاً،

وقد اصطادوا سمك السلمون والتيمالوس النهري،

وصنعوا شباكاً صغيرة وشباكاً كبيرة،

واصطادوا أسماكاً صغيرة،

ثم أطعموا أمهم،!

مع قلب شاكر ممتن،

وذات يوم كان الإخوة الأربعة يصطادون السمك سوية: تيموجين، وقاسار، وبيكتر وبيلغوتي، فاصطاد تيموجين سمكة ذهبية، فقام أخواه، من والده، بيكتر، وبيلغوتي واختطفاها من تيموجين وقاسار، فعاد تيموجين وقاسار إلى البيت وأخبرا والدتهما بالأمر قائلين: "لقد اصطدنا سمكة ذهبية اللون، غير أن بيكتر وبيلغوتي قد اختطفاها" فقالت لهما الأم: "لماذا تتصرفوا هكذا وأنتم أخوة فيما بينكم؟.

فليس لديكم كما يقول المثل، صديق سوى ظلكم.

أو سوط سوى ذيل فرسكم.

لقد أساء لنا التايجيئوت ونحن غير قادرين على الانتقام منهم، ومع ذلك فإنكم تختارون هذا الوقت لتتصرفوا تماماً كما فعل أبناء آلان الجميلة الخمسة في الأزمنة القديمة، حتى سقطوا الواحد تلو الآخر، عليكم ألا تفعلوا ذلك".

فثار عندها كل من تيموجين وقاسار لما سمعاه من والدتهما، ومضيا قائلين: "لقد سرق سنونو اقتنصناه فيما مضى، والآن أخذ السمكة التي

اصطدناها، وإذا كان لمثل هذه الأشياء أن تحدث ليس بوسعنا أن نبقى هنا"، وما أن قال تيموجين وقاسار ذلك حتى مزقا ستارة الباب وانطلقا خارجين.

وفي تلك الأثناء كان بيكتر يجلس على رابية يرعى خيولهم التسعة ويحرسها، فاختبأ تيموجين خلف الرابية وقاسار أمامها، واستلا سهاماً من جعبتيهما وأصبحا على وشك إطلاقها عندما شاهدهما بيكتر، فقال: "لقد ارتكب الأقرباء التايجيئوت خطأ بحقنا لا نستطيع مجازاته، وقبوله، وعليكما أن تفكرا، كيف يمكننا أن ننتقم منهم؟" فبدلاً من ذلك تنالوا مني وكأنني شعرة قد وخزت فيكما، أو لمظية ضربت فاكما.

فنحن ليس لدينا صديق غير ظلنا،

وليس لدينا سوطاً غير ذيل حصاننا،

كيف يمكنكما أن تختزنا مثل هذا التفكير والنوايا نحوي؟، وإذا لم يكن من موتي بد، لا تحطما قلبي، اتركوني أموت لكن لا تلقيا بأخي بيلغوتي" وقال ذلك وهو ينتظر سهامهما فرماه تيموجين وقاسار من الأمام والخلف وأردياه قتيلاً، ومضيا في سبيلهما.

وعندما عادا إلى البيت ودخلا إلى الخيمة قرأت أمهما النبيلة ملامح وجهيهما، وعرفت ماذا جرى فقالت: أنتما دمرتما حياة.

فمن داخل رحمي الدافئ،

عندما اندفع خارجاً بقوة،

كان هذا الإنسان قد ولد،

وهو ممسك بخثرة سوداء من الدم،

وكان مثل كلب خزري متوحش يلتهم مخلفات وملحقات ما بعد ولادته،

ومثل فهد يقذف بنفسه فوق منحدر صخري،

ومثل أسد لا يمكن تهدئة غضبه والسيطرة عليه،

ومثل أفعى تنين تبتلع فريستها حية،

ومثل صقر يهاجم خياله ويلقي بنفسه عليه بعنف،

ومثل سمك الكراكي الذي يتجرع ويبتلع بصمت،

ومثل جمل في حال شبقه يعض كواحل صغاره،

ومثل الذئب الذي ينزل الدمار بطريدته تحت غطاء عاصفة ثلجية،

ومثل بطة المندرين التي تأكل بطاتها الصغار،

عندما لا تستطيع تدبر أمورهن،

ومثل ابن آوى الذي يقاتل بشراسة،

عندما يهدد أحدهم مخبأه،

ومثل النمر الذي لا يتردد قط،

عندما ينقض على فريسته ويمسكها،

ومثل الكلب المسعور الذي يهاجم بوحشية،

أنت قمت بالتدمير،

وكان هذا تماماً عندما:

عندما لم نمتلك صديقاً سوى ظلنا

وليس لدينا سوطاً غير ذيل حصاننا

وبعدما قاسيتم ما قاسيتموه على أيدي أقربائنا التايجيئوت، نحن نسأل أنفسنا من الذي سوف ينتقم منهم، مادمتم تتصرفون وفق هذه الطريقة

أحدكم نحو الآخر، وأنتم تقولون بأنكم لا تستطيعون العيش معاً، وهكذا كان أن تعلمت ووبخت أولادها، وعمدت إلى:

إلى ترداد الأقوال القديمة

والاستشهاد بأقوال الناس القدماء

وبعد هذا بوقت قصير قدم تارقوتاي كيريلتوق Tarqutai Kiriltuq التايجيئوتي على رأس حراسه وقال:

لابد أن الأوغاد الصغار نموا وغيّروا ريشهم وكبرت أجنحتهم

وأنهم مثل فراخ الطير كبروا الآن بسرعة وأصبحوا بمثابة حيوانات مفترسة.

ولكن ما أن وقعت أعين تيموجين ووالدته وإخوته عليهم قادمين حتى دب الذعر في قلوبهم، فأخذ بيلغوتي بكسر أغصان الشجر من غابة كثيفة ويسحبها بكلابه فجعل منها سياجاً ، ثم أخذ الثلاثة الصغار: كاجئيون ، وتيموجي، وتيمولون وخبأهم في صدع صخرة، بينما أخذ قاسار يتبادل إطلاق السهام مع التايجيئوت، وناداه التايجيئوت "أحضر أخاك الأكبر تيموجين فنحن لا نريد أحداً سواه".

وقد ألقى نداؤهم الرعب في قلب تيموجين، فاعتلى حصانه وهرول في الغابات بين الجبال فشاهده التايجيئوت ولحقوا به في جبل يدعى تيرغون Tergune، بيد أن تيموجين شق طريقه إلى أحد الأدغال الذي لم يتمكن التايجيئوت من دخوله، لذا فقد طوقوه وأقاموا الحراسة حولها.

فأمضى تيموجين ثلاث ليال في الحرش الكثيف، وبينما كان يجر حصانه للخروج سقط سرجه على الأرض بجميع أحزمته، ولما رجع ونظر إليه وجد أن كلاً من حزام الصدر والطوق مازالا مشدودين، فتساءل

بينه وبين نفسه قائلاً: ترى كيف يسقط السرج إذا كان حزام الصدر مشدوداً؟ لابد أن ذلك يعني بأن السماء لا تريدني أن أمضي؟ لذلك فقد عاد إلى الغابة ومكث ثلاثة أيام أخرى.

وعندما خرج مرّة أخرى وجد جلمود صخر أبيض كبير، حجمه كحجم خيمة قد تداعى وسد طريقه للخروج من الحرش فقال لنفسه أيضاً: "لابد أن السماء لا تريدني أن أخرج"، فعاد ومكث ثلاثة أيام أخرى وثلاث ليالي كذلك.

فبلغ مجموع ما مكثه هناك تسعة أيام دون أن يكون لديه شيئاً يقتات به فقال: "كيف لي أن أتحمل أن أموت ميتة شائنة كهذه؟ إنه من الأفضل لي بكثير أن أغادر الغابة"، فشق لنفسه طريقاً، بالسكين التي كان يستخدمها لتجبير السهام الحادة، خلال الأشجار بجانب الصخرة التي كانت سدت المدخل إلى الغابة، وقاد حصانه نزولاً إلى الهضبة، لكن التايجيئوت الذين كانوا يقيمون الحراسة سرعان ما ألقوا القبض عليه، فور ظهوره، وحملوه بعيداً.

وعندما اقتاد تارقوتاي – كيريلتوق تيموجين أسيراً معه أصدر الأوامر لشعبه بأنه سوف يمر ليلة واحدة على كل مجموعة من الخيام، ويمضيها عندها، وعندما كان يمرّ مرة على هذا النحو كان اليوم السادس عشر من الشهر الرابع قد حل، ووقتها أقام التايجيئوت وليمة الاحتفال بعيدهم على ضفاف نهر أونان، إذ لم يعودوا إلى خيامهم حتى غروب الشمس، وفي تلك الأثناء كان يقوم بحراسة تيموجين شاب ضعيف البنية، فلما رأى تيموجين بأن التايجيئوت قد تفرقوا ضرب الشاب الضعيف بالنير الذي كان موضوعاً في عنقه، وولى أدباره، ولما وصل إلى الغابات على

ضفاف الأونان اضطجع هناك، لكنه خشي أن يراه أحد ما، لذا مضى واستلقى على ظهره في مياه النهر الضحلة، حيث غمر جسده في الماء لدرجة لم يظهر معها سوى وجهه.

وصرخ الشاب الذي جعله يفرّ، قائلاً: "لقد هرب الأسير" فوصل التايجيئوت الذين كانوا قد عادوا إلى خيامهم، وتجمعوا على الفور، وكان ضوء القمر قوياً لدرجة أن الرؤية كانت واضحة، كما لو كانت في وضح النهار، مما ساعدهم على البحث عنه في المكان تلو الآخر في غابات نهر الأونان.

وبينما كان تيموجين لا يزال مستلقياً في الماء، مرّ بالقرب منه سورقان شيرا، من عشيرة سولدوس، وشاهده وقال له: "إن الإخوة التايجيئوت يحسدونك لأنك تفكر بمثل هذه الحيل الذكية، لا تقم بأية حركة، بل ابق مضطجعاً حيث أنت فلن أسلمك"، وقال له ذلك وتابع سيره.

وقال: هم يغارون منك:

لأن هناك شرراً في عينيك

وهناك نوراً في وجهك

وعندما تحدث التايجيئوت عن العودة والبحث عنه من جديد، قال لهم سورقان شيرا: بما أنكم لم تستطيعوا العثور عليه أثناء النهار، فأية فرصة لديكم الآن وقد حل الظلام؟ فدعونا نعود من حيث أتينا ومن ثم نقوم بتفتيش الأماكن التي لم نفتشها من قبل، فإذا لم نفلح نتفرق ونلتقي من جديد غداً لنتابع التفتيش فليس بوسع الرجل الذي يحمل نيراً أن يقطع مسافة كهذه"، قال ذلك عندما كان الباحثون في طريق عودتهم.

ومرّ سورقان شيرا مرة أخرى حيث كان تيموجين فقال له: "لقد انتهى بحثنا الآن وسنعود لنقوم به من جديد غداً، فعندما يتفرق فريقنا ارحل وحاول العثور على أمك وإخوتك، وإن قابلت أياً كان فلا تخبره بأنني شاهدتك"، وقال له ذلك ومضى.

وما أن تفرق الباحثون حتى فكر تيموجين قائلاً لنفسه: "عندما كنت أمرر مؤخراً محروساً من مجموعة خيام إلى أخرى نظر إلي بعين العطف، ليلة كنت في خيمة سورقان شيرا، ولداه غيمباي Gimbai وغيلؤون Gila'un ، ونزعا النير عن عنقي أثناء الليل حتى أستطيع النوم مرتاحاً، والآن عندما رآني سورقان شيرا لم يخبر أحداً أبداً وتابع سيره مرة أخرى، ومن المؤكد بأنه سيساعدني إذا ما قصدته في خيمته توا"، وهكذا مضى على نهر الأونان بحثاً عن سورقان شيرا.

وعرف كيف يستدل على الخيمة، لأن حليب الفرس كان يخض ويضرب هناك من الليل حتى الفجر، فأصغى لهذا الصوت، ولما سمعه دخل إلى الخيمة التي كان يخرج منها الصوت.

فقال له سورقان شيرا: "لقد قلت لك بأن تمضي وتبحث عن والدتك وإخوتك فلماذا رجعت إلى هنا؟"، غير أن ولديه غيمباي وغيلؤون قالا: "عندما يتعقب الدوري باشق داخل حرش ينقذ الحرش حياة الدوري، فإذا كان الحرش يفعل ذلك ونخفق نحن في إنقاذ رجل يقصدنا فلسنا من الخير مما هو عليه الحرش"، وهكذا انتزعا نير تيموجين وحرقاه وخبآه في عربة كان الجزء الخلفي منها معبأ بالصوف، ثم طلبا من أختيهما الأصغر قادآن Qad'an أن ترعاه باهتمامها قائلين لها: "لا تخبري أياً كان من هو هذا الرجل".

وفي اليوم الثالث قال الإخوة النايجيتوت أحدهم إلى الآخر: "يبدو وكأن أحداً قد أخفاه لذا من الأفضل لنا أن نفتش عنه بين جماعاتنا"، وقادهم السعي إلى خيمة سورقان شيرا، وبحثوا في كل مكان يمكن أن يخطر ببالهم في الخيمة ذاتها وفي العربات الأخرى وتحت السرير، وفي نهاية الأمر فتشوا العربة المحملة بالصوف بنبش الصوف على باب العربة حتى وصلوا أخيراً إلى الصوف الموجود في مؤخرتها، وعندها قال سورقان شيرا: "كيف يمكن لأي إنسان أن يتحمل الجلوس في الصوف في مثل هذا الطقس الحار؟"، فترجل رجال البحث وتركوا العربة ثم رحلوا.

وبعد رحيلهم قال سورقان شيرا لتيموجين: "لقد أوشكت أن تحقق نهايتي، وتصاعد الدخان وهدأت النار"، وعليك الآن أن ترحل وتجد والدتك وإخوانك"، فأعطاه فرساً لونها بلون عرق السوس، وفم أبيض اللون لم يسبق لها أن أنجبت فلواً، لكنه لم يعطه سرجاً، وطبخ له حملاً كان قد سمن بحليب شاتين، وزوده بحليب فرس في قربة من الجلد وقوس وسهمين، ولكن بدون عدة لإشعال النار، وجعله ينطلق في سبيله.

فبدأ تيموجين مسيره، ووصل مكاناً كان فيما مضى موقد نار، واقتفى الآثار من هناك على جانب نهر الأونان إلى أن وصل إلى نهر يدعى كيمورقا Kimurqa يصب في الأونان من الجهة الغربية، وكانت على جانب ذلك النهر آثار لأحد الذين سلكوا تلك الطريق، وبناء عليه اتبع تلك الآثار وكان بجانب ذلك النهر جبل يدعى بيدير Beder وفي سفحه هضبة قائمة بذاتها تدعى قورشوقوي Qurchuqui وهناك التقى بوالدته وإخوانه.

وبعد التقائه بهم اصطحبهم إلى إحدى الهضاب التي تدعى غوريلغو Gurelgu والقائمة جنوب قمة جبل بورقان Burqan وبين تلك الهضاب يقع

نهر سينغور Senggur، وعلى جانبه رابية صغيرة تدعى قارا ــ جيروجين Qara- jirugen وبحيرة زرقاء، هناك كانوا قد عسكروا وأقاموا مخيمهم فيه يكسبون عيشهم من صيد القوارض كالعضل، والمرموط ليقتاتوا بها.

وذات يوم سرقت خيول تيموجين المخططة البيضاء الثمانية من قلب المخيم، وبعيداً عن تلك الخيول كان هناك حصان بني بلون السوس كان قد أخذه أخوه بيلغوتي لاصطياد المرموط، وعند المساء عاد بيلغوتي بحمل من المرموط، فقال له تيموجين: "لقد سرقت خيولنا"، فأجابه بيلغوتي: "سأذهب للبحث عنها"، فقال قاسار: "أنت لا تستطيع ذلك، وأنا سأفعل هذا"، فقال تيموجين: "لا أنت ولا هو، سأذهب أنا بنفسي"، وهكذا ركب الحصان البني الملون بلون عرق السوس، واقتفى الآثار التي خلفتها الخيول الثمانية على الحشائش.

وانطلق في مسيره، وبعد أن سار ثلاثة أيام بلياليها، رأى في صباح اليوم الرابع الباكر، وشاهد صبياً رشيقاً وسط قطيع من الخيول يحلب فرساً، فسأله: "هلا رأيت ثمانية خيول بيضاء مخططة تمر من هنا؟" فأجابه الصبي: "رأيت مثل هذه الخيول الثمانية مساقة هنا قبل شروق الشمس، وبوسعي أن أريك إلى أن تؤدي آثارها"، قال ذلك وأخذ الحصان الذي كان يركبه تيموجين، وتركه يرعى، وأعطاه حصاناً أبيض، لكن أسود الظهر، ولم يعد الصبي إلى بيته وإنما غطى دلوه الجلدي وقربته الجلدية بالعشب.

وقال: "إنك الآن يا صديقي واقع في متاعب كبيرة، لكن مثل هذه المتاعب قد تحدث لأي كان، فسأمضي برفقتك حتى تسترد خيولك، إن والدي يدعى ناقو الغني Nakqu the rich ، وإنني ابنه الوحيد واسمي بوؤرشو Bo'orchu .

وبعد أن قال ذلك له، انطلق الاثنان يقتفيان الآثار، لثلاثة أيام وليال، وفي مساء اليوم الثالث وصلا إلى مجموعة من الخيام، كانت الخيول الثمانية تقف خارجها.

فقال تيموجين "ابق هنا يا صديقي سأذهب أنا وأسوق الخيول"، لكن بوؤرشو قال له: "لقد قلت بأنني سآتي معك كرفيق لك، فكيف أبقى هنا؟"، ومضى كلا الاثنين معاً إلى الخيول اوساقاها.

وانضم اللصوص واحدهم للآخر، وكاد أحدهم وهو كان الذي يمتطي حصاناً أبيض ويمسك بيده وهقاً (حبلاً بأنشوصه لاصطياد الخيل) أن يلحق بهما عندما قال بوؤرشو: "أعطني قوسك وسهامك فسأقاتله"، فقال له تيموجين: "لا أريد أن يلحق بك أي أذى بسببي سأقاتله أنا"، وقال له ذلك ثم استدار ورمى بسهم فصوب الرجل الذي يركب الحصان الأبيض وهقه إلى تيموجين وقال: "انظروا لقد توقف"، وإزاء ذلك اندفع مرافقوا اللص في المؤخرة جميعاً نحو الأمام، بيد أن الشمس كانت قد غربت، وتحول الغسق إلى ليل حالك السواد، وما أن رأى أولئك الذين كانوا في المؤخرة ذلك، حتى وجفت قلوبهم فتوقفوا وسرعان ما تخلفوا.

ومضى تيموجين وبوؤرشو طوال ذلك الليل، والأيام وليال ثلاث حتى وصلوا إلى حيث كان ناقو الغني، فقال تيموجين لبؤورشو: "لولاك لما استطعت البتة استرداد خيولي، فدعنا نتقاسمها فكم تعتقد بأنك تستحق منها؟"، فقال له بؤورشو: "لقد رأيتك في مأزق فمددت لك يد المساعدة ولم يكن بنيتي أن أحقق أي كسب من وراء ذلك فأنا الابن الوحيد لوالدي، وعائلتي قادرة على تلبية كافة حاجياتي، ولا أرغب بأي شيء مما تملك، ولو فعلت ذلك لن يكون لي فضل فيما يجب أن أفعله كصديق".

وعندما سارا نحو خيمة ناقو بايان وجداه يبكي وينتحب لأنه أعتقد بأن ولده بؤورشو كان قد فقد، لكنه ما أن رأى الاثنين قد وصلا وأحدهما كان ابنه حتى أخذ يبكي من جهة ويشتم من جهة أخرى، فقال بؤورشو: "ما هو الذنب الذي اقترفته؟ شاهدت هذا الرفيق الطيب واقعاً في ضيق فشددت أزره كما يجب أن يفعل الصديق، وها أنذا قد عدت"، وقال ذلك وهرول بحصانه مسرعاً ليحضر الدلو الجلدي والقربة الجلدية اللتان كان قد غطاهما بالعشب بعد الحلب، وقتل حملاً كان قد سمن بحليب شاتين، وجعلهم في رزمة لطيفة يحملها معه على حصانه ليزود بها تيموجين في رحلته، فقال ناقو الغني: "عليكما أنتما أيها الشابان أن يرعى كل واحد منكما الآخر، وألا يفارقه".

وأما تيموجين فإنه بعد مغادرته سار ثلاثة أيام وليالٍ ووصل في نهاية الأمر إلى بيته بجانب نهر سينغور، وكانت معنويات والدته أوالون وإخوته قاسار، والآخرون قد تدنت بسبب لوعتهم عليه، لذا فقد سروا لعودته وابتهجوا.

وقبل وقت طويل مضى، عندما كان تيموجين في الثامنة من عمره، كان قد افترق والسيدة بورته Borte ابنة دي سيجن، فمضى الآن وسار مصطحباً أخاه بيلغوتي على طول نهر كيرولين ليحضرها.

وعندما وصلا إلى نقطة بين جبلي شيكشر Chekcher وجيقورقو Giqurqu وجدا بيت داي سيخن فسر جداً لرؤية تيموجين، وقال: "لقد سمعت بأن الإخوة التايجيئوت قد حسدوك، وأسفت كثيراً لذلك، وتملكني اليأس حقاً، لكنك ها أنت قد عدت لنا في النهاية"، قال ذلك، وقدم ابنته بورته زوجة لتيموجين.

وعندما سارا نحو خيمة ناقو بايان وجداه يبكي وينتحب لأنه أعتقد بأن ولده بؤورشو كان قد فقد، لكنه ما أن رأى الاثنين قد وصلا وأحدهما كان ابنه حتى أخذ يبكي من جهة ويشتم من جهة أخرى، فقال بؤورشو: "ما هو الذنب الذي اقترفته؟ شاهدت هذا الرفيق الطيب واقعاً في ضيق فشددت أزره كما يجب أن يفعل الصديق، وها أنذا قد عدت"، وقال ذلك وهرول بحصانه مسرعاً ليحضر الدلو الجلدي والقربة الجلدية اللتان كان قد غطاهما بالعشب بعد الحلب، وقتل حملاً كان قد سمن بحليب شاتين، وجعلهم في رزمة لطيفة يحملها معه على حصانه ليزود بها تيموجين في رحلته، فقال ناقو الغني: "عليكما أنتما أيها الشابان أن يرعى كل واحد منكما الآخر، وألا يفارقه".

وأما تيموجين فإنه بعد مغادرته سار ثلاثة أيام وليالٍ ووصل في نهاية الأمر إلى بيته بجانب نهر سينغور، وكانت معنويات والدته أوالون وإخوته قاسار، والآخرون قد تدنت بسبب لوعتهم عليه، لذا فقد سروا لعودته وابتهجوا.

وقبل وقت طويل مضى، عندما كان تيموجين في الثامنة من عمره، كان قد افترق والسيدة بورته Borte ابنة دي سيجن، فمضى الآن وسار مصطحباً أخاه بيلغوتي على طول نهر كيرولين ليحضرها.

وعندما وصلا إلى نقطة بين جبلي شيكشر Chekcher وجيقورقو Giqurqu وجدا بيت داي سيخن فسر جداً لرؤية تيموجين، وقال: "لقد سمعت بأن الإخوة التايجيئوت قد حسدوك، وأسفت كثيراً لذلك، وتملكني اليأس حقاً، لكنك ها أنت قد عدت لنا في النهاية"، قال ذلك، وقدم ابنته بورته زوجة لتيموجين.

وقام كل من داي سيخن وزوجته شوتان Chotan بمرافقة تيموجين، وعروسه في طريقهما، وعلى منعطف نهر كيرولين في مكان يدعى يوراق كول Uraq col عاد داي سيخن في حين رافقت زوجته شوتان ابنتها ما تبقى من الطريق، حتى بيت تيموجين.

وبعد أن رافقت شوتان ابنتها حتى بيت تيموجين، تركتها هناك عائدة، وقتها شعر تيموجين بأنه بحاجة لرفقة بؤورشو لذا أرسل بيلغوتي لإحضاره، وما أن رأى بؤورشو بيلغوتي حتى ركب حصانه، البني ذا الظهر المقوس، واضعاً معطفه الصوفي الأزرق في جعبة السرج، ومضى برفقة بيلغوتي دون أن يخبر والده، وبعد ذلك ظل هو وتيموجين رفيقين لا يفترقان.

وتركا ضفة نهر سينغور وسارا إلى منحدر صخري يدعى بورجي عند منبع نهر كيرولين.

وأقاموا مخيمهم تحته، ولكي تؤدي السيدة بورته ابنة شوتان، الطقوس بتقديم هدية العرس لأم زوجها بمناسبة مشاهدتها لهم للمرة الأولى، كانت قد أحضرت معها معطفاً أسود من فرو السمور، وأخذ تيموجين، وقاسار، وبيلغوتي ذلك المعطف واستولوا عليه، وقال تيموجين: "في قديم الزمان كان والدي ييسوغي خان، قد تآخى مع أونغ خان حاكم قبيلة الكيريت، وبناء عليه إنه يعد بمثابة والدي ومثله.

وهو يقطن بالقرب من نهر تولا Tula في الغابة السوداء، لذا سأحمل هذا المعطف وأقدمه له"، فحمل تيموجين المعطف ومضى برفقة أخوته الثلاثة، ومثلوا في حضرة أونغ خان، فقال تيموجين: "لقد تآخيت مع والدي في قديم الزمان، لذا فإنك تعد بمثابة والدي لذلك فقد أحضرت لك هدية

العرس التي كانت زوجتي قد أحضرتها معها كي تقدم لأهل العريس عند مشاهدتها إياهم للمرة الأولى، فسر أونغ خان بمعطف فرو السمور وقال:

"مقابل معطف فرو السمور الأسود سوف أجمع لك شعبك الذي هجرك،

شعبك الذي تشتت في مختلف الأصقاع.

ومقابل معطف السمور الأسود أنا سأوحده حتى آخر رجل.

وسيبقى هذا الوعد قائماً في قلبي".

وبعدما أعلن ذلك، مضى تيموجين إلى بيته، وبينما كانوا يعيشون في مخيم بورجي، أتاه من قمة بورقان قالدون رجل عجوز يدعى جارشي أوداي يحمل على ظهره منفاخ حداد، ويصطحب ولده الذي يدعى جيلمي فقال: "عندما ولدت في ديليؤن – بولداق قدمت لك ثياب فرو سوداء، كما قدمت لك في الوقت ذاته ولدي جيلمي، ولكن بما أنه كان لا يزال حديث السن جداً أخذته معي حتى يترعرع، ومهما يكن من أمر فإنني أريدك أن تأخذ هذا الصبي كي:

يضع لك السرج على ظهر حصانك.

ويفتح لك الباب".

وقال له ذلك وهو يقدم ابنه إلى تيموجين.

وبعد وهلة من الزمن بينما كان إشراق الصباح الباكر على وشك التحول إلى الفجر قالت امرأة عجوز كانت تقوم بخدمة أوالون: "أماه، أماه انهضي على الفور فإنني اسمع صوتاً يهز السماء والأرض، ترى هل عاد ثانية أولئك التايجيئوت المزعجون الذين سبق لهم وألحقوا بنا الأذى؟"،

فأجابت الأم أوالون: "أيقظي أبنائي في الحال"، ونهضت أوالون نفسها فوراً ومثل ذلك فعل تيموجين وإخوته أيضاً، وركب كل من أوالون، وتيموجين، وقاسار، وقاشيئون وتيموجي، وبيلغوتي، وبورشو، وجيلمي حصانه، وحملت أوالون الفتاة تيملون بين ذراعيها ولم يزود سوى تيموجين بحصان قيادة، ولم يكن للسيدة بورته حصاناً تركبه.

وركب تيموجين وإخوته على الفور كان الوقت ما يزال مبكراً وتسلقوا صعوداً باتجاه قمة بورقان، أما الخادمة العجوز التي كانت تدعى قو ــ آقجين، فقد نوت إخفاء السيدة بورته.

فجعلتها تجلس في عربة سوداء مغطاة شدت إليها ثوراً مبقعاً.

وسارتا على طول جدول تينغيليك، وعندما كان الغسق يخيم عليهما، وقبل الفجر بقليل التقتا بمجموعة من الجند تتقدم باتجاههما، وطوقاها وتوجها نحوهما وسألاهما: "لأي شعب تنتميان؟" فأجابت العجوز "إنني أنتمي إلى آل تيموجين، ولقد ذهبت إلى الخيمة الكبيرة لأقص الغنم، وها أنذا عائدة إلى البيت الآن"، فسألها الجنود: "هل كان تيموجين في الخيمة أم لا؟ وكم تبعد من هنا؟"، فأجابت العجوز: "ليست ببعيدة لكنني أنا خرجت من الباب الخلفي المخصص للنساء، ولست أدري إن كان تيموجين في البيت أم لا".

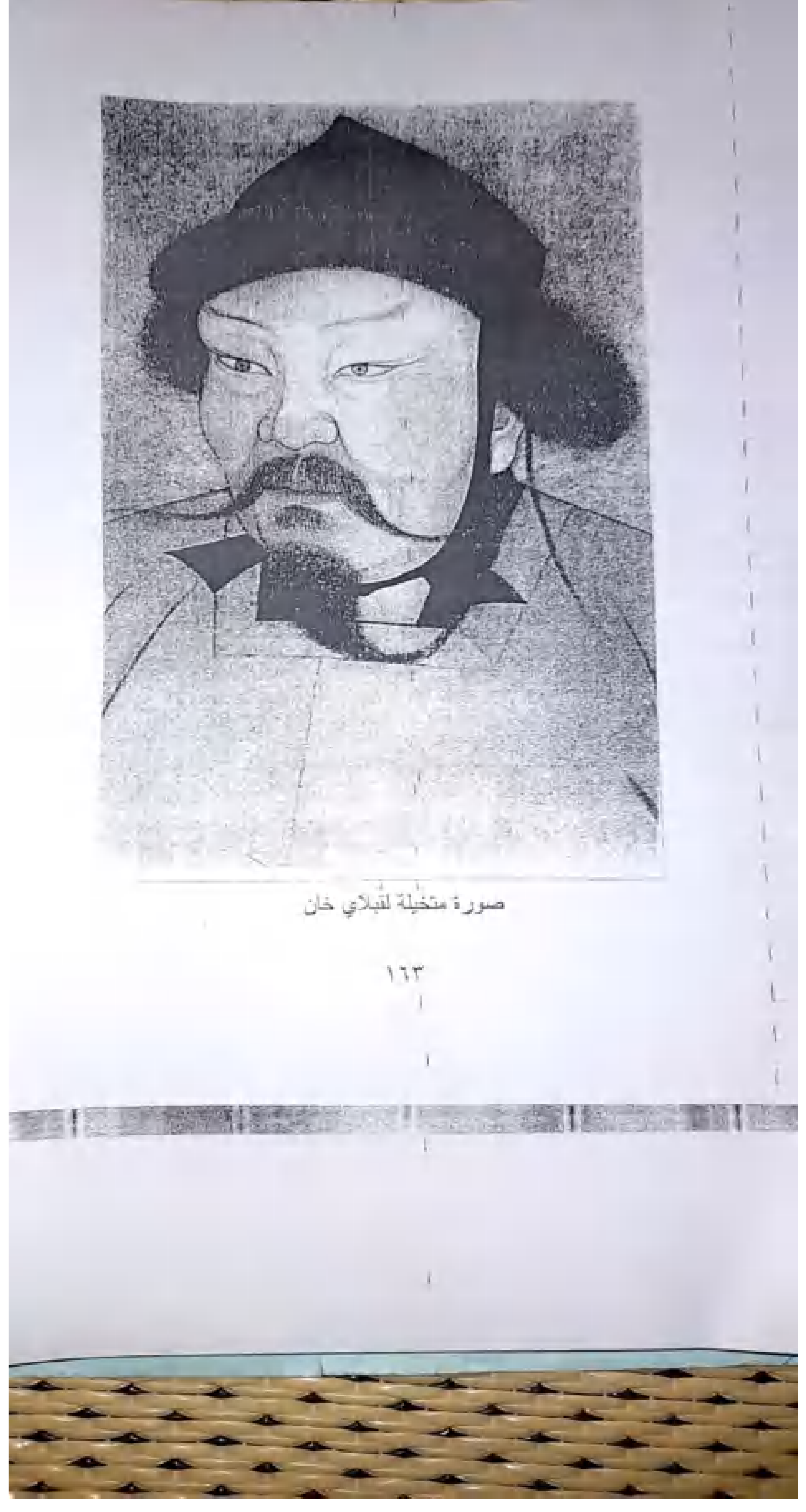
وبعد أن ابتعد الجنود، ضربت العجوز قو ــ آقجين الثور المنقط الذي كان مشدوداً للعربة، بسوط لتجعله يسرع في المشي، مما أدى إلى كسر عريش العربة، وكانت على وشك مغادرة العربة لتسير مسرعة على الأقدام، وتدخل في الغابة الجبلية عندما عاد الجنود في اللحظة ذاتها، ومعهم والدة بيلغوتي التي كانوا قد قبضوا عليها وحملوها على الكتفين،

فسألوها: "هل يوجد أحد في العربة؟" فأجابتهم: "كلا إنها محملة بالصوف"، فقال الجندي لرفاقه: "ترجلوا" ففعل الجنود كذلك، وفتحوا باب العربة، ولما نظروا إليها وجدوا فتاة تزوجت حديثاً، فسحبوها من العربة واقتادوها مع المرأة العجوز، وحملوها معهم على ظهر حصان، ثم قاموا بتمشيط الأعشاب، وتسلقوا قمة بورقان لاقتفاء أثر تيموجين.

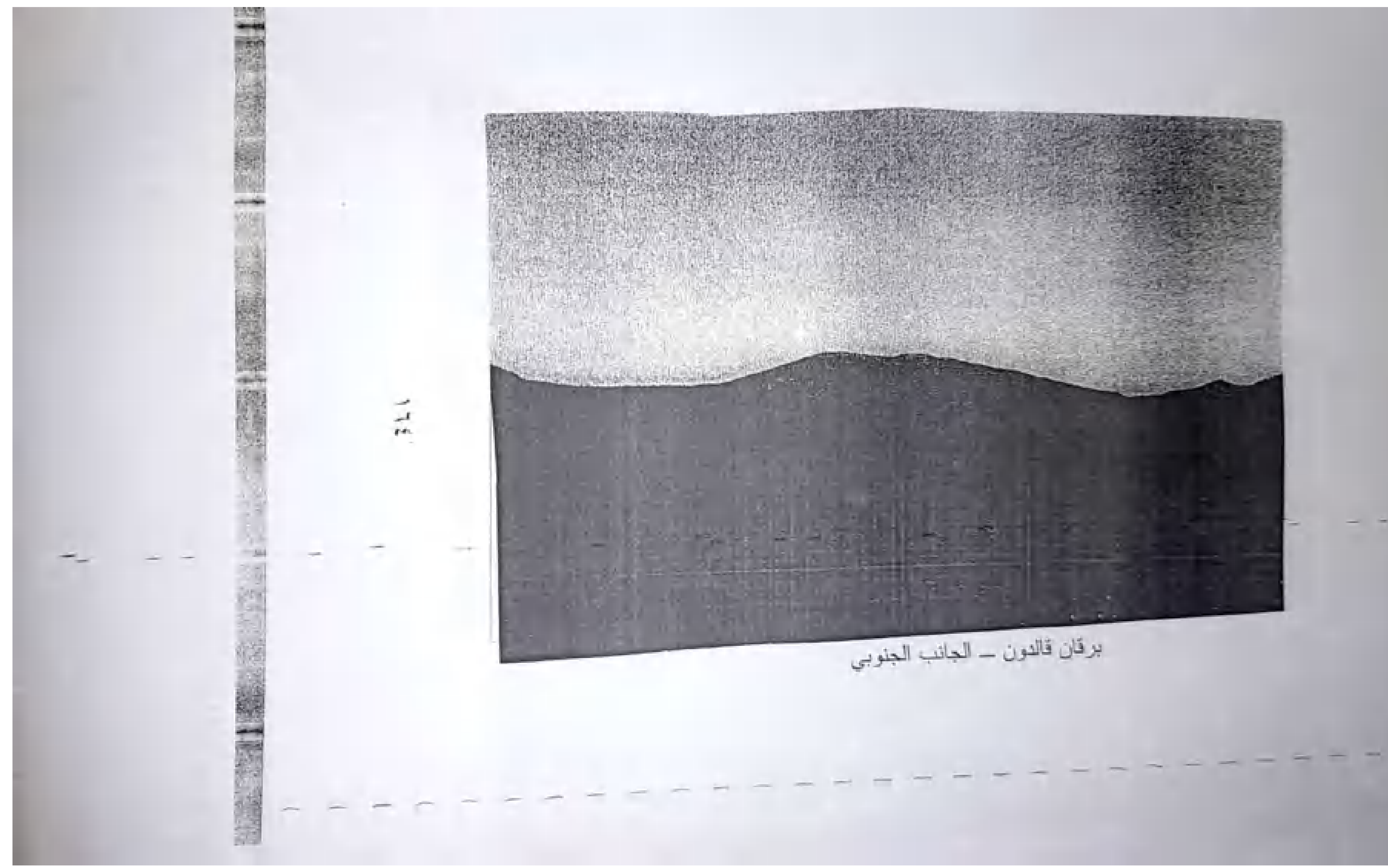
ودار الجنود ثلاث مرات حول قمة بورقان يتابعون تيموجين ويطاردونه دون أن يتمكنوا من إلقاء القبض عليه، ولما حاولوا مطاردته من مكان لآخر كانت تعترضهم الأرض الوعرة، والغابات الكثيفة، مما لم يمكنهم من المضي، والشيء الوحيد الذي استطاعوا أن يفعلوه هو أن يقتفوا أثره على الدرب الذي سار عليها، وعجزوا بالتالي تماماً عن إلقاء القبض عليه.

وكان الجنود المعنيون بالمسألة رؤساء لثلاث عشائر من المركيت Merkit هم: توقتوأ Togio'a من مركيت اوديويت Uduyit ، ودايريوسون Dyir- usun من مركيت يريواس U'uas ، وقاآتاي دارمالا Qa'atai- Darmala من مركيت قاآت Qa'at .

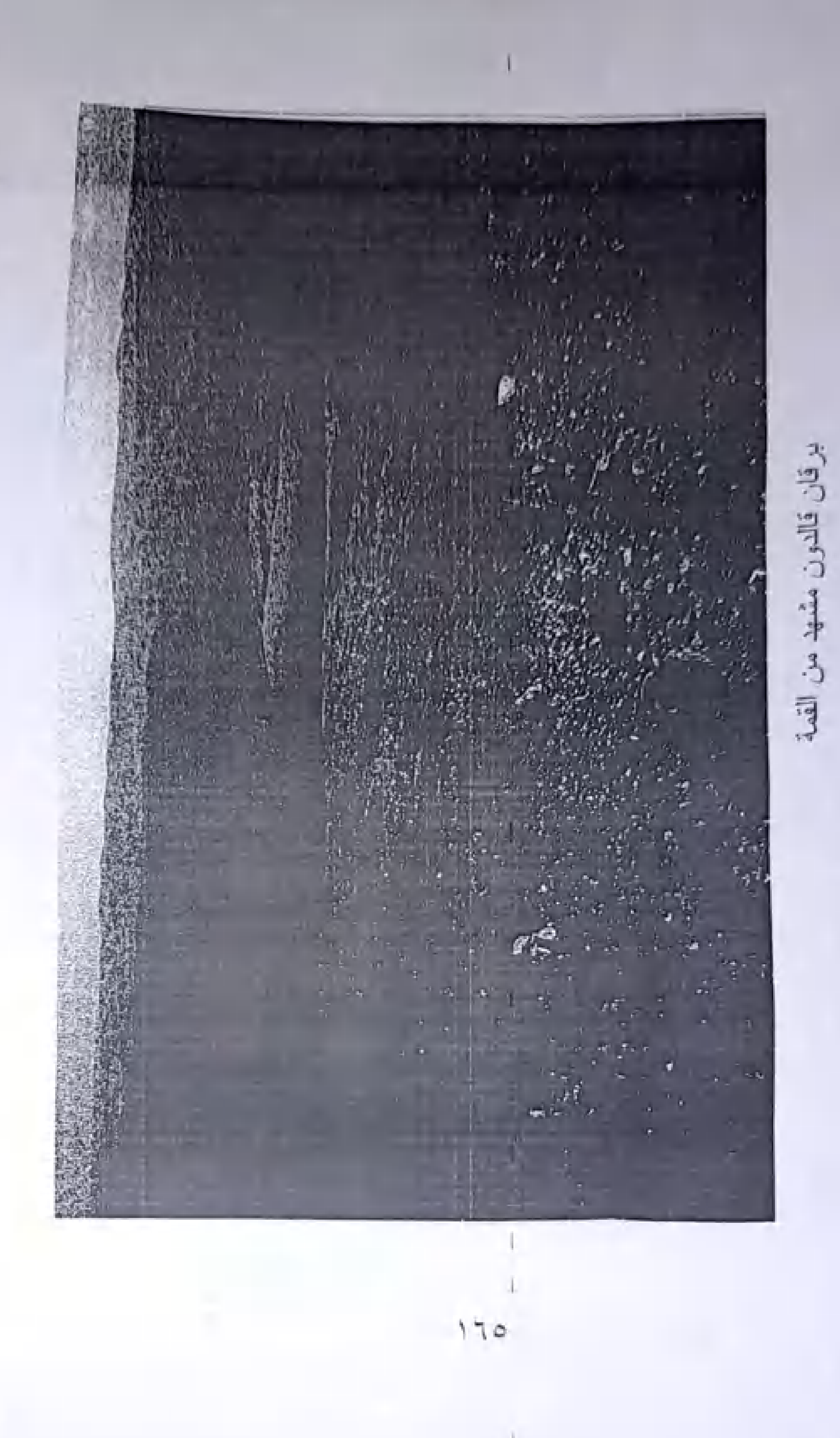
وكان أولئك الثلاثة قد قدموا لينتقموا ضد الذنب الذي ارتكب عندما أخذت أوالون من ييكي غيلِيدو Yake - giledu من قبل ييسوغي، فقالوا "لقد انتقمنا الآن لاحتجاز أوالون بإلقاء القبض على زوجة ابنه تيموجين، فانتهى الثأر"، وقالوا ذلك وهم ينحدرون نزولاً من قمة بورقان، وعادوا إلى بيوتهم.



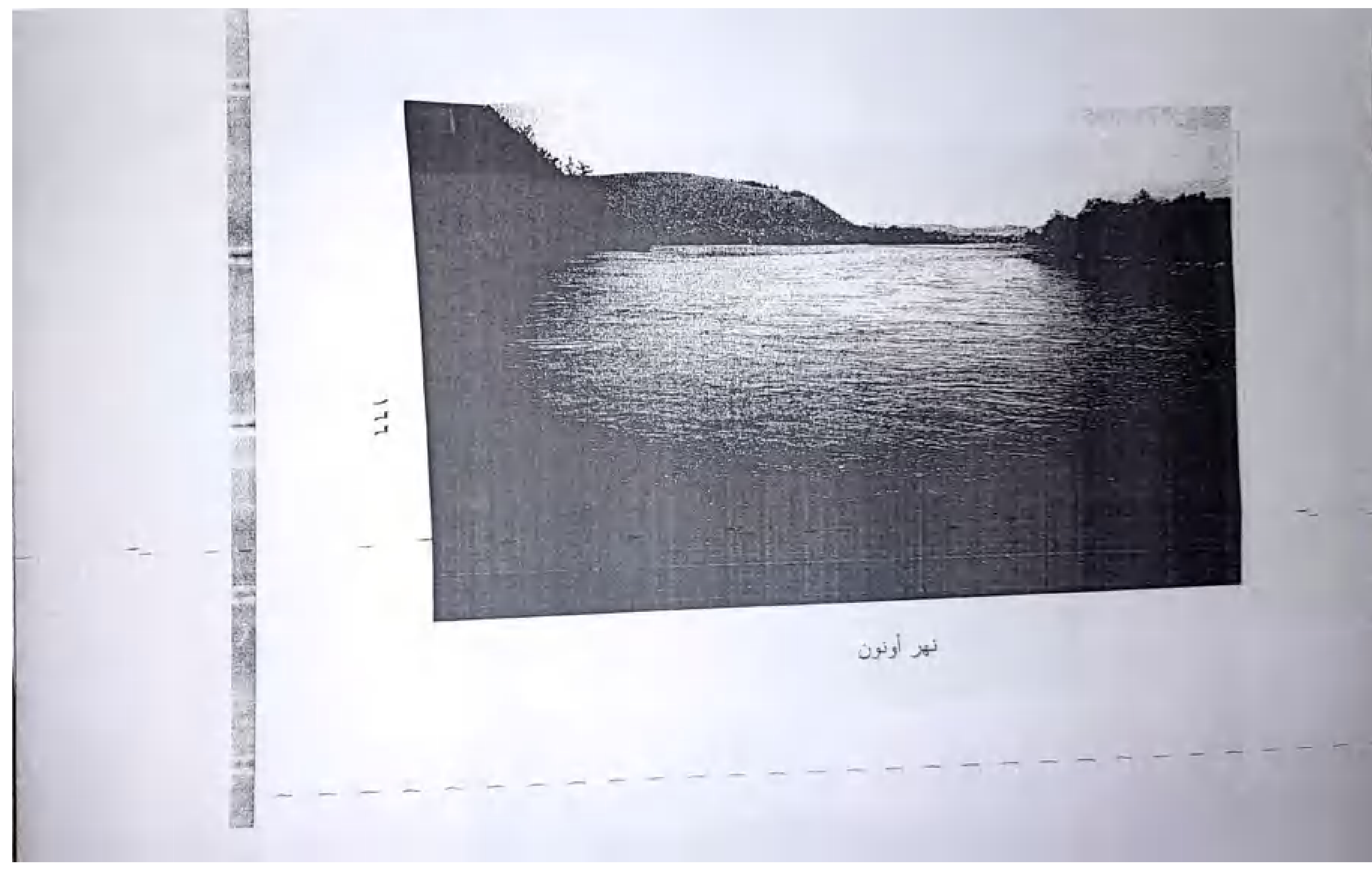
صورة متخيلة لقبلاي خان



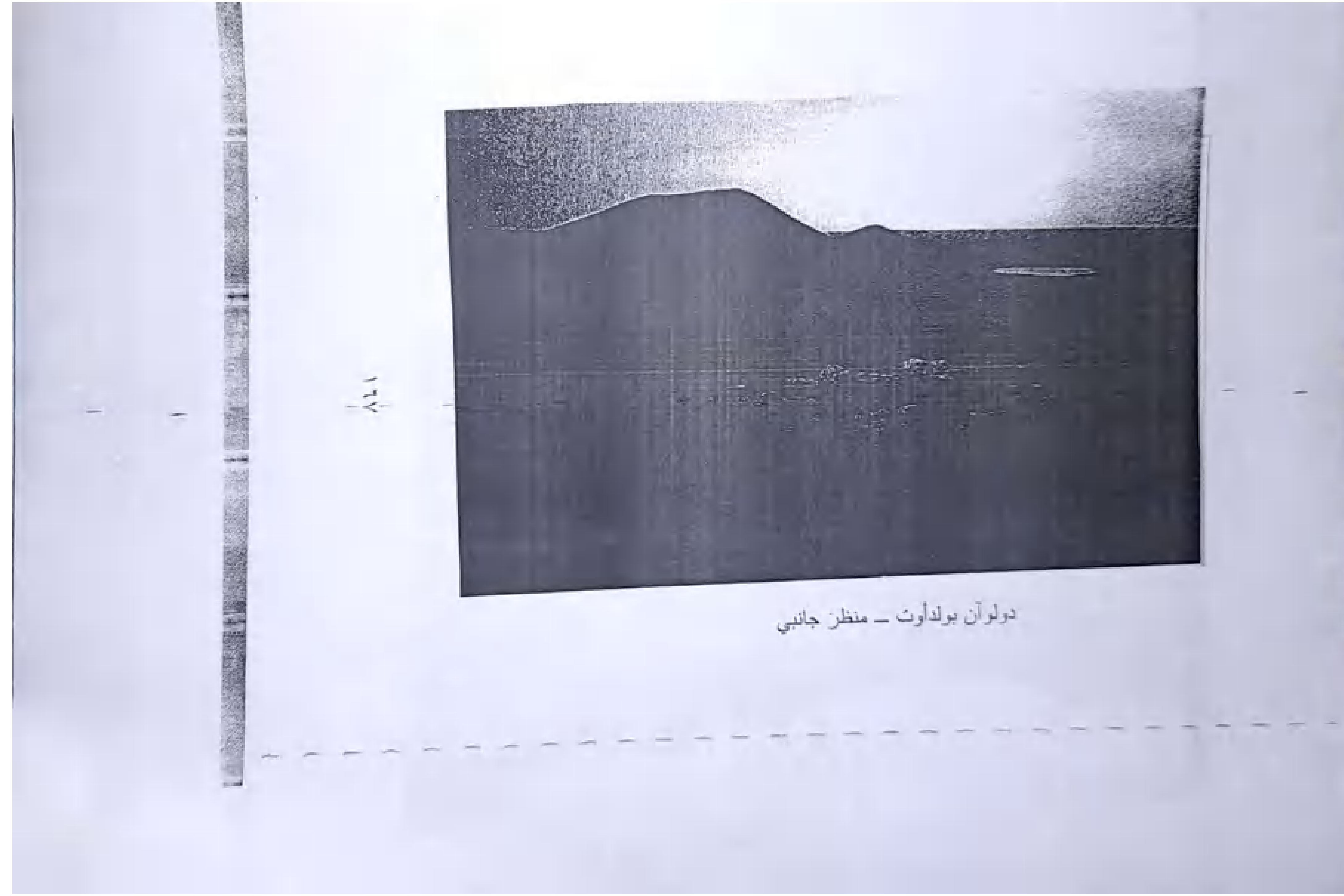
برقان قالدون – الجانب الجنوبي



برقان فالدون مشهد من القمة



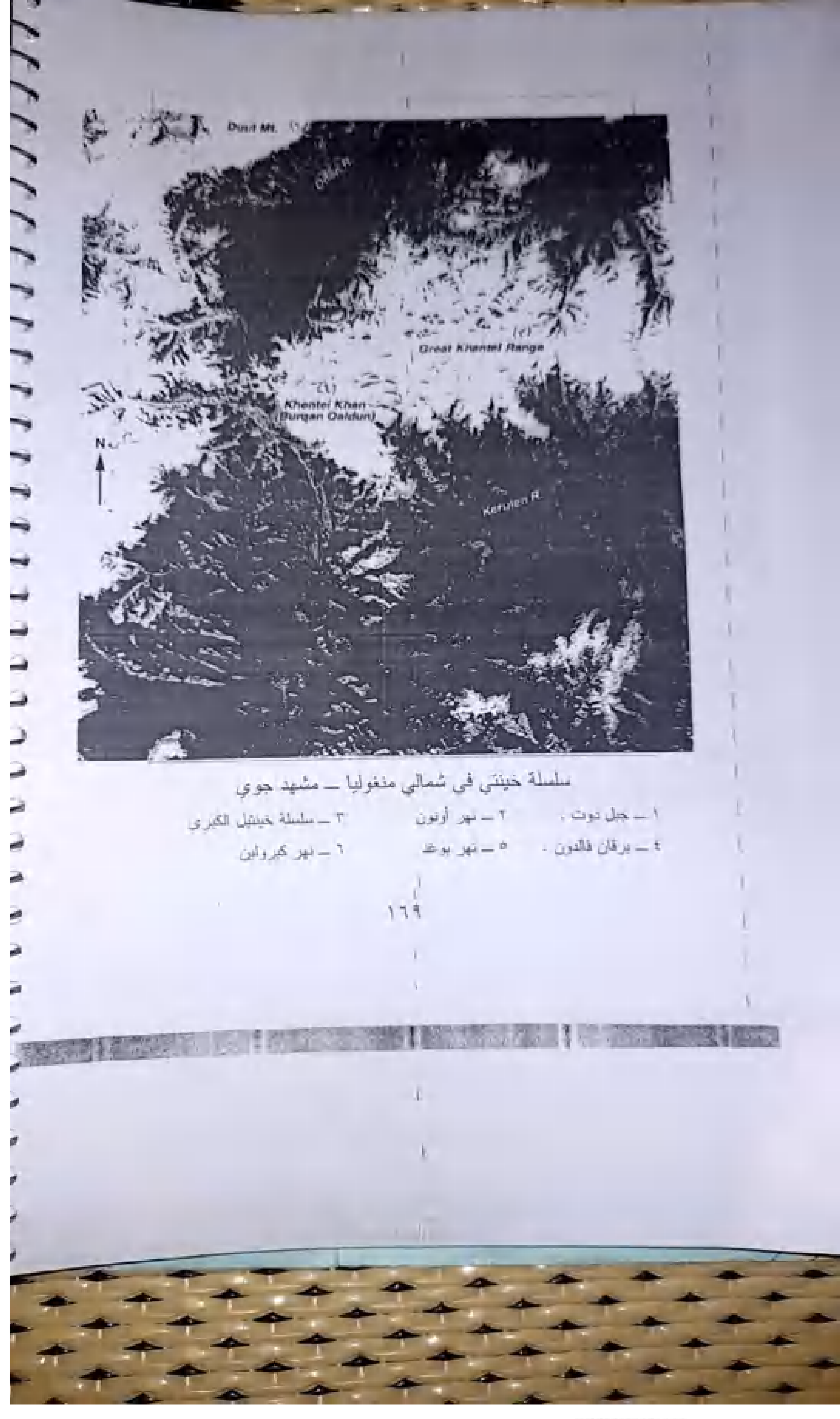
نهر أونون



دولوآن بولدأوت ـ منظر جانبي



دينار ذهبي مما ضربه جنكيز خان



سلسلة خينتي في شمالي منغوليا ـ مشهد جوي

١ ـ جبل دوت . ٢ ـ نهر أونون ٣ ـ سلسلة خينتيل الكبرى

٤ ـ برقان قالدون . ٥ ـ نهر بوغد ٦ ـ نهر كيرولين

ولم يكن تيموجين متأكداً فيما إذا كان المركيت قد عادوا إلى البيت فعلاً أم أنهم يكمنون لشن غارتهم لذا فقد أرسل: بيلغوتي، وبزورشو، وجيلمي للتجسس عليهم من الخلف، وعندما ابتعدوا فقط ثلاث ليال، ورأى بأن المركيت لم يعودوا فعلاً في الجوار، نزل تيموجين من قمة بورقان، فدق صدره وناجى السماء قائلاً: "لقد تمكنت من الفرار لأن لوالدتي العجوز قو آقجين:

أذنين حادتي السمع كأذني السنجاب، وعينين ثاقبتين كالقاقوم.

ونجوت بحياتي، وجسمي صحيحاً

وتسلقت جبل بورقان

على حصان مقيد بالشكال

واتبعت ممرات الغزال

وتغطيت بأغصان شجر الدردار

فتحتهم اتخذت بيتي

الشكر لبورقان قالدون

أنا نجوت بحياتي، وهي حياة تافهة مقملة

خائفاً على حياتي، على حياتي فقط

أنا تسلقت جبل قالدون

على حصان واحد، أتبع طرق الوعول

وتغطيت بأغصان محطمة لشجرة صفصاف

فتحتهم اتخذت بيتي

الشكر لبورقان قالدون

إن حياتي، التي هي مثل حياة جُندب

حميت بالفعل ووقيت

ولكن كنت أنا مرعوباً إلى أبعد الحدود، وفي كل صباح سوف أقدم القرابين إلى بورقان قالدون، وفي كل يوم سوف أصلي له، ولسوف يفعل هذا دوماً أولادي وأحفادي من بعدي"، وبعد أن تكلّم على هذا النحو ملتفتاً نحو الشمس علق حزامه فوق عنقه وحمل قبعته في يده، وهو يضرب صدره بقبعته، وركع تسع مرات نحو الشمس، وأراق حليب الفرس واتخذ منه قرباناً، وصلاة.

الفصل الثالث

وبعد أن تكلم تيموجين هكذا، ذهب مع قاسار، وبيلغوتي لمشاهدة تو أوريل الأونغ خان، حاكم الكيرتيين، والذي كان يعيش آنذاك في الغابة السوداء بجانب نهر تولا، فخاطبه تيموجين قائلاً: "أخذني رؤساء قبائل المركيت الثلاثة على حين غرة، فاحتجزوا زوجتي، وحملوها معهم وإنني أتساءل كيف سيخلص الخان "والدي" زوجتي ويعيدها إليّ؟".

وعلى هذه الكلمات أجابه تو أوريل أونغ خان قائلاً: "ألم أتكلم معك في العام الماضي؟" فعندما جلبت لي معطف فراء السمور أنت قلت: "بما أنه في أيام والدي، أعلنتما أنتما الاثنين عن نفسيكما صديقين متآخيين بالقسم، وإنك أنت بالفعل مثل أب لي"، وعندما وضعت المعطف علي هناك قلت آنذاك:

مقابل معطف فراء السمور
سوف أوحد من أجلك
شعبك المشتت.
مقابل معطف فراء السمور
أنا سوف أجمع من أجلك
شعبك الممزق وألم شمله، وليكن
مكان ذلك الوعد المخلص في قلبي، تماماً مثلما
يتوجب أن تكون الكليتان في الظهر"

أو لم أقل أنا هذا: إنني الآن سوف أفي بذلك الوعد، وذلك:

في مقابل معطف فراء السمور
حتى لو أدى الأمر إلى التدمير الكامل للمركيت
ولسوف أنقذ زوجتك السيدة بورته.
ومقابل معطف فراء السمور الأسود
سوف نسحق جميع المركيت
ولسوف نتدبر عودة زوجتك بورته
إعادتها وجلبها إليك

أرسل رسالة إلى الأخ الأصغر جاموقا، الذي لابد أنه الآن في وادي قورقوناق، وإنني سوف أنطلق من هنا مع وحدتين، كل واحدة منهما عشرة آلاف، ولسوف تشكلان الجناح الأيمن للجيش ويتوجب على الأخ الأصغر جاموقا أن ينطلق مع وحدتين، كل واحدة منهما عشرة آلاف لتشكلا الجناح الأيسر، وينبغي على جاموقا (جاموخا) أن يحدد مكان وزمان اجتماعنا".

وعندما عاد تيموجين، وقاسار، وبيلغوتي من معسكر تو أوريل أونغ خان، ووصلوا إلى خيمهم بعث تيموجين قاسار، وبيلغوتي معاً إلى جاموقا قائلاً: "أعطيا أخي بالقسم، وصديقي جاموقا هذه الرسالة:

عندما وصل المركيت الثلاثة
جعل فراشي فارغاً
أو لست أنت وأنا
من أسرة واحدة؟
فكيف سننتقم ونأخذ ثأرنا
إن صدري قد تمزق إلى قطع

أو لست أنا وأنت

أقرباء قرابة دم؟

فكيف سننتقم لهذه الجريمة؟

وهو قد أرسل هذه الرسالة، وكانت هذه هي الكلمات التي أراد نقلها وإيصالها إلى صديقه بالميثاق جاموقا، وأخبرهما أيضاً بأن بروريا إلى جاموقا الكلام الذي تفوه به تو أوريل خان، حاكم الكيريت، حيث قال: "لدى تذكري الأشياء الجيدة التي صنعت لي في الأيام الماضية، من قبل أبيه ييسوغي خان، إنني سأقف إلى جانب تيموجين، ولسوف أنطلق مع وحدتين في كل واحدة منهما عشرة آلاف، ولسوف أشكل الجناح الأيمن، أرسل رسالة إلى الأخ الأصغر جاموقا، بأن عليه الانطلاق مع وحدتين في كل واحدة منهما عشرة آلاف، وفيما يتعلق بمكان وزمان اجتماعنا واتحاد قواتنا، ليقم الأخ جاموقا بتقرير ذلك"، وبعد ما انتهينا من تسليم هذه الرسالة، قال جاموقا:

ليعلم أخي باليمين والميثاق تيموجين

الذي أصبح فراشه فارغاً

أن ذلك جلب الألم إلى قلبي

وليعلم هذا:

أن صدره الذي تمزق إلى مزق

قد جلب الألم إلى كبدي

فلسوف نزيل الأودويت، والأواس المركيت من الوجود

ولسوف ننقذ سيدتنا بورته

ولسوف نأخذ انتقامنا

ونسحق جميع الفآت المركيت

ولسوف ننقذ زوجتك بورته

ونتسبب بعودتها

والآن

إن توقفتوآ، سوف يفر

عندما يضرب الإنسان أحزمة السروج ويشدها

لأنه سوف يُعدّها مقدمة لصوت الطبل

وهو لابد أن يكون الآن في سهل بوأورا

ولابد أن دائير بوسون عندما سمع

قعقعة الكنانة المرخية

قد تخلى عن أصحابه وهجرهم

ولذلك لابد هو الآن في سهل تالقون آرال

بين نهري الأورقون والسيلينغي

وبالنسبة لقاتآي دارمالا، فإنه عندما أغصان الحرّض

تحركها الرياح وتحملها بعيداً

سوف يهرب إلى داخل الغابة السوداء

والآن:

عبر الطريق الأقصر

سوف نعبر نهر كيلقو

فلعل نبات البردي أصبح ناديا بشكل جيد
فلسوف نربط طوافاتنا به
ولسوف ندخل إلى اراضيهم
ونتزل عبر كوة الدخان وعليها
العائدة لخيمة ذلك الجبان توقتوا
ولسوف نحطم إطارها الفخم
وبذلك سوف نسقط
ولسوف نقتل زوجاته وأولاده
إلى آخر واحد منهم
وبالنسبة لبابه العائد إلى إطاره المقدس
لسوف نضربه ونحطمه إلى أجزاء
ولسوف ندمر شعبه تدميراً كاملاً
إلى أن لن يبقى شيئاً.

ثم استطرد جاموقا قائلاً: قولا إلى تيموجين أخي بالقسم وصديقي، وإلى أخي الأكبر تؤوريل خان، وقولا لهما باسمي ونيابة عني: "إنه بالنسبة لي

لقد نشرت رايتي
التي هي مشاهدة من على مسافة بعيدة
لقد قرعت طبلي ذي الصوت العالي
المغطى بجلد ثورا أسود

وامتطيت ظهر حصاني الأسود السريع
وارتديت سابغتي ودروعي
وأمسكت برمحي الفولاذي
ووضعت أوتار قوس نبالي ذوات النصال
المعمولة من لحاء شجر الدراق البري
وأنا الآن جاهز، فدعونا نشرع
وتدخل في معركة مع القاآت مركيت"
ثم إنه قال لهما:
إن رايتي الطويلة، المشاهدة عن بعد،
قد نشرتها،
وقد قرعت على طبلي ذي الصوت العميق
المغطى بجلد ثور
وامتطيت حصاني السريع
الحصان الذي له خط أسود على امتداد ظهره
وارتديت درعي المؤلف من ألواح مربوطة بالجلد
وأمسكت بسيفي من مقبضه
ووضعت الوتر على قوس نبالي ذوات النصال
وأنا جاهز، دعونا نقاتل حتى الموت
ضد الأودوييت مركيت".

ثم إنه قال لهما: "إنه بعدما يكون أخي الأكبر توأوريل خان قد أقلع منطلقاً، ومرّ بصديقي بالقسم تيموجين، على الجانب الجنوبي من بورقان قالدون، ليقدما مع بعضهما متحدين، فنحن سوف نلتقي عند بوتوقان

بوأورجي Botoqan Bo'orji ، عند نبع نهر الأونان، فأنا عندما سأقلع منطلقاً من هنا، مسايراً مجرى نهر أونان، إلى حيث وجود شعب صديقي بالقسم، فمن وحدة واحدة مؤلفة من عشرة آلاف مأخوذة من شعبه، مع وحدة مما هو موجود هنا سوف يكون هناك وحدتان في كل واحدة منهما عشرة آلاف، ولسوف تمضي سائرين على امتداد مجرى نهر أونان، حيث سنتلاقى، ونوحد قوّاتنا، في المكان المحدد للاجتماع في بوتوقان بوأورجي"، وسرحهما وجعلهما يذهبان حاملين لهذه الرسالة.

ووصل قاسار وبيلغوتي ورويا كلام جاموقا وكلماته تلك إلى تيموجين، وهي الكلمات التي طلب منهما إيصالها إلى توأوريل خان.

ولدى تسلم توأوريل خان رسالة جاموقا أخذ إلى الميدان وحدتين في كل واحدة منهما عشرة آلاف، وبعد ما انطلق توأوريل خان، وعندما كان يقترب من اتجاه معسكر بورغي Burgi القائم إلى جانب نهر كيلورين Keluren على الجانب الجنوبي لبورقان قالدون، وبالنسبة لتيموجين، الذي كان آنذاك في معسكر بورغي، وبذلك كان على طريق توأوريل، اتخذ طريقه نحوه، وساير امتداد مجري النهر على طول تونغيليك Tunggelik ، ونصب مخيماً على جدول تانا Tana ، على الجانب الجنوبي لبورقان قالدون، ثم زحف تيموجين من هناك مع قواته، وعندما قام توأوريل خان مع واحدة من وحدتيه التي تألفت من عشرة آلاف، وكذلك أخوه الأصغر جاقا غامبو Jaqa Gambu ، الذي كان معه أيضاً وحدة مؤلفة من عشرة آلاف ــ حيث احتوت الوحدتان على عشرين ألفاً ــ عندما اجتمعت الوحدتان واتحدتا، توقفتا عند أيل قراقانا Ayil Qaraqana ، عند جدول كيمورقا Kimurqa ، وهنا التحق بهما تيموجين ونصب مخيمه.

واجتمع تيموجين، وتوأوريل خان، وجاقا غامبو مع بعضهم، ومن ثم انطلقوا سوية من هناك، وعندما وصلوا إلى بوتوقان بوأورجين، عند نبع نهر أونان، كان جاموقا قد وصل إلى مكان اللقاء قبل ثلاثة أيام مضت.

وعندما رأى جاموقا عساكر تيموجين، وتوأوريل، وجاقا غامبو، استعد، وصفَّ وحدتيه اللتان كان في كل واحدة منهما عشرة آلاف عسكري، وعبأهما استعداداً للقتال، ومثل ذلك فعل تيموجين، وتوأوريل خان، وجاقا غامبو، حيث عبأوا قوائهم ووضعوهم في حال الاستعداد للقتال، ولكن ما لبثوا عندما صاروا وجهاً لوجه، أن عرف أحدهم الآخر، وهنا قال جاموقا: أو لم نتفق على عدم التأخير:

عن الموعد المحدد للقاء

حتى لو كانت هناك عاصفة

تهب أثناء الاحتشاد

لا بل حتى وإن كان هناك مطراً ؟

أو لسنا نحن معشر المغول الذين لديهم كلمة "نعم"، لها قوة الربط مثل يمين؟ أولم نتفق على أننا:

سوف نطرد من بين صفوفنا

كل من يتخلى عن "نعمه"

وجواباً على كلام جاموقا، قال توأوريل: "بما أننا تأخرنا ثلاثة أيام عن مكان اللقاء، إن الأمر عائد إلى الأخ الأصغر جاموقا ليعاقب، ولينزل ملامة"، ووفق هذه الطريقة تبادلوا كلمات النقد والعتاب حول اللقاء.

وانطلاقاً من بوتوقان بوأورجين لزحفوا إلى أن وصلوا إلى نهر كيلقو Kilqo، فصنعوا طوافات وعبروه، وبعدما وصلوا إلى سهل بوأورا Bu'ura،

من هناك:

نزلوا منقضين على فتحة الدخان

العائدة لخيمة توقتوآ ـــ بيكي Toqto'a Beki

خيمته ذات الإطار المتكبر

ووجهوا إليه ضربة، ولذلك انهارت

فنهبوا زوجاته وأولاده

حتى آخر واحد منهم

ووجهوا ضربة إلى الباب المقدس لإطار

خيمته وبذلك إنهار وتحطم وتمزق

وهم نهبوا شعبه بشكل كامل

إلى أن لم يتركوا فيه شيئاً

وعندما كان توقتوآ ـــ بيكي نائماً، صدف أن كان هناك بعضاً من صيادي السمك، وصيادي السمور، وصيادي الحيوانات البرية، موجودين على ضفة نهر كيلقو، فغادروها، ومشوا طوال الليل، حاملين لأخبار الحلفاء، ولدى وصولهم قالوا: "إن الأعداء قادمون، وهم مندفعون يسيرون بأقصى سرعة ممكنة"، وعندما تسلم توقتوآ بيكي، ودايِر يوسون Dayir Usun ، من اليوآس U'as المركيت هذه الأخبار، اجتمعا مع بعضهما، ومضيا يسيران على امتداد نهر سيلينغي Selengge ، ودخلا إلى أراضي بارقوجين Barqujin ، ولقد كان عددهم قليلاً، وكانوا مجردين من كل شيء إلا من أجسادهم، فهم هكذا نجوا، باللجوء إلى الفرار، نجوا بحيواناتهم فقط.

وخلال الليل هرب شعب المركيت في كل اتجاه، على امتداد نهر سيلينغي، ولكن على الرغم من الليل كانت قواتنا تضغط بشدة في مطاردتها للمركيت الفارين بسرعة، ومع استمرار أعمال السلب والنهب، تحرك تيموجين بين الناس الهاربين بسرعة، وهو يدعو "بورته، بورته"، إلى أن تمكن من الوصول إليها، لأن السيدة بورته كانت بين هؤلاء الناس الهاربين، وسمعت صوت تيموجين، وميزته وعرفته، فخرجت من العربة، وقدمت تركض نحوه، ومع أن الوقت كان ما يزال ليلاً، عرفت كل من السيدة بورته، وقوآقجين العجوز أعنة تيموجين ونطاقه، وأمسكتا بهم، وكان القمر مضيئاً، فنظر نحوهما، وميز السيدة بورته وعرفها، فتعانق الاثنان وضما أحدهما بذراعيه الآخر، وبعد هذا، وفي تلك الليلة بالذات، بعث تيموجين رسالة إلى توأوريل خان، وإلى صديقه بالقسم جاموقا قائلاً: "لقد وجدت الذي كنت أبحث عنه، دعونا نتوقف عن الترحال طوال الليل، ولنقم بنصب مخيمنا هنا"، فلقد كانت هذه هي الرسالة التي بعث بها إليهما، وأما بالنسبة لأفراد شعب المركيت، الذين كانوا هاربين في كل اتجاه أثناء الليل، وكانوا ما يزالون متفرقين وهم يركضون، هم أيضاً توقفوا بدورهم وأمضوا الليل حيث حدث أن كانوا موجودين.

وهذه كانت الكيفية التي أنقذت بها السيدة بورته من أيدي قبيلة المركيت، وكيف عاودت الاتحاد مع تيموجين.

وكان الذي حدث في البداية بالذات هو أن توقتوآ ـ بيكي، من اليودوييت Uduyit مركيت، ودايريوسن من اليوآس مركيت، وقاآتاي دارمالا Qa'atai Darmala من القاآت Qa'at مركيت، حدث أن قدم هؤلاء مع ثلاثمائة رجل، قائلين: "في الأيام الماضية اختطفت الأم أوالون من قبل

بيسوغي بالثور، من بيكي جيليدو Yeke Giledu الذي كان الأخ الأصغر لتوفتوآ ــ بيكي، وهم قد أقلعوا للانتقام لذلك، وفي ذلك الوقت دار تيموجين ثلاث مرات حول جبل بورقان قالدون، وفي تلك الأثناء أسروا السيدة بورته، وقد عهدوا بها إلى جيلغير بوكو Gilger Boko ، الأخ الأصغر لجيليدو، وبحكم أن جيلغير بوكو كان يرعاها منذ ذلك الوقت، فإنها عندما هربت، وتخلت عن رفقته قال:

"إن الذي تغذى بفضلات قطع من الجلد
الغراب الأسود أنا ــ ومع ذلك
كان الأوز والكركي
هو ما تطلعت لأن آكل لحومهم
إنني أنا المتوحش، والمنحط جيلغير الذي ألقيت يدي
على السيدة النبيلة
فكان أن جلبت الكارثة وجعلتها تنزل
على جميع المركيت
المنحط والحقير جيلغير
قد وصلت إلى النقطة
التي سوف أفقد بها رأسي الأسود
وفي سبيل إنقاذ رأسي وحياتي فقط،
أود لو أستطيع الزحف إلى ممرات مظلمة
فمن الذي سيعمل ليكون كترس لي؟

وأن يغذيني على أكل الفئران والجرزان
هل الصقر هو ذلك الطائر الشرير ــ ومع ذلك
إن الأوز والكركي،
هو ما يتطلع ليأكل،
أنا اللص، والمنحط جيلغير، الذي سرق
سيدة أثيرة ومحظوظة
فجلبت كارثة وأنزلتها على
المركيت جميعاً
تفاخر أيها المنحط جيلغير
أنا وصلت إلى النقطة
التي سوف أفقد فيها رأسي المهين.
وفي سبيل إنقاذ رأسي الذي لا يساوي أكثر من بعرة شاه
أود لو أستطيع التسلل إلى داخل ممرات مرعبة مظلمة
فمن الذي سوف يحمي حياتي
التي لا تساوي أكثر من بعرة شاه؟

فلقد كان يتكلم هكذا، وقد نجا، بعدما تخلى عن رفاقه الذاتيين، ولقد اعتقلوا قاآتاي ــ دارمالا، وأعادوه:

وأرغموه على أن يرتدي نيراً صُنع
من لوح خشبي
وأخذوه مباشرة إلى قالدون بورقان

وأخبرهم أحد الأشخاص بأن أم بيلغوتي كانت في المخيم هناك، وذهب بيلغوتي إلى هناك ليحضر أمه، ولكنه عندما دخل إلى الخيمة من بابها الأيمن، خرجت أمه وهي ترتدي أسمالاً من جلد شاة، من الباب الأيسر، وفي خارج الخيمة قالت لشخص آخر: "لقد أخبرت بأن أبنائي صاروا خانات، غير أنني ارتبطت هنا بإنسان منحط، فكيف يمكنني الآن أن أنظر إلى أولادي وجهاً لوجه؟"، فلقد قالت هذا، وانسلت هاربة إلى داخل الغابة الكثيفة، وبحث بيلغوتي نويان على الفور عنها، ولكنه لم يستطع العثور عليها، وعند ذلك رمى بنبال لها رؤوس على شكل عقدة، نحو أي رجل من جماعات المركيت، وهو يقول: "أعيدوا لي أمي، وفيما يتعلق بالثلاثمائة رجل من المركيت الذين طوقوا فيما مضى جبل بورقان:

فقد أبيدو بشكل كامل هم

وأولادهم هم وأولاد أولادهم

وألقي بهم إلى الرياح مثل رماد الموقد

وأما بالنسبة للمتبقي من زوجاتهم

فاللائي كن لائقات للاحتضان

جرى احتضانهن

واللائي كن موائمات للبقاء في الخيمة

أبقين عند الأبواب وخدمن كجوار مستعبدات

وتركن باقيات عند مداخل أبواب الخيام

وتحدث تيموجين بامتنان إلى توأوريل خان، وإلى جاموقا، وقال: "بما أنني اتخذت رفيقاً من قبل أبي الخان، ومن قبل صديقي بالعهد جاموقا،

ومع ازدياد قوتي بوساطة السماء والأرض:

ولقد دعينا من قبل السماء الجبارة،

وحملنا خلال ذلك من قبل الأم الأرض، فكنا

نحن الذين أفرغنا صدور شعب المركيت

نحن الذين قاموا بانتقامهم كما يفعل الرجل الشجاع،

ومزقنا أكبادهم إلى مزق

وأفرغنا مضاجعهم من زوجاتهم

وأبدنا أقرباءهم ومحقناهم

ونساؤهم اللائي بقين

اتخذناهم بكل تأكيد أسرى مستعبدات.

وهكذا بعدما دمرنا شعب المركيت، دعونا الآن ننسحب، ونرجع".

وفي الوقت الذي كان فيه اليودونيت المركيت يفرون بسرعة، وجد جنودنا طفلاً صغيراً في الخامسة من عمره، مع بريق في عينيه كانوا قد تركوه خلفهم في المخيم، وقد كان اسمه كوجو Kučü، وكان يرتدي معطفاً من فراء السمور، وحذائين صنعا من جلد الساقين الأماميين لغزال، فأخذوه وجلبوه إلى الأم أوالون، وقدموه لها كهدية.

وكان بعدما وحد تيموجين، وتوأوريل خان، وجاموقا قواتهم:

حطموا العربات المغلقة

واستولوا على النساء الرائعات

من المركيت، ثم انسحبوا من تالقون أرال، بين نهري أورقان، وسيلينغي، وسار تيموجين وجاموقا منسحبين مع بعضهما، وقد مضيا

باتجاه وادي قورقوناق Qorqonaq ، وأما توأوريل خان، فعبر وهو على طريق عودته، وادي هوكورتو Hokortu ، على الجانب الشمالي من بورقان قالدون، ثم إنه مرّ عبر وادي قاجا أوراتو سوبجيت Qaga'uratu subčit ، ووادي هولياتو Huliyatu ، حيث اصطاد حيوانات برية، ثم إنه انسحب باتجاه الغابة السوداء قرب نهر توأولا Tu'ula.

ووصل تيموجين وجاموقا مع بعضهما، ونصبا معسكراً في وادي قورقوناق، وهناك تذكرا كيف أصبحا في الزمن الماضي صديقين بالميثاق، وقالا: "دعونا نجدد ميثاقنا المشترك، ميثاق صداقتنا، ودعونا الآن مرة أخرى يحب أحدنا الآخر".

وفيما مضى عندما أصبحا للمرة الأولى صديقين بالميثاق، كان تيموجين في الحادية عشرة من عمره، ووقتها أعطى جاموقا إلى تيموجين لعبة مصنوعة من سلامي عظم الرو، وبالمقابل أعطاه تيموجين عظم سلامي مذاب فيها النحاس، وهكذا أصبحا صديقين بالميثاق، وبعدما كانا قد أعلنا عن نفسيهما صديقين بالميثاق، لعبا معاً لعبة عظام السلامي على جليد نهر الأونان، فهناك كانا قد أعلنا عن نفسيهما صديقين بالميثاق للمرة الأولى.

ومن بعد ذلك، أعندما كانا في الربيع يتدربان على الرماية بقوسيهما المصنوعين من خشب التنوب، شطر جاموقا، قرني عجل عمره عامين يحملان فتحات فيهما ثم لصقهما مع بعضهما، وأعطى رأس السهم هذا الذي يطلق صفيراً عند مروره بالهواء إلى تيموجين، وبالمقابل أعطاه تيموجين سهماً له عقدة على رأسه مصنوعة من خشب الصنوبر، فأصبحا مرة أخرى صديقين بالميثاق.

ولقد كان هكذا كيف أعلنا عن نفسيهما صديقين بالميثاق للمرة الثانية.

فلقد قال أحدهما للآخر: "لنصغ إلى ما تفوه به الرجال القدماء في الأجيال الغابرة، حيث قالوا:

أصدقاء الميثاق – الاثنان منهم

يتشاركان في حياة واحدة

ولا يتخلى أحدهما عن الآخر

وحياة كل واحد منهما هي ضمان لحياة الآخر.

ونحن قد علمنا أن هذا هو القانون الذي يحب بموجبه أصدقاء الميثاق أحدهما الآخر، والآن ونحن نجدد مرة أخرى يمين ميثاق صداقتنا، نحن سوف يحب أحدنا الآخر".

وقام تيموجين بوضع حزام على وسط صديقه بالميثاق جاموقا، وكان الحزام ذهبياً جرى الاستيلاء عليه من توقتوآ المركيتي، وهو أعطى أيضاً صديقه بالميثاق جاموقا مطية، كانت فرساً لونها أبيض أقرب إلى الصفار، مع ذيل أسود، وكذلك عرفها، وهي فرس لم تلد فلوا منذ عدة أعوام، وشد جاموقا على وسط صديقه بالميثاق تيموجين حزاماً ذهبياً، كان قد غنمه من دايريوسون، اليوآس مركيت، وأعطى مطية إلى تيموجين مهراً أبيض له قرن في جبهته، وهو أيضاً مما كان عائداً من قبل إلى دايريوسون، وتحت ظل شجرة كثيفة الأوراق، على الجانب الجنوبي من شعب قولداقار Quldaqar في وادي قورقونان، أعلنا عن نفسيهما صديقين بالميثاق وأحب أحدهما الآخر، ومتعا نفسيهما في القصف والولائم الاحتفالية، وفي الليل ناما معاً، كلاهما لوحدهما تحت غطاء واحد.

وأحب تيموجين وجاموقا أحدهما الآخر لمدة عام أول، ولنصف العام الثاني، ثم قررا في أحد الأيام الانتقال من معسكرهما القائم آنذاك، فقوضا المعسكر، وانطلقا في اليوم السادس عشر من الشهر الأول للصيف، وهو يوم كان القمر فيه بدراً.

وسار تيموجين وجاموقا معاً أمام العربات، وفي أثناء سيرهما قال جاموقا: "أيها الصديقَ بالميثاق، صديقي بالميثاق تيموجين:

دعنا نعسكر قرب الجبل

فهناك سيكون ما يكفي من الظل والحماية

ومن أجل خيولنا وقطعاننا

دعنا نعسكر قربَ النهر

فهناك ستكون وفرة من الكلأ

من أجل رعاتنا وقطعان أغنامنا.

ولم يكن باستطاعة تيموجين فهم كلمات جاموقا هذه، وبقي صامتاً، وتراجع نحو الخلف، ووقف ينتظر العربات التي كانت في وسط المعسكر المتحرك – لأن المعسكر كان معسكراً متحركاً – ثم قال تيموجين للأم أوالون: "لقد قال أخي بالميثاق جاموقا:

دعنا نعسكر قرب الجبل

فهناك سوف يكون ما يكفي من الظل والحماية

ومن أجل خيولنا وقطعاننا

دعنا نعسكر قرباً النهر

فهناك ستكون وفرة من الكلأ

من أجل رعاتنا وقطعان أغنامنا.

وأنا لم أستطع أن أفهم كلماته هذه، ولذلك لم أعطه أي جواب، وقررت القدوم، وسؤالك يا أمي، لأتبين الأمر منك"، وقبل أن تتمكن أوالون من التفوه بكلمة واحدة، بادرت السيدة بورته زوجة تيموجين بالكلام فقالت: "لقد سمعت بأنه يحكى عن جاموقا الذي تآخيت وإياه بأنه يتآلف بسرعة مع الأصدقاء الجدد، ثم يمل من أصدقائه القدامى، فلقد سئمنا الآن، وإنني اعتقد بأن ما قاله الآن إنما يعني بأنه يخطط لشيء ما ضدنا، فدعنا نحجم عن إقامة مخيم هنا، ومن الأفضل بكثير أن نتابع المسير طوال الليل ونبتعد عنه تماماً " وبناء عليه، لقد كان هذا ما قالته.

ووافق الجميع على كلام السيدة بورته، فلم ينصبوا المخيم، بل أقلعوا، وتابعوا المسير ليلاً، وفي أثناء مسيارهم، مروا وهم على طريقهم بمعسكر التايجيئوت Tayigi'ut ، ومن جانبهم أصبح التايجيئوت مرعوبين، وفي حالة إرباك كبيرة في تلك الليلة، فكان أن انتقلوا بالفعل إلى جانب جاموقا، وفي معسكر البيسوت، في وسط التايجيئوت وجد رجالنا طفلاً صغيراً كان اسمه كوكوجو Kokogu ، كان قد ترك في المعسكر، وعندما عاد رجالنا أعطوه إلى الأم أوالون، وأخذته الأم أوالون ووضعته تحت رعايتها.

وهم ارتحلوا طوال تلك الليلة، وشاهدوا عند إشراق الشمس: قاجيئون Qači'un وتوقوراأون Toqura'un، وقراقاي Qaraqai توقوراأون Toqura'un، وقرالداي توقوراأون Qaraldai Toqura'un ، وكان الإخوة التوقوراأون الثلاثة من قبيلة الجلاتر، وقد اقتربوا منهم للالتحاق بهم، بعدما ارتحلوا مع بعضهم طوال الليل، ثم اقترب أيضاً منهم قاداآن الدورقان Qada'un Daldurqan من التارقوت، ومعه إخوته، وكانوا خمسة جميعاً من التارقوت، ثم كان أن اقترب منهم أيضاً أوغور بن مونغيتو كيان Onggur son

Čangsi'ut ومعه آخرين، مع أتباعهم من الجانغزيأوت Monggetu Kiyan والبايأوت Baya'ut، فهؤلاء اقتربوا أيضاً، وقدم من قبيلة البارولاس Barulas الأخوان: قوبيلاي Qubilai ، وقودوس Qudus، وجاء من قبيلة المانغقوت أخوان هما: جيتي Jetei ، ودوقولقو جيربي Doqolqu Čerbi، وترك أوغولين جيربي Ogolen Čerbi أخو بوأورجو Bo'orču قبيلة آرولات Arulat، وقدم أيضاً للالتحاق بأخيه الأكبر بوأورجو، وتخلى الأخوان الأصغر لجيلمي Jelme : جاأورقان Ča'urqan وسوبيتاي باأتور Sube'etei Ba'atur عن قبيلة الأوريامغقان Uriangqan ، وقدما للالتحاق بجيلمي، وقدم من قبيلة البيسوت أيضاً أخوان هما: ديغي Degei ، وكوجوغور Kučugur، وقدم من قبيلة السولدوس Suldus أيضاً الإخوة: جيلغوتي Čilgutei ، وتاكي Taki وتاييجيوداي Tayiči'udai ، وقدم من الجلائر سيجي Seče أيضاً مع ابنيه أرقاي قاسار Arqai Qasar، وبالا Bala، ومن قبيلة القونغقوتان Qongqotan قدم أيضاً سوييكيتو جيربي Soyiketu Čerbi ، وقدم أيضاً سوكيغي جيأون Sekegei Je'un الذي كان ابن جيغي قونغداقور Qongdaqor، وقدم أيضاً السوكيكين Sukeken ، كما وقدم أيضاً جاقاآن يوا Čaqa'an U'a من النيؤس Ne'us ، وإلى هناك قدم أيضاً كينغاداي Kinggiyadai من قبيلة الأولقونوأوت Olqunu'ut وسيجيأور Seči'ur من قبيلة القورولاس Qorolas، وكذلك موجي بيدوأون Moči Bedu'un من قبيلة الدوربين Dorben ، وبما أن بوتو Butu من قبيلة الايكيريس Ikires قد أخذ طريقه إلى هنا كعديل بالزواج لتيموجين، فقد وصل أيضاً، وقدم من النوياكين Noyakin أيضاً جونغسو Jungso ، وقدم من قبيلة الأورونار Oronar جيرقوآن Jirqo'an ، ووصل من قبيلة البارولاس Barulas أيضاً سوقو سجين Suqu Segen مع ابنه قَراجار Qaračar ، ثم قدم قورجي Qorči، ويوسون Usun العجوز،

كوكوجوس Kokoĉos من قبيلة اليا‌آرين Ba'arin مع أتباعهما من مينن باآرين Menen Ba'arin ، حيث قدموا أيضاً كمخيم واحد.

وعندما قدم قورجي قال: بما أننا ولدنا من المرأة نفسها التي أسرت، واتخذت زوجة من قبل بودونجار Bodonĉar العظيم:

إننا من الرحم نفسه

نحن من ماء رحم واحد

مثلما هو جاموقا، وما كنا لننفصل عنه ونفارقه، ولكن علامة سماوية ظهرت أمام عيني بالذات، كشفت المستقبل لي: فلقد أتت بقرة سمراء ضاربة إلى الصفرة، لقد دارت حول جاموقا، ونطحت بقرنيها عربة خيمة جاموقا، ونطحته هو أيضاً، فكسرت واحداً من قرنيها، ولأنها تركت هكذا من دون قرنين متوازنين، ضربت براثنها في الأرض، فأثارت المزيد ثم المزيد من الغبار، وخارت وتابعت القول، وهي تولول بشكل متواصل متجهة نحو جاموقا الذي وقف هناك: أعد لي قرني، ثم انبعث ثور من دون قرون من بين أكوام خيمة كبيرة، قام بجرها خلفه، وفي أثناء سيره اقتفى آثار الدرب العريض الذي سار عليه تيموجين، وهو يخور صارخاً منادياً: "إن السماء والأرض قد اتفقتا على أن يكون تيموجين سيد الناس وحاكمهم" وأنا "قدمت واقتربت حاملاً الناس، وجالباً الأرض لأقدمها له"، وإن هذه العلامات السماوية قد ظهرت أمام عيني، وكشفوا المستقبل لي، يا تيموجين إنك إذا ما أصبحت سيد الناس وحاكمهم، كيف ستسعدني من أجل هذه النبوءة؟".

فقال تيموجين: "إنه إذا ما تحقق هذا بالفعل لي، وصرت حاكماً على الناس كما قلت، أنا سوف أجعلك قائداً على عشرة آلاف رجل".

وقال قورجي "وأي نوع من السعادة في هذا لي، فإذا كنت أنا الرجل الذي تنبأت لك هكذا بشؤون عظيمة" أصبح فقط قائداً لعشرة آلاف؟ اجعلني قائداً لعشرة آلاف، ولكن بالإضافة إلى ذلك اسمح لي أختار بكل حرية أجمل الفتيات وأروعهن من بين الناس، ودعني أمتلك ثلاثين كزوجات، وبعد هذا يتعين عليك مجدداً أن تصغي إلى كل ما أقوله باهتمام".

وقدم الغينكيزيون مع القونان Qunan على رأسهم، ووصلوا أيضاً كمعسر واحد، ثم وصل داريتاي أونجيغين، أيضاً كمعسكر واحد، ومن قبيلة الجاداران وصل مولقالقو Mulqalqu، وقدم اليونجين Unjin، والساقاييت Saqoyit أيضاً كمعسكر واحد، وكان عندما انفصل تيموجين بجماعته وفق هذه الطريقة عن جاموقا، وتحرك نحو الأمام مبتعداً عنه، هو نصب المعسكر عند أيل قراقانا Ayil Qaraqana على مقربة من جدول كيمورقا Kimurqa ، وإلى هناك وصل أيضاً منفصلاً عن جاموقا ابنا سورقاتو جوركي Sorqatu Jurki من قبيلة الجوركين Jurkin، وهما : ساجا بيكي Sača Beki ، وتايجو Taiču ، أيضاً كمعسكر واحد، ثم وصل قوجار بيكي Qučar Beki بن نيكون تايسي Nekun Taisi ، كذلك كمعسكر واحد، فقد كان هؤلاء قد تخلوا أيضاً عن جاموقا، وعندما نصب تيموجين معسكراً عند أييل قراقانا على مقربة من جدول كيمورقا التحقوا أيضاً به، ونصبوا معسكرهم معه، ومن هناك تابعوا ترحالهم، وعسكروا عند كوكو ناأور Koko Na'yr قرب جبل قرا جيروغين Qara Jirugen على امتداد مجرى نهر السينغور Senggur في جبال غوريلغو Gurelgu.

واتفق ألتان Altan، وقوجار Qučar ، وساجا بيكي Sača Beke بين بعضهم على أن يقولوا لتيموجين: "نحن سوف نجعلك خان، وعندما ستصبح يا تيموجين خاناً، نحن:

سنمضي كطليعة بكل سرعة،

ملاحقين لكثير من الأعداء، وإليك سوف نقدم

الفتيات الجميلات المظهر، والسيدات ذوات المراتب،

والخيام الملكية، ومن الشعوب الأجنبية

سيدات وفتيات لهن وجنات جميلة

وخيول لهن أوراك رائعة

أثناء الهرولة سوف نجلب

وفي أثناء الصيد سوف نصطاد

الحيوانات البرية المفترسة، ومن أجلك

سنكون أول من يمضي وراء الطرائد ونطوقها.

ومن أجلك سوف نسوق حيوانات السهوب

إلى أن تتضغط أجوافهم مع بعضهم

ومن أجلك سوف نسوق حيوانات الشواطئ المنحدرة

إلى أن تتضغط أطرافهم مع بعضها

وفي أيام الحروب

إننا إذا لم نطع أوامرك

جردنا من جميع سلعنا ومن جميع ما نمتلكه، و

من زوجاتنا النبيلات، وارم
برؤوسنا السوداء على الأرض
وفي أيام السلام
إذا خرقنا مقاصدك
افصلنا عن خدمنا وعن ممتلكاتنا، وعن
زوجاتنا، وألق بنا
في البراري الموحشة
وكانوا هكذا قد تعهدوا وأعطوا كلمتهم، ووفق
هذه الطريقة أقسموا يمين الإخلاص
وعملوا تيموجين خانا، وأطلقوا عليه اسم جنكيزخان

وعندما أصبح خان، أمر جنكيز الأخ الأصغر بوأورجو، وأمر أوغولي جيربي أن يحمل كل منهما كنانة، وأمر قاجياون توقورا أون أن يحمل كنانة، والأخوين: جيتي، ودوقولقو، أن يحمل كل واحد منهما كنانة.

ثم تحدث أونغور Onggur ، وسوييكيتو جيربي Soyiketu Čerbi ، وقاداآن دالدورقان وقالا:

"سوف لن ندعك تذهب من دون
مشروباتك الصباحية
ولسوف لن نهمل مشروباتك
في المساء".

وبناء عليه أصبحوا القائمين بأعمال القهرمان، ثم تكلم ديغيي قائلاً:

"في صنع حساء

بلحم كبش خصي عمره عامين
أنا لن أتقاعس عن ذلك في الصباح
وأنا لن أهمل ذلك أثناء الليل
ولسوف أربي الشياه المرقطة وأعتني بهن
وسوف أملأ جوف العربة بهن.
ولسوف أربي الشياه البنية وأعتني بهن
وسوف أملأ حظيرة الأغنام بهم
وأنا كنت إنساناً منحطاً وجشعاً، والآن:
سوف أربي الشياه وأعتني بهن
والكرش أنا سوف آكل

وبناء عليه تولى ديغيدي الاعتناء بالأغنام، ثم تكلم أخوه غوجوغور Gučugur (كوجوغور) قائلاً:

أنا سوف لن أدع مسمار عجلة
العربة المغلقة يقع منزلقاً منها
ولن أدع عريش العربة ينهار
على الطريق.

وقال: " أنا سوف أتدبر شؤون عربات الخيام "، وقال دودي جيربي: " أنا سوف أكون مسؤولاً عن الشؤون الداخلية والخدم في الخيمة ".

وصدر الأمر إلى قوبيلاي، وجيلغوتي، وقارقاي توقورااون، ومعهم قاسار، بأن يحملوا سيوفاً، ولهم قال جنكيزخان:

اقطعوا رقاب المتبجحين
مزقوا صدور المتجبرين
واستطرد يقول: "ليكن بيلغوتي، وقرالداي توقوراأون
مسؤولين عن الخيول المخصية
وأن يكونا القيمان على الاسطبلات الملكية".

وقال: سوف يتولى :تاييجيوداي، وقوتوموريجي، ومولقالقون الاعتناء بقطعان الخيول".

وقال: " ليكن آرقاي قاسار، وتاقاي، وسوكيغي، وجاأورقان:
مسؤولين عن سهامي التي تطير بعيداً
وعن نبالي التي تطير قريباً"
وتكلم سوبيايتي باأدور Sube'ete Ba'adur قائلاً:
أنا سوف أكون جرذاً
ومع الآخرين
أنا سوف أخزن السلع من أجلك
أنا سوف أكون غراباً أسود
ومع الآخرين
سوف أجمع لك
كل ما هو موجود في الخارج
أنا سوف أكون غطاء من اللباد
ومع الآخرين

سوف أحاول صنع غطاء لك،

أنا سوف أكون غطاء من اللباد مانعاً للريح

ومع الآخرين

سوف أحاول تغطيتك وحمايتك

من الريح التي تهب على خيمتك".

وبناء عليه عندما صار جنكيزخان الخان الأعظم قال مخاطباً بوأورجو، وجيلمي:

"أنتما معاً،

عندما لم يكن لدي صديق غير ظلي

أصبحتما ظلي، وحقاً وصدقاً

جلبتما سلاماً إلى ذهني

وفي ذهني سوف تسكنان"

ثم استطرد يقول:

عندما لم يكن لدي سوط

سوى ذيل حصاني، أنتما

أصبحتما ذيل حصاني، وصدقاً

جلبتما سلاماً إلى قلبي

ففي صدري أنتما سوف تسكنان"

ثم إنه تحدث قائلاً لهما: أنتما معاً، اللذان وقفا إلى جانبي من البداية، أو لن تكونا على رأس جميع هؤلاء الموجودين هنا؟".

وعلاوة على هذا قال جنكيزخان: "عندما زادت الأرض والسماء قوتي، وأخذتاني ووضعتاني تحت حمايتهما، أنتم أيها السادة، الذين من أجلي، تخليتم عن صديقي بالميثاق جاموقا، راغبين في أن تصبحوا رفاقي، أو لن تكونوا رفاقي المحظوظين، فأنا قد عينت كل واحد منكم، وأسندت إليه وظيفة خاصة به.

وقد بعث داقاي Daqai ، وسوغيغي Sugegei (سوكيغي) كرسولين إلى توأوريل خان الكيريت، مع رسالة تخبره بأن جنكيزخان عمل خاناً، وأعادهما توأوريل خان مع الرسالة التالية: "أن يعمل ابني تيموجين خاناً، فذلك بالفعل عمل صحيح، حيث كيف يمكن للمغول أن يكونوا من دون خان؟، وفي المستقبل:

لا تحطموا هذا، وحافظوا على اتفاقكم

لا تتحللوا من روابطكم

لا تمزقوا ياقتكم أو لا تخلعوا قائدكم".

الفصل الرابع

أرسل جنكيزخان أرقاي قاسار، وجاأورقان كمبعوثين إلى جاموقا، وقال جاموقا: "أعطيا هذه الرسالة إلى ألتان، وقوجار: لماذا تسببتما أنتما يا ألتان، وقوجار بيني أنا نفسي وبين صديقي بالميثاق تيموجين بوساطة:

بالطعن بطرفي

والوخز بأضلاع

الصديق بالميثاق؟، لماذا لم تعملا صديق الميثاق تيموجين خاناً، عندما كنا ما نزال مع بعضنا، ومن دون أن تسببا الافتراق بيني وبين صديقي بالميثاق؟، أخبراني فقط ما الذي هو في ذهنكما الآن، عندما عملتماه خاناً؟ عليكما أنتما يا ألتان، وقوجار أن تحافظا على الكلام الذي تفوهتما به، واسعيا أن تجعلا عقل صديقي بالميثاق هادئاً مطمئناً، وكونا الرفيقين الجيدين لصديقي بالميثاق"، وهو قد أعادهما مع هذه الرسالة.

ومن بعد ذلك عندما كان تايجار Taičar، الذي كان أخاً أصغر لجاموقا مقيماً قرب نبع أوليغي Olegei ، على الجانب الجنوبي من جبل جالاما Jalama، ذهب للاستيلاء على قطيع خيول عائد إلى جوجي دارمالا Joči Darmala ، الذي كان منا، والذي كان مقيماً في سهل ساآراي Sa'ari .

وسرق تايجار قطيع خيول جوجي دارمالا، وذهب بهم بعيداً، وقام جوجي دارمالا هذا نفسه الذي سرق قطيعه، فذهب لوحده في عملية مطاردة، لانعدام الشجاعة لدى رفاقه حتى يذهبوا معه.

ووصل في تلك الليلة إلى طرف قطيعه، فاقترب منه، وهو منكب فوق عرف حصانه، وأطلق سهماً فصم به العمود الفقري لتايجار فقتله، ثم أخذ خيوله وعاد.

وبسبب مقتل تايجار هذا، الذي كان الأخ الأصغر لجاموقا، قام جاموقا على رأس قبيلة الجالاران Jadaran ، ومعه أحلافه الذين شكلوا ثلاث عشرة قبيلة، وألفوا مع بعضهم ثلاث وحدات، في كل واحدة عشرة آلاف، قام بعبور جبال آلاأوت تورقاأوت Ala'ut Turqa'ut ، وتحرك ضد جنكيزخان، وجلبت أخبار اقترابهم إلى جنكيزخان، الذي كان آنذاك مقيماً في جبال غوريلغو Gurelgu، وكان الذي جلب الخبر إليه مولكي توتاقMulke Totaq، وبورلداي Boroldai من قبيلة إيكيريس Ikires .

وعندما علم جنكيزخان بذلك شكل مع معسكراته الثلاثة عشر ثلاث وحدات أيضاً في كل واحدة منهن عشرة آلاف، وأقلع منطلقاً ضد جاموقا، وقد تحاربوا عند دالان بالجوت Dalan Baljut، وهناك جرى صد جنكيزخان من قبل جاموقا، فسعى للحصول على ملجأ عند منحدر جيريني Jerene قرب نهر أونان، وعندما كان جاموقا على وشك العودة إلى معسكره تولى سلق أمراء قبيلة الجينوس Činos وغليهم وهم أحياء في سبعين قدر كبير وضعهم فوق سبعين مرجل، كما أنه قطع رأس جاقآن يوآ Čaqa'an U'a من قبيلة نيوس Ne'us ، وجر الرأس وهو مربوط إلى ذيل حصانه.

ثم إنه ما أن عاد جاموقا إلى معسكره من هناك حتى عمد جورجيدي Jurčedei من قبيلة الأوروأوت Uru'ut ، وهو على رأس قبيلة الأوروأوت، وكذلك قيولدار Quyuldar من قبيلة المانغقوت Mangqut ، وهو على رأس قبيلة المانغقوت، عمدا إلى التخلي عن جاموقا، والتحقا بجنكيزخان، وكان الأب مونغليك Monglik من قبيلة القونغقوتات Qongqotat آنذاك مع جاموقا، ومعه أولاده السبعة أيضاً، فتخلوا عن جاموقا وهجروه، والتحقوا بجنكيزخان.

وبسبب أن هذه القبائل كانت تقدم من جانب جاموقا متخلية عنه، ابتهج جنكيزخان، قائلاً لنفسه بأن الأمم كلها كانت قادمة للالتحاق به، فقرر جنكيزخان، ومعه السيدة أوالون، وقاسار، ومعهم ساجا بيكي Sača Beki، وتايجو Taiču مع آخرين من قبيلة الجوركين Jurkin إقامة وليمة في الغابة إلى جانب نهر أونان.

وفي أثناء الوليمة، جرى أولاً الصب من إبريق قمز لجنكيزخان، وللسيدة أوالون، ولقاسار، ولساجا بيكي ولآخرين، وعندما جرى الصب من الإبريق الأول أيضاً للنساء، ابتداء بإيبيغي Ebegei ، التي كانت الزوجة الثانية لأبي ساجا بيكي، قالت كل من قوريجين قاتون Qorijin Qatun ، وقوأورجين قاتون Qu'určin Qatun : لماذا لم يصبوا لي أولاً، بل بدأوا بإيبيغي؟"، وضربتا القهرمان سيكي أور Siki'ur ، وعندما ضرب القهرمان سيكي أورقال: ما هذا الذي فعلتاه، ولماذا ضربتماني هكذا، فقط لأن ييسوغي بالتور، ونيكون تايسي ميتان؟"، هكذا هو تكلم وهو يصرخ رافعاً صوته.

وكانت هذه الوليمة قد أعدت من جانبنا من قبل بيلغوتي، الذي كان واقفاً خارج المعسكر متولياً حفظ خيول جنكيزخان، ومن جانب قبيلة الجوركين كان بوري بوكو قد أعد الوليمة.

واستولى رجل من قبيلة قاداغين Qadagin على حبل لجام واحد من خيول محطتنا، فألقى بيلغوتي القبض على اللص، ولكن بوري بوكو وضع الرجل تحت حمايته، والآن كان من عادة بيلغوتي أنه عندما يقوم بالمصارعة خلع الكم الأيمن من قميصه، والذهاب إلى القتال عاري الذراع، وفي هذه المناسبة جرح سيف بوري بوكو كتفه جرحاً بليغاً، الكتف

الذي كان عارياً وعرضة للضرب، ومع أن بيلغوتي أصيب هكذا، هو بقي غير عابئ بالجرح، ولم يهتم به، وترك الدم يسيل، غير أن جنكيزخان كان جالساً في الظل، وقد شاهد الذي حدث من مكان الوليمة، فسار نحو الأمام وقال: "كيف يمكن أن نعامل هكذا؟"، فقال بيلغوتي: "إن هذا الجرح ليس سيئاً بعد ومن جانبي وعلى حسابي أخشى أن ينشب خلاف مع أقربائنا، ليس هناك علة بالنسبة لي ووضعي لا بأس به، وأنا الآن أتعافى، يا أخي الأكبر، نحن الآن فقط أصبحنا أصدقاء مع أقربائنا لا تفعل شيئاً، وانتظر لوقت قصير".

ومع أن جنكيزخان جرى تحذيره وفق هذه الطريقة من قبل بيلغوتي، هو لم يستجب، ولذلك اندلع القتال، حيث قطعوا أغصان الأشجار، وسحبوا المدقات الخشبية من الأوعية الجلدية للقمز، وتسلحوا بهم، وشرعوا يضربون بعضهم بعضاً، وغلب جنكيزخان ورجالنا الجوركين واعتقلوا بقوة كل من: قوريجين قاتون، وقوأورجين قاتون،وفيما بعد أخبرنا ــ على كل حال ــ بقولهم: "نحن نود أن نصنع سلاماً"، ولذلك أعادوا كل من قوريجين قاتون (خاتون) وقوأورجين قاتون إلى الجوركين.

وحدث أنه عندما كان الرسل ما يزالون يذهبون من الجانب الأول إلى الجانب الآخر، لعقد مصالحه، علم جنكيزخان بأخبار أن ألتان خان شعب الكيتات Kitat ، كان قد بعث آنذاك خبراً إلى أونغنغ جينغسانغ Ongging Čingsang بأن عليه تعبئة قواته من دون تأخير، بسبب أن ميغوجين سيأولتو Megujin Se'ultu ، ومعه آخرين من التتار رفضوا الدخول في وفاق مع جنكيزخان، وبناء عليه ساق أونغنغ جينغسانغ: ميغوجين سيأولتو والتتار الآخرين ومعهم قطعانهم، وطردهم صعوداً على امتداد مجرى نهر أولجا Ulja، وبات الآن قريباً من معسكر جنكيزخان.

وبعد إطلاع جنكيزخان على هذه الأخبار قال: "إن أفراد شعب التتار، هم منذ أقدم العصور أعداءنا الألداء، فهم الشعب الذي دمر آباءنا، وأجدادنا، والآن وقد تهيأت الفرصة، دعونا نتحد ونقاتلهم مع بعضنا، فبعث رسولاً لتسليم الرسالة التالية إلى توأوريل خان: "لقد روي لنا بأن أونغنغ جينغسانغ قائد قوات ألتان خان قد ساق القائد التتاري ميغوجين سيأولتو مع تتار آخرين ودفعهم صعوداً على امتداد مجرى نهر أولجا، دعنا نقاتل متحدين التتار، الذين دمروا آباءنا، وأجدادنا، ولذا يتوجب على أبي توأوريل خان القدوم بسرعة".

وعندما جرى إيصال هذه الرسالة: قال توأوريل خان: "إن الخبر الذي أرسله ابني صحيح، دعونا نقاتل متحدين"، وبناء عليه، حشد توأوريل خان قواته في اليوم الثالث، ومن ثم انطلق مع جيشه، وذهب بسرعة إلى مساعدته.

وأرسل جنكيزخان، وتوأوريل خان إلى ساجا بيكي، وتايجو من الجوركين، وإلى الجوركين الآخرين، رسالة قال فيها: "لنغتنم الآن هذه الفرصة، دعونا نهاجم متحدين التتار، الذين دمروا منذ القدم آباءنا وأجدادنا، دعونا مع بعضنا ننطلق ضدهم".

ولقد أرسلا الرسالة، وانتظرا لمدة ستة أيام زيادة على الموعد الذي كان مفترضاً لوصول الجوركين، ثم لم يعد باستطاعة جنكيزخان، وتوأوريل الانتظار أكثر، ولذلك انطلقا معاً، مع عساكرهما، ولدى اقترابهما وهما يزحفان نزولاً على امتداد مجرى نهر أولجا، من أجل شن الهجوم بالتزامن والتنسيق مع أونغنغ جينغسانغ، على تتار ميغوجين والتتار الآخرين، في هذا الوقت أقام هؤلاء التتار حواجز واستحكامات دفاعية

هناك، في كوسوتو سيتوإين Qusutu Situ'en ، وناراتو سيتوإين NARATU Situ'en ، على امتداد مجرى الأولجا، واستولى جنكيزخان، وتوأوريل خان على هذه الحواجز الدفاعية التي احتمى خلفها التتار، وقتلا ميغوجين سيأولتو Megujin Se'ultu في مكان المعركة، واستولى جنكيزخان لنفسه وأخذ غنيمة سرير فراشه، وغطائه الذي كان مزيناً بلآلئ كبيرة[1].

وذهب جنكيزخان وتوأوريل خان لمقابلة أونغنغ جينغسانغ، وأخبراه بأنهما قتلا ميغوجين سيأولتو، فكان أونغنغ جينغسانغ مسروراً جداً عندما علم بأن ميغوجين سيأولتو قد قتل، فأعطى جنكيزخان لقب قائد مائة (جاأوت قوري Ja'ut quri)، وأعطى في الوقت نفسه لقب أونغ Ong (ملك أو أمير) إلى توأوريل الكيريت، ومن هنا تأصل اسم أونغ خان، وذلك من الوقت الذي أعطي فيه اللقب له من قبل، أونغنغ جينغسانغ.

وقال أونغنغ جينغسانغ: "لقد قدمتا خدمة عظيمة إلى ألتان خان بهجومكما المشترك على ميغوجين سيأولتو، وبقتلكما له، وأنا سوف أخبر ألتان خان وأحدثه عن خدمتكما هذه، ولندع ألتان خان يقرر فيما إذا كان ينبغي منحكما لقباً أعلى من هذا اللقب الحالي، ليضفى على جنكيزخان، وفيما إذا كان ينبغي منحه لقب جوتو Jautau (المفوض السامي لقمع

---

1 ـ جاء وصف سير المعركة في تاريخ سلالة الكن الصينية- الفصل ٩٤- كالآتي: "دارت معركة كبرى أخذت فيها جميع خيام العدو، وأبقاره وأغنامه، وفرّ السواد الأعظم منهم إلى نهر الأولجا، وأرسل الأمير آن كو للبحث عنهم حيث كانوا قد تشتتوا وفروا بأقصى سرعة، وكان المطر يهطل بغزارة، وكان المناخ شديد البرودة لدرجة أن كل ثمانية أو تسعة من أصل عشرة من الأعداء قد لقوا حتفهم".

وكان الأمير أن كوهو وزيرا الكن الأول، وهو الذي قاد قوات هذه الإمبراطورية، وعرف هنا باسم جينغسانغ، ولم يتمكن أحد من معرفة سبب إطلاق اسم الأمير جينغسانغ عليه هنا في "التاريخ السري"، وقد دارت المعركة عام ١١٩٦.

وكنا قد أخبرنا بوجوب إبرام سلام، وهكذا أعدنا إليهم قوريجين قاتون، وقوأورجين، وقلنا من بعد ذلك بأن علينا الانطلاق، وأن نحارب متحدين التتار، الذين كانوا ممتلئين بالكراهية والمقت لنا، والذين دمروا منذ الزمن القديم آباءنا وأجدادنا، ومع أننا انتظرنا لمدة ستة أيام قدوم الجوركين، هم خذلونا بعدم القدوم، والآن إنهم بوقوفهم وفق هذه الطريقة مع العدو، هم أنفسهم أصبحوا أيضاً أعداء لنا، وبعدما قال جنكيزخان هذا تحرك ضد الجوركين.

وعندما كان الجوركين مقيمين في دولوآن بولداأوت Dolo'an Bolda'ut التابعة لكودوإي أرال Kodo'e Aral على نهر كيلورين Keluren نهب شعب الجوركين، وكان ساجا بيكي، وتايجو آنذاك معهما عدد قليل من الرجال، ولذلك جردهم جنكيزخان من كل شيء، وقد هربوا بأجسادهم فقط، فطاردهم، وقهرهم عند ممر تيليتو Teletu، وأسر ساجا بيكي، وتايجو.

وبعد أسرهما قال جنكيزخان لساجا، وتايجو: "ما الذي اتفقنا عليه في الأيام الخوالي؟"، وبعد مخاطبتهما هكذا، قال ساجا، وتايجو: "نحن لم نلتزم بوعودنا التي تفوهنا بها، واجعلنا الآن نلتزم بها"، وبعدما اعترفا بقسمهما، قدما رقبتيهما للسيف.

وكان بعدما جعلهما يعترفان بيمينهما، وجعلهما يذعنان فيعترفا بوعودهما، أعدمهما، وألقى بجسديهما هنا وهناك.

وبعدما تخلص جنكيزخان من ساجا، وتايجو رجع إلى معسكر الجوركين، وعندما كان يقوم بنقل شعب الجوركين وإبعادهم، كان الأبناء الثلاثة لتيليغيتو بايان Telegetu Bayan الجلائري: غوأون أوا Gu'un U'a، وجيلاأون قايجي Čila'un qayiči ، وجيبكي Jebke، مع الجوركين في هذا

وكنا قد أخبرنا بوجوب إبرام سلام، وهكذا أعددنا إليهم قوريجين قاقون، وقو أورجين، وقلنا من بعد ذلك بأن علينا الانطلاق، وأن نحارب متحدين التتار، الذين كانوا ممتلئين بالكراهية والمقت لنا، والذين دمروا منذ الزمن القديم آباءنا وأجدادنا، ومع أننا انتظرنا لمدة ستة أيام قدوم الجوركين، هم خذلونا بعدم القدوم، والآن إنهم بوقوفهم وفق هذه الطريقة مع العدو، هم أنفسهم أصبحوا أيضاً أعداء لنا، وبعدما قال جنكيزخان هذا تحرك ضد الجوركين.

وعندما كان الجوركين مقيمين في دولوآن بولداأوت Dolo'an Bolda'ut التابعة لكودوإي أرال Kodo'e Aral على نهر كيلورين Keluren نهب شعب الجوركين، وكان ساجا بيكي، وتايجو آنذاك معهما عدد قليل من الرجال، ولذلك جردهم جنكيزخان من كل شيء، وقد هربوا بأجسادهم فقط، فطاردهم، وقهرهم عند ممر تيليتو Teletu، وأسر ساجا بيكي، وتايجو.

وبعد أسرهما قال جنكيزخان لساجا، وتايجو: "ما الذي اتفقنا عليه في الأيام الخوالي؟"، وبعد مخاطبتهما هكذا، قال ساجا، وتايجو: "نحن لم نلتزم بوعودنا التي تفوهنا بها، واجعلنا الآن نلتزم بها"، وبعدما اعترفا بقسمهما، قدما رقبتيهما للسيف.

وكان بعدما جعلهما يعترفان بيمينهما، وجعلهما يذعنان فيعترفا بوعودهما، أعدمهما، وألقى بجسديهما هنا وهناك.

وبعدما تخلص جنكيزخان من ساجا، وتايجو رجع إلى معسكر الجوركين، وعندما كان يقوم بنقل شعب الجوركين وإبعادهم، كان الأبناء الثلاثة لتيليغيتو بايان Telegetu Bayan الجلائري: غوأون أوا Gu'un U'a، وجيلاأون قايجي Čila'un qqyiči ، وجيبكي Jebke، مع الجوركين في هذا

الوقت، وقدم غوأون أوا مع ولديه: موقالي Muqali وبوقا Buqa لتقديم الولاء إلى جنكيزخان، وقال:

دع ولدي هذين يكونا عبدين
عند عتبة بابك.
ولئن ابتعدا عن عتبة بابك وتاها
اقطع أوتار كاحليهما
دعهما يكونا العبدين الشخصيين
لبابك
وإذا ما تخليا عن بابك وهجراه
اقطع كبديهما، و
ألق بهما بعيداً.

وبعدما قال هذا سلمهما إليه.

وقدم جيلاأون قايجي مع ولديه: تونغي Tungge ، وقاسي Qasi ، أيضاً لتقديم الولاء إلى جنكيزخان، وتكلم هكذا قائلاً:

إنني أعطيك ولدي هذين
إذا ما ابتعدا عن عتبة بابك الذهبي
ضع نهاية لحياتهما
وارم بهما بعيداً
دعهما يرفعان من أجلك
الباب اللبادي العريض.

واستطرد يقول هكذا:

إنني أعطيك إياهما
وإذا ما هجرا بابك العريض

ارفسهما في وسط المعدة،
وارم بهما بعيداً.

وهكذا كان قد تكلم، وأعطى جنكيزخان جيبكي Jebke إلى قاسار، وجلب جيبكي معه من معسكر الجوركين طفلاً صغيراً يدعى بوروأول Boro'ul، وقدم الولاء إلى الأم أوالون وأعطاها إياه.

ورعت الأم أوالون في خيمتها هؤلاء الأربعة: الطفل المدعو غوجو Gučü، الذي عثر عليه في معسكر المركيت، والطفل المدعو كوكوجو Kokočü ، الذي عثر عليه في معسكر البيسوت، بين التايجيئوت، والطفل المدعو سيغيكين قوتوقو Sigiken Qutuqu ، الذي عثر عليه في معسكر التتار، والطفل المدعو بوروأول الذي عثر عليه في معسكر الجوركين، وقالت الأم أوالون:

من هؤلاء الأطفال الذين تم العثور عليهم سوف أعمل
عيوناً، لأولادي يسمعون بها أثناء الليل.
ورعتهم وربتهم في خيمتها.

وفيما يتعلق بالطريقة التي أصبح فيها شعب الجوركين، جوركين، فلقد كان الابن الأكبر بين أبناء قابول خان السبعة هو أوكين بارقاق Okin Barqaq ، وهو الذي كان ابنه سورقاتو جوركي Sorqatu Jurki [وأما بالنسبة كيف أصبحوا جوركين] فقد قال قابول خان لأوكين بارقاق الذي كان ابنه الأسن: "اختر رجالاً له من بين شعبي، وبعدما اختارهم أعطاه رجالاً أقوياء، ورجالاً جبابرة امتلكوا:

غضباً في أكبادهم وسخطاً،
وأصابع إبهام جيدة عند الرماية،

وأجوافاً مليئة بالشجاعة،

وأفواهاً مليئة بالغضب،

وهم جميعاً رجال ذوي براعة.

ولأنهم امتلكوا الغضب والسخط، وكانوا متكبرين، ومرنين حركيين، كانت تلك هي الأسباب التي أطلق عليهم من أجلها اسم جوركين.

وأخضع جنكيز أمثال هؤلاء المتجبرين، ودمر الذين كانوا يشكلون عشيرة الجوركين، وعمل القبيلة وشعبها رعاياه الشخصيين.

وفي أحد الأيام قال جنكيزخان: "دعونا نجعل بوري بوكو Buri Boko، وبيلغوتي يتصارعان مع بعضهما.

ومن قبل، عندما كان بوري بوكو ما يزال مع الجوركين، أمسك بيلغوتي بيد واحدة، وطرحه أرضاً بقدم واحدة، وأطاح به بوري بوكو، وأمسك به وهو مطروح أرضاً، حيث لم يستطع الحراك، فلقد كان بوري بوكو الرجل الأقوى بين شعبه.

وجعل جنكيزخان الآن بيلغوتي وبوري بوكو يتصارعان، وجعل بوري بوكو الذي كان لا يقهر نفسه يطاح به، وحيث أن بيلغوتي كان غير قادر على تثبيته أرضاً، أمسك بكتفيه، وضغط عليه وباعد ما بين رجليه، والتفت نحو الخلف، وعندما تلاقت نظرته مع جنكيزخان عض الخان شفته السفلى، ففهم بيلغوتي ما قصده، فوضع ركبته على ظهر بوري بوكو، وأمسكه من العنق بكلتا يديه، وشد رأسه وعنقه بشدة وعنف، نحوه، فكسر عموده الفقري بوساطة الضغط بركبته عليه.

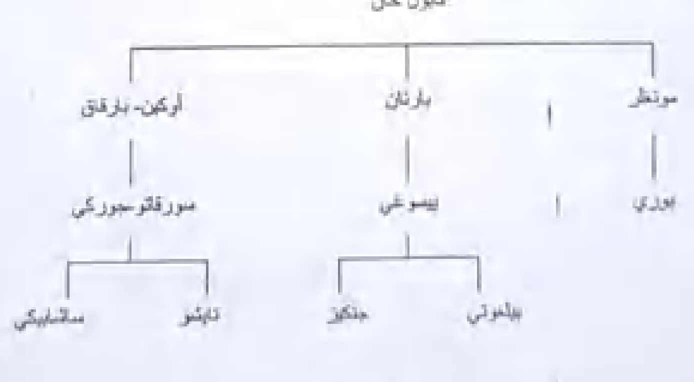
وقال بوري بوكو وعموده الفقري قد انكسر: "أنا لم أهزم من قبل بيلغوتي، ولكنني خفت من الخان، فسقطت عمداً، وترددت، وهكذا فقدت حياتي، وتفوه بهذه الكلمات ومات".

وبعدما جرّ بيلغوتي بوري بوكو، وحطم عموده الفقري، سحبه بعيداً، ورماه وغادر.

ومن بين أبناء قابول خان السبعة، كان أوكين بارقاق هو الأكبر سناً، وقد جاء من بعده بارتان بالأتور (الباسل)، الذي كان ابنه ييسوغي بالأتور، وكان التالي بعد بارتان بالأتور قوتوقو مونغلير، الذي كان ابنه بوري، وقد تجاوز هذا خط أبناء بارتان بالأتور الذي كان الأقرب فوقه من أجل الزعامة، وصار مرافقاً لأبناء بارقاق المتكبر، ولهذا السبب، فإن بوري بوكو، الذي كان الرجل الأقوى بين شعبه هلك بسبب كسر عموده الفقري من قبل بيلغوتي[1].

---

1 ــ كان جنكيزخان قد عاقب بالطبع بوري بسبب هجومه على بيلغوتي، وأما المقصود بتخلي بوري عن سلالة بارتان فيمكن أن يكون واضحاً من المخطط التالي:



ومن بعد هذا، اجتمع في عام الدجاجة (١٢٠١) القاداغين Qadagin، والساجيأوت واتحدوا، واحتشدت القبائل التابعة لهم عند نبع ألقوي Alqui، وتولى قيادة القاداغين بوقو جوروغي Čorogi الذي كان من القاداغين، وقاد الساجيأوت جيرغيداي بأاتور، وقاد الدوربين Dorben، الذين عقدوا سلاماً مع التتار، قاجيأون بيكي Qaji'un Beki ، الذي كان من الدوربيون، وتولى قيادة التتار جالين بوقا Jalin Buqa ، من تتار الألجي Algi ، وكان توغي ماقا Tuge Maqa قائد الايكيريين Ikires ، الذي كان من الايكيريين، وتولى قيادة الأونغيرات Onggirat تيرغي إيميل Terge Emel ، ومعهم الألقوي Alqui وآخرين من الأونغيرات، وقاد جوناق جاقآن Čonaq Čaqa'an القورولاس، Qorolas ومعهم آخرين من القورولاس ، واحتشد أيضاً بويروق خان Buyiruq Qan خان الغوجوأوت النيمان Gučü'ut Naiman من النيمان، وقوتو Quto ابن توقوآ بيكي Toqto'a Beki من المركيت، وقودوقا بيكي Quduqa Beki مقدم الأويرات Oyirat ، ومن التايجيئوت: تارقوتاي كيريلتوق Tarqutai Kiriltuq ، وقودون أورجينغ Qodun Orčeng ، وأرجو بأاتور A'uču Ba'atur وآخرين من التايجيئوت، وبعدما احتشدوا قالوا: دعونا نرفع جاموقا الجاجيرات ليكون قانا، وقطعوا ظهري فرس ومهر إلى قطع مع بعضهما، وأقسموا جميعاً يمين الصداقة.

ومن هناك تحركوا، وساروا نزولاً على طول مجرى نهر الايرغوني Ergune، وهناك على مكان مرتفع واسع في شبه الجزيرة، حيث يصب نهر كان Kan في الايرغوني، هناك رفعوا جاموقا كخان عالمي (غورخان Gurqan)، وبعدما ارتقوا به وجعلوه غورقان، قرروا الإقلاع لمهاجمة جنكيزخان، والأونغ خان.

وخبر حول هذا بأنهم قرروا الهجوم، أرسل إلى جنكيزخان من قبل قوريداي من قبيلة القورولاس، وذلك عندما كان جنكيزخان مقيماً في جبال غوريلغو Gurelgu .

وعندما تسلم جنكيزخان هذه الأخبار، أوصلها إلى الأونغ خان، وما أن تسلم الأونغ خان هذه الأخبار، حتى عبأ جيشه وحركه، ووصل بسرعة إلى معسكر جنكيزخان.

وبعد وصول الأونغ خان، قرر جنكيزخان والأونغ خان التحرك متحدين معاً ضد جاموقا، وانطلقا، وسارا هبوطاً على امتداد مجرى نهر كيلورين Kelaren، وبعث جنكيز خان: ألتان، وقوجار، وداريتاي كطليعة، ومن جانبه أرسل أولغ خان كطليعة سينغوم، وجاقاغامبو، وبيلغي بيكي، كما وبعثا أيضاً دوريات أمام هذه الطلائع، وأقاموا في اينيغين غويليتو Enegen Guiletu مركز مراقبة، ووراء هذا المركز، أقاموا مركز مراقبة آخر عند جبل جيكجير Čekčer ، ثم أقاموا مركز مراقبة آخر خلفه عند جبل جيقورقو Čiqurqu .

ووصل ألتان، وقوجار، وسينغوم، والآخرون من طلائعنا إلى أوتكيا Utkiya ، وعندما كانوا يتباحثون حول العسكرة هناك، وصل رجل من مركز المراقبة الذي أقيم في جيقورقو، يسوق مطيته مسرعاً، جالباً الأخبار بأن العدو كان يقترب.

عندما وصلت هذه الأخبار، توجهوا نحو العدو، ولم ينصبوا المعسكر، وذلك في سبيل الحصول على المعلومات، ووصلوا وحصلوا على المعلومات، فعندما سألوا دوريات العدو ليعرفوا من هم كانوا، تبين لهم أنهم كانوا طليعة لجاموقا التي كانت مؤلفة من أوجوبأتور المغولي،

وبويروق خان النيمان، وقوتو بن توقتو بيكي من المركيت، وقودوقا بيكي من الأويرات، فقد كان هناك الأربعة متوجهين كطليعة لجاموقا.

وصرخت طليعتنا عليهم، وهم أعادوا الصراخ، ولكن بما أن الوقت بات متأخراً، قالوا: "غداً سوف نتحارب"، وانسحب رجالنا، وأمضوا الليل مع الكتلة الأساسية من الجيش.

وفي اليوم التالي أرسلت القوات نحو الأمام، وعندما التقوا عند كويتين Koyiten، هم تقاتلوا، وفي أثناء ضغطهم على بعضهم بعضاً، صعوداً فوق الهضبة، ونزولاً من على الهضبة، وإعادة تشكيل صفوفهم، وقتها كان بويروقاخان، وقودوقا نفسهما يعرفان كيف يمكن تشكيل عاصفة مطرية بوساطة السحر، فبدآ بتشكيل العاصفة، ولكن العاصفة السحرية عادت أدراجها، وعليهم أنفسهم سقطت مباشرة، ونظراً لأنهم أصبحوا غير قادرين على المتابعة تدهوروا في المنحدرات، وواحدهم يقول للآخر: "نحن غير محبوبين من قبل السماء"، وتفرقوا.

وانفصل بويروق خان النيماني عن البقية، ومضى نحو جبل أولوق تاق على الجانب الجنوبي من جبال ألتاي، وذهب قوتو بن توقتوا المركيتي نحو نهر سيلينغي، ومضى قودوقا بيكي الذي كان من الأويرات نحو نهر سيسغيس Sisgis، ثم أخذ طريقه إلى الغابة، وتوجه أوجوبائور، الذي كان من التايجيئوت نحو نهر أونان.

ونهب جاموقا وسلب الناس أنفسهم الذين انتخبوه خاناً، ثم إنه تحرك عائداً نحو مقر سكناه، وسار على الطريق المحاذي لنهر إيرغوني، وفي أثناء تفرقهم وفق هذه الطريقة طارد الأونغ خان جاموقا نزولاً على امتداد

مجرى نهر إيرغوني، في حين طارد جنكيزخان أوجو باأتور مقدم التايجيئوت باتجاه نهر أونان.

وما أن وصل أوجو باأتور إلى قومه، حتى جعلهم يتحركون ويسيرون معه بسرعة، وصف أوجو باأتور، وقودون أورجيئغ قواتها من التايجيئوت عند أولينغوت توراس Ulengut Turas على الجانب الآخر لنهر أونان، ووقفوا في صفوفهم جاهزين للقتال.

ووصل جنكيزخان وتحارب مع التايجيئوت، وهم تقاتلوا كراً وفراً، بكل شدة حتى حلول المساء ثم إنهم أمضوا الليل في المكان نفسه الذي كانوا يتقاتلون فيه، كل فريق منهم أمام الآخر، وعندما وصل الناس الذين كانوا فارين أشتاتاً، أقاموا معسكراً مستديراً، وأمضوا الليل أيضاً في البقعة نفسها كل مع جماعته.

وجرح جنكيزخان في عرق في رقبته في تلك المعركة، وكان من غير الممكن إيقاف النزيف، وكان في وضع حرج وضيق شديد، وقد انتظر حتى الصباح، ثم نصب معسكراً حيث كان الجيشان معسكران يواجه أحدهما الآخر.

وامتص جيلمي Jelmé ، ثم امتص الدم المتخثر، من جرح جنكيزخان، وتلوث فمه وكله بالدم، وبقي جيلمي إلى جانبه هناك يرعاه، ذلك أنه كان لا يثق بأحد من الناس، وبقي هكذا إلى منتصف الليل، وكان قد ابتلع أو بصق ملئ فيه مرات من الدم المتخثر.

وبعد عبور منتصف الليل انتعش جنكيزخان، وقال : "لقد جف الدم تماماً، أنا عطشان" وعند ذلك نزع جيلمي قبعته، وحذاءه، وثيابه كلها، وبات عارياً تماماً إلا من سراويله، وركض نحو وسط العدو الذي كان

مقيماً أمامهم، وقفز فوق عربات الناس التي كانوا قد صفوها هناك على شكل دائرة تحيط بالمعسكر، وفتش عن قمز، لكنه لم يجد شيئاً، لأن أولئك الناس كانوا قد هربوا متفرقين، وتركوا مهاريهم سارحه من دون حلبها.

ولأنه لم يعثر على قمز، أخذ من إحدى العربات قربة كبيرة مليئة بخثارة اللبن، وحملها عائداً، وفي الوقت الذي ذهب فيه وعاد لم يره أحداً، فقد كانت السماء بالفعل تحميه.

وبعدما جلب قربة خثارة اللبن لوحده، بحث جيلمي هذا نفسه عن ماء، وأحضره وأخذ يمزج الماء مع خثاره اللبن ويسقيه للخان.

واستراح الخان ثلاث مرات أثناء احتسائه للبن، ثم تكلم الخان قائلاً: "بوسعي الآن أن أرى بعيني بوضوح"، قال هذا وجلس، وكان آنذاك بعد الفجر حيث ازداد الضوء، فنظر من حوله، فرأى بأن المكان الذي كان جالساً فيه، وخثرات الدم التي تابع جيلمي مصها وبصقها قد شكلت بركة صغيرة، وعندما رآها جنكيزخان قال: "ما هذا؟ ألم يكن باستطاعتك بصق المزيد بعيداً؟ فقال جيلمي عند ذلك: "عندما كنت في خطر عظيم، إنني لو ذهبت مسافة أبعد أخشى أنني كنت سأنفصل عنك، ولأنني كنت مستعجلاً، ابتعلت الذي استطعت ابتلاعه، وبصقت ما أمكنني بصقه بعيداً، فأنا شخصياً كنت أيضاً وسط محنة، ولذلك فإن كثيراً من الدم أخذ طريقه أيضاً إلى معدتي".

ثم تكلم جنكيزخان ثانية قائلاً: "عندما كنت أنا في هذه الحالة، متمدداً، لماذا ركضت عارياً إلى داخل لمعسكرهم؟ فلو أنك أمسكت هل كنت ستكشف بأنني كنت في هذا الوضع"؟ فقال جيلمي: لقد كان تفكيري، عندما ذهبت عارياً بأنني لو أنني اعتقلت من قبل أي واحد، كنت سأقول: إنني

أريد الخضوع إليكم، ولكن جماعة جنكيزخان اكتشفوا ذلك، واعتقلوني، وقرروا قتلي، وقد نزعوا عني ثيابي، وانتزعوا مني كل شيء، وتركوني مرتدياً فقط لسراويلي، ولم يكونوا نزعوها عني عندما استطعت فجأة النجاة، وجئت الآن لتوي للالتحاق بكم، وكانوا سيعدونني مخلصاً، وسيعطوني ثياباً، ويهتمون بي، وعند ذلك كنت سأقفز على ظهر حصان، وفي الوقت الذي يكونوا فيه مندهشين بسبب فراري، أكون أنا في لحظة قصيرة قد عدت بالتأكيد، وكان هذا ما فكرت به، وذلك بسبب أني رغبت في إطفاء العطش الشديد الذي شعر به الخان، وكنت قد فكرت بهذا، ومن دون انتظار وبلمح البصر، ذهبت أنا إلى هناك".

وعند ذلك قال جنكيزخان: "ما الذي يمكنني قوله الآن؟ ففي الأيام الماضية عندما جاء الزعماء المركيت الثلاثة، ودرت ثلاث مرات حول جبل بورقان، أنت أنقذت حياتي للمرة الأولى، والآن مرة أخرى، أنت أعدتني إلى الحياة، عندما امتصصت بفمك الدم المتخثر من جرحي، وزيادة على ذلك، فإنني عندما كنت في محنة شديدة بسبب العطش المهلك، ذهبت دون أن تهتم بحياتك، إلى وسط العدو، وبوقت قصير، وفي لحظة أطفأت عطشي، وأعدت الحياة إليّ، ولسوف تبقى خدماتك الثلاث هذه في قلبي"، وكان هكذا قد تفوه الخان.

وعندما ازداد ضياء النهار، تبين أن قوات العدو التي كانت مخيمة للمبيت أمامنا قد تفرقت أثناء الليل، وفقط الناس الذين كانوا قد أقاموا المعسكر المستدير انتقلوا من المكان الذي كانوا معسكرين به، لأنهم لم يكونوا قادرين على الفرار.

وانتقل جنكيزخان من المكان الذي قد أمضى الليل فيه، من أجل معاودة أسر الناس الذين كانوا قد انهزموا، وعندما كان يعتقل الذين هربوا، سمع جنكيزخان نفسه امرأة كانت مرتدية لمعطف أحمر، وواقفة فوق شعب جبلي، وكانت تولول بصوت مرتفع، وتصرخ "تيموجين"، فأرسل رجلاً ليبحث ويعرف زوجة من كانت المرأة التي كانت تصرخ على هذه الصورة، وذهب الرجل وسألها، فقالت المرأة: "أنا ابنة سورقان سيرا، واسمي هو قاداآن Qada'an، وقد أسر الجنود هنا زوجي، وكانوا ذاهبين لقتله، ولأن زوجي أخذ ليقتل، أنا صرخت هكذا وولولت، ودعوت تيموجين لإنقاذ زوجي"، وبعدما قالت هذا، رجع الرجل وروى هذا الكلام لجنكيزخان.

ولدى سماع جنكيزخان هذا الكلام ركب وساق مسرعاً ووصل إليها، وترجل على مقربة من قاداآن، وقد تعانقا أحدهما مع الآخر، لكن زوجها كان قد قتل من قبل جنودنا.

وبعدما اعتقل جنكيزخان هؤلاء الناس الذين كانوا فارين، عسكر فوق البقعة التي كان فيها لإمضاء الليل مع جيشه الكبير، ودعا قاداآن للقدوم إليه، وأجلسها على جانبه.

وفي اليوم التالي وصل أيضاً سورقان سيرا، وجبه، اللذان كانا خادمان لتودوغي Todoge مقدم التايجيئوت، وهما قدما معاً، وقال جنكيزخان لسورقان سيرا: "لقد كانت الخدمة التي قدمتماها أنتما الأب والابن بالفعل خدمة جيدة:

لقد ألقيتما أرضاً

النير الخشبي الثقيل الذي كان على رقبتي

وأزلتما النير الخشبي

الذي كان حول رقبتي.

لماذا على هذا، تأخرتما بالقدوم إلي؟

وقال سورقان سيرا: "شعرت في قرارة قلبي بثقة كاملة بك، لكن كيف كان يمكنني الإسراع؟ فلو أنني أسرعت وقدمت إليك أبكر، لقام سادة التايجيئوت بنسف أسرتي: زوجتي وأولادي وقطيعي، واحتياطي من المؤن الذين تركتهم ورائي، نعم لكانوا نسفوهم في الريح، مثل نسفهم لرماد الموقد، ولهذا السبب أنا لم أسرع، ولكن الآن وقد لحقت الهزيمة بالتايجيئوت نحن قدمنا مسرعين للالتحاق بالخان مولانا"، وعندما فرغ من كلامه، قال جنكيزخان "لقد فعلت الصواب".

ومرة أخرى تكلم جنكيزخان قائلاً: "عندما تحاربنا في كوييتين Koyiten ، وكان كل منا يضغط على الآخر، ونعيد تشكيل صفوفنا، جاء من قمة هذه الشعابا الجبلية سهم، من الذي أطلق من قمة الجبل سهماً شديداً تمكن من قصم عظام رقبة حصان حربي، الذي كان لونه أصفر باهت، مع فم أبيض؟

وجواباً على هذه الكلمات قال جبه: "أنا الذي رميت السهم من فوق قمة الجبل، والآن إنني إذا ما جرى إعدامي من قبل الخان، فلسوف أترك حتى أهترئ فوق رقعة من الأرض بحجم كف اليد، ولكن إذا ما نلت الحظوة:

فلسوف أحمل نحو الأمام في سبيل الخان

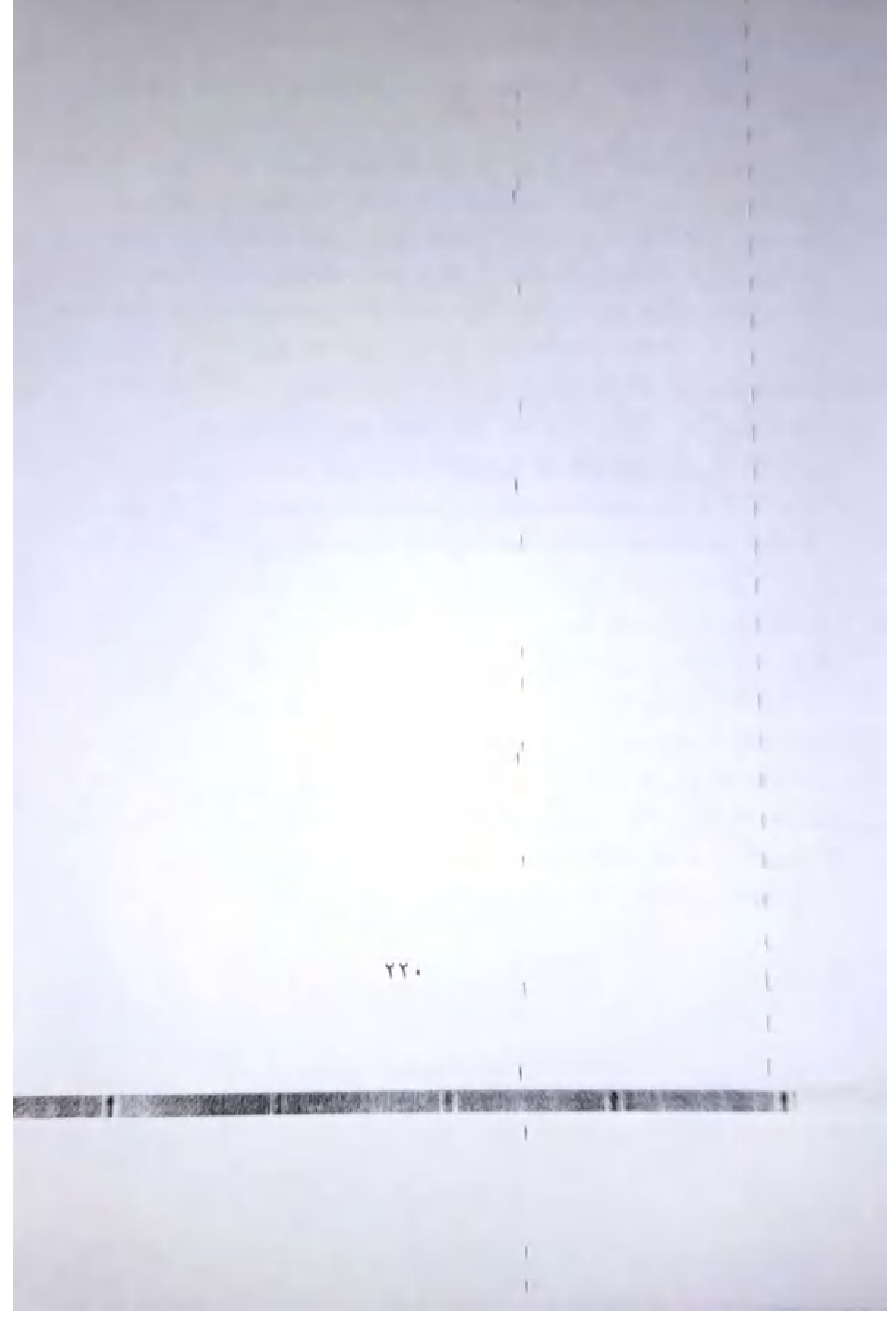
بقوة تفجر أعمق المياه أمامي

بقوة يمكنها تفتيت الصخرة المشعة

من أجله أنا سوف أحمل نحو الأمام
بقوة تحطم الحجر الأزرق
في المكان الذي توجب عليّ الوصول إليه
بقوة قادرة على سحق الحجر الأسود
في الوقت الذي يطلب مني فيه القتال".

فقال جنكيزخان: "إن الرجل الذي سلف أن كان عدواً، يقوم عندما يأتي على ذكر أعمال قتاله وقتله الماضية، وأعماله العدوانية، بمحاولة إخفاء شخصه، وتخبئة لسانه، لأنه يكون خائفاً، أما بالنسبة لهذا الرجل، فإنه على العكس، جعل أعماله معروفة، فهو رجل جدير بأن يتخذ بمثابة رفيق، ولقد كان اسمه جيرقوأداي Cirqo'adai، ولكن بما أنه أطلق سهماً على عظم رقبة حصان حربي الذي لونه أصفر باهت مع فم أبيض، أنا سوف أدعوه جبه (السلاح أو نوع من السهام) وأنا سوف أستخدمه بمثابة سهمي جبه.

ولقد كانت هذه هي الكيفية، التي أصبح بها جبه الذي جاء من التايجيئوت، رفيقاً لجنكيزخان.



الفصل الخامس

عندما نهب جنكيزخان في تلك المناسبة التايجيئوت، محق الرجال الذين كانوا يحملون نسب التايجيئوت، وأزالهم من الوجود، من أمثال : أوجو بائتور، وقوتون (قودون) أورجينغ، وقودوأودار، وهؤلاء جميعاً من التايجيئوت، ورماهم إلى الريح، مثلما يرمي رماد الموقد، ولاحقهم قتلاً ومحقاً حتى أولاد أولادهم، وأبعد جنكيزخان رجال قبيلتهم، وأمضى الشتاء في قوبا قايا Quba Qaya .

واعتقل العجوز سيرغوايتو Sirgu'etu الذي هو من قبيلة نيجغوت باآرين Ničgut Ba'arin، وكان معه يعاونه ولديه : آلاق Alaq، ونايا آ Naya'a، اعتقلوا تارقوتاي كيريلتوق مقدم التايجيئوت، الذي كان متخفياً في الأحراش، لأنه كان عدواً حتى الموت لجنكيزخان، وبما أن تارقوتاي، لم يكن باستطاعته ــ لبدانته المسرفة ــ امتطاء حصان، جعلوه يركب في عربة.

وبينما كان العجوز سيرغوايتو، وولديه آلاق، ونايا يسيران، معتقلين لتارقوتاي كيريلتوق، قال أبناء تارقوتاي كيريلتون وإخوته الشباب: "دعونا ننتزعه منهم"، وقد اقتربوا منهم واعتقلوهم، وعندما فعل أولاده وإخوته الأصغر هذا، تمكن العجوز سيرغوايتو من الدخول إلى العربة، وجلس منفرج الساقين فوق تارقوتاي، الذي كان متمدداً على ظهره، وغير قادر على الوقوف، واستل مدية وقال! لقد قدم أولادك، وإخوتك الصغار لينتزعوك منا ويأخذوك، وإنني حتى وإن لم أقتلك، لقد أخبرت أنني بإلقاء يدي على مولاي واعتقالي له، من المؤكد أنهم سوف يقتلوني قائلين: بأنني

اعتقلت مولاي واعتديت عليه، وإنني إذا ما قتلتك، بالطبع هم سيقتلونني للسبب نفسه، ولذلك إنه باللحظة التي سوف أموت بها، أنا سوف أموت آخذاً إياك معي كرفيق موتي.

وقال هذا، وفرج ما بين ساقيه، وكان على وشك قطع رقبته بسكينه الكبيرة، وعند هذا صرخ تارقوتاي كيريلتوق، ونادى بصوت مرتفع إخوته الأصغر وأولاده وقال: "إن سيرغوإيتي سوف يقتلني، وإنه إذا ما قتلني ما الذي سوف تحققونه بأخذكم جسدي الميت والذي هو من دون حياة؟ انسحبوا إلى الخلف قبل أن يقتلني، ثم إن تيموجين سوف لن يقتلني، بسبب أن تيموجين عندما كان ما يزال صغيراً:

امتلك ناراً في عينه

وهو امتلك نوراً في وجهه

وبسبب أنه عندما هجر في معسكر، من دون سيد، أنا ذهبت إلى هناك لآخذه ولإعادته إلى الديار معي:

قائلاً بأنني إذا ما علمته

سوف يكون قابلاً للتعليم

وتابعت تعليمه وإرشاده وكأنه كان فقط

فتى غر جديد ابن عامين أو ثلاثة أعوام

وأنا كنت أقوم بتدريبه

ولو أنني أردته أن يموت

أو لم أكن أنا قادراً على قتله؟

وهم يقولون أنه في الوقت الحاضر

قد أصبح عميق التفكير في أعماله
وبأن ذهنه بات نظيفاً

وتيموجين لن يسعى أو يتسبب بموتي، وأنتم يا أولادي، ويا إخوتي الأصغر، أديروا ظهوركم على الفور، لكي لا يقتلني سيرغوايتو"، وهكذا صرخ بصوت مرتفع.

وتشاور أولاد تارقوتاي وإخوته الأصغر مع بعضهم، وقالوا لأنفسهم: "نحن قدمنا للمحافظة على حياة الوالد ولإنقاذه، ولكن ما أن يحرمه سيرغوايتو من حياته، ما الذي سوف نستفيده من جسده الفارغ من الحياة؟ الأفضل أن ندير ظهورنا على الفور قبل أن يقتله"، وما أن فرغوا من قولهم هذا حتى أداروا ظهورهم، والآن عاد آلاق، ونايآ، ولدا العجوز سيرغوايتو، بعدما كانا قد اعتقلا لدى قدومهم، وانتظر سيرغوايتو وصولهما وعودتهما، ومن ثم تحرك ومعه ولديه.

وتابعوا سيرهم على طريقهم، ولدى وصولهم إلى منعطف قوتوقول Qutuqul ، وقتها قال نايآ: "إننا إذا وصلنا ونحن معتقلين لهذا الأسير تارقوتاي، سوف يقول جنكيزخان عنا بأن قدمنا ونحن قد اعتقلنا سيدنا الشرعي، ولسوف يقول جنكيزخان عنا: كيف يمكن الوثوق بأناس مثل هؤلاء الذين قدموا وقد اعتقلوا مولاهم الشرعي؟ فكيف يمكن اتخاذهم رفاقاً لنا؟ إنهم أناس ليسوا جديرين بالصحبة، والناس الذين اعتقلوا مولاهم الشرعي، ينبغي تمزيقهم، أو لن يكون نصيبنا التمزيق، من الأفضل إطلاق سراح تارقوتاي، وإرساله بعيداً من هاهنا، والذهاب إلى جنكيزخان قائلين: نحن امتلكنا أجسادنا فقط، ونحن قدمنا لنعرض خدماتنا على جنكيزخان، ونحن سوف نقول: نحن اعتقلنا تارقوتاي، وكنا على طريقنا إلى هنا، ولكن

لم يكن باستطاعتنا قتل مولانا الشرعي أو السعي للتخلص منه قائلين لأنفسنا: كيف يمكننا أن نجعله يموت أمام أعيننا بالذات؟ ولذلك أطلقنا سراحه، وسرحناه، ونحن قدمنا لوحدنا لنقدم خدماتنا".

لقد كان هكذا قد تحدث إلى أبيه وأخيه، وهما وافقا على كلام نايا آ، فأطلقوا سراح كيريلتوق وسرحوه ليذهب بعيداً من عند منعطف قوتوقول.

وعندما وصل العجوز سيرغوايتو هذا نفسه مع ابنيه آلاق، ونايا آ، سأل جنكيزخان عن سبب قدومهم، فأخبر العجوز سيرغوايتو جنكيزخان قائلاً: "نحن اعتقلنا تارقوتاي كيريلتوق وكنا على طريقنا إلى هنا، ولكن عندها قلنا لأنفسنا: كيف يمكننا أن نجعل مولانا الشرعي يموت أمام أعيننا بالذات؟ ونحن لم نستطع الإقدام على التسبب بالتخلص منه، ونحن أطلقنا سراحه، وسرحناه ليعود، وقدمنا إلى جنكيزخان لنقدم خدماتنا".

وعند ذلك قال جنكيزخان: " لو أنكم قدمتم وأنتم معتقلين لمولاكم تارقوتاي، أنتم وأولادكم كنتم ستزالون من الوجود كأناس اعتديتم على مولاكم الشرعي واعتقلتموه، وإن تفكيركم بأنه لا يجوز لكم التسبب بمقتل مولاكم الشرعي، هو عمل صحيح "، وهو تكلم هكذا، وأظهر الحظوة نحو نايا آ.

ومن بعد ذلك عندما كان جنكيزخان في ديرسوت Dersut، قدم جاقا غامبو من قبيلة الكيريت للالتحاق به كرفيق حليف، وعندما وصل كان المركيت يزحفون مقتربين لمحاربة جنكيزخان، واشتبك جنكيزخان معهم وبرفقته جاقا غامبو Jaqa Gambu ومعهما المقدمين الآخرين وصدوهم ثم إن جاقا غامبو أعاد تشكيل القبائل المتفرقة من الكيريت، ومن التومين توبيغين Tumen Tubegen والأولون دونغقاييت Olon Dongqayit ، وجاء هؤلاء وخضعوا لجنكيزخان.

وأما بالنسبة للأونغ خان، زعيم قبائل الكيريت، فقد كان هكذا في أيام ييسوغي خان، ولأنهما كانا يعيشان مع بعضهما في وئام ممتاز، أعلن هو وييسوغي خان عن نفسيهما صديقين متحالفين بالقسم.

وكانت الطريقة التي أعلنا بها عن نفسيهما صديقين بالميثاق، كما يلي:

بسبب أن الأونغ خان كان قد قتل إخوته الصغار من أبيه قورجاقوس (هذا الاسم يقابل: سيرياكوس حيث كان مسيحياً نسطوريا) بوييروق خان، فكان أن ثار ضده غور خان الذي كان الأخ الأصغر لأبيه، وقد أرغم الأونغ خان على الفرار، والتجأ إلى جبال قاراأون غورغي Qara'un Gorge للنجاة منه، وكان معه مائة رجل فقط، وقد خرج من الجبال، والتحق بييسوغي قان، فرحب بقدومه إليه، وتحمس، وحرك ييسوغي خان جيشه، ونزل به إلى الميدان، فهزم غورخان، وأرغمه على الانسحاب نحو قاسين Qasin، وأخذ ييسوغي خان شعب أونغ خان، وأعادهم إليه، فهذا كان هو السبب في أنهما أصبحا صديقين بالميثاق.

ومن بعد هذا، عندما كان ايركي قارا Erke Qara ، الأخ الأصغر للأونغ خان، على وشك أن يقتل من قبل أخيه الأكبر الأونغ خان، هو هرب، وخضع لإينانجا خان Inanča Qan زعيم قبائل النيمان، وهزم إينانجا خان قوات الأونغ خان، وهرب الأونغ خان، وهام على وجهه ومر بثلاث مدن، ثم أخذ طريقه نحو غور خان، خان القرا ـ خطاي[1]، ثم ثار الأونغ خان ضد الغور خان، وأدار له ظهره، وعبر خلال مدن: الييقوت Uyiqut

---

1 ـ كان الخطا قد حكموا قسماً من الصين الشمالية، وعندما سقطت أسرتهم الحاكمة على أيدي أسرة الكن، هرب أمير الخطا في عام ١١٢٣ مع أتباعه إلى آسيا الوسطى، وأسس إمبراطورية واسعة الأرجاء، جعل عاصمتها الشمالية بالاساغون في تركستان الحالية.

(اليبغور أو الإيغور) والتانغقوت Tangqut، وأطعم نفسه وعاش مع أتباعه على حليب خمسة رؤوس من الماعز، بعد كم أفواه جداياهم، وكذلك بوساطة شرب الدم من جمالهم، التي كانوا يوخذونها بالإبر ليمصوا دماءها.

وعندما كان في هذه الضائقة الشديدة، والمصاعب وصل إلى بحيرة غوسيأور Gusee'ur ، وبسبب أن الأونغ خان كان قد أعلن له من قبل كل من بيسوغي خان، وجنكيزخان، عن نفسيهما صديقين بالميثاق، أرسل جنكيزخان إليه كرسولين: تاقاي بالتور، وسوكيغي جيأون، من منطقة نبع نهر كيلورين، ثم ذهب جنكيز شخصياً بذاته لاستقباله، وبسبب أن أونغ خان وصل جائعاً جوعاً شديداً ومنهك القوى، فقد فرض جنكيزخان لصالحه بعض الضرائب، وجلبه إلى المعسكر، واعتنى به ورعاه.

وانتقلوا في ذلك الشتاء بطريقة منتظمة إلى مراعي جديدة، وأمضى جنكيزخان الشتاء في قوبا قايا Quba Qaya.

ثم قال إخوة الأونغ خان الأصغر منه مع المقدمين فيما بين أنفسهم:

لأخينا الأكبر سناً الخان

طبيعة تعيسة، فهو مستمر

بالاحتفاظ بأخلاق قذرة

فهو دمر إخوته، لا بل حتى إنه خضع للقرا ـ خطاي، وجعل شعبه يعاني ويتألم، والآن، ما الذي سوف نفعله معه؟ وأن نتحدث عن أيامه الأولى الماضية، فهو عندما كان في السابعة من عمره أسره المركيت، وأعطوه معطفاً من جلد الماعز فيه نقاط سوداء ليرتديه، وفي سهل بوأورا Bu'ura قرب نهر سيلينغي، تولى طحن القمح في مهراس للمركيت، غير أن أباه قورجاقوس بويروق أغار على المركيت هنا وهناك وأنقذ ابنه،

ومرة أخرى، عندما كان في الثالثة عشرة من عمره أسره ومعه والدته آجاي Ajai خان التتار، وعندما جعله آجاي خان يعتني بجماله أخذ معه راعي آجاي، وهرب عائداً إلى موطنه، ومن بعد ذلك هرب مرة أخرى خوفاً من النيمان إلى غورخان، خان القرا ــ خطاي على نهر جوي Cui، في منطقة السارتا أول Sarta'ul ، ثمّ إنه في أقل من عام تمرد عليه وتركه، وهام في بلاد الايغور (Ui'ut) والتانغوت Tang'ut ، وتحول إلى وضع صعب، وعانى من الشدائد، وهو مستمر بالتجوال، وأطعم نفسه بحليب خمس عنزات، بعد كم أفواه جداياهن، وبامتصاص الدم من جمله، وامتلك فقط حصاناً أعمى، لونه أبيض مشوياً باصفرار مع ذيل أسود، وعرف باللون نفسه، وعندما كان في هذه الأوضاع الصعبة، قدم إلى عند ابنه تيموجين، الذي فرض ضرائب من أجله، وفي الحقيقة اعتنى به، والآن وقد نسي أنه بقي حياً هكذا بفضل ابنه تيموجين، هو مستمر بأخلاقه الفاسدة وعقله الشرير، فما الذي سوف نفعله معه.

ولقد كان هذا ما قالوه بين أنفسهم، وقد نقل كلامهم إلى الأونغ خان من قبل ألتون أسوق Altun Asuq ، وقال ألتون أسوق: "إنني أنا أيضاً شاركت في هذه الخطة، ولكنني لا أستطيع المشاركة في التخلص منك يا مولاي الخان"، ثم أقدم الأونغ خان على اعتقال إخوته الأصغر منه مع المقدمين: إيل قوتور Elautur ، وألين تايسي Alin Taisi مع الآخرين الذين تآمروا على هذه الصورة، ومن بين إخوته الأصغر منه نجا فقط جاقاغامبو، وخضع للنيمان.

ثم إن الأونغ خان طلب إحضارهم إليه وهم في الأغلال، إلى خيمته، وقال لهم: "ما الذي تعاهدنا عليه وما الذي أقسمه أحدنا للآخر عندما مررنا ببلاد الايغور، والتانغوت؟ فكيف يمكنني أن أنظر إليكم، وأتصرف معكم؟"،

وقال هذا وبصق في وجوههم، ثم أمر بتحريرهم ونزع أغلالهم عنهم، وبعد ما جرى البصاق عليهم من قبل الخان نفسه، وقف الناس الذين كانوا في الخيمة، وبصقوا عليهم.

وبعد ما أمضى جنكيزخان شتاء ذلك العام (١٢٠١ ـ١٢٠٢) في منطقة قويا قايا، اشتبك في خريف عام الكلب (١٢٠٢) مع هؤلاء التتار في معركة في منطقة دالان نيمورغيس Dalan Nemurges ، وكانت قبائل : جاآآن Ča'a'an ، وألجي Alči ، ودوتاأوت Duta'ut ، وأروقاي Aruqai التتارية قد أصدروا قرار قبل أن يقاتلوا جنكيزخان متحدين، جاء نصه كما يلي : "إننا إذا غلبنا العدو سوف لن نتوقف من أجل الغنائم، فعندما يكون النصر كاملاً، من المؤكد بأن الغنائم سوف تكون لنا، ونحن سوف نتقاسمها بين أنفسنا، وإذا ما أرغمنا من قبل الأعداء، على التراجع، دعونا نعود إلى النقطة التي بدأنا منها الهجوم، والرجال الذين سوف لن يعودوا إلى النقطة التي بدأنا منها الهجوم سوف يمزقون قتلاً"، ومثل هذا هو رسم معهم.

وهم تحاربوا في منطقة دالان نيمورغيس، وصد أتباع جنكيزخان التتار، وبعدما غلبوهم، أرغموهم على الالتحاق بقبائلهم عند نهر أولقوي سيلوغيلجيت Ulqui Silugeljit ، ونهبوهم بالكامل وهناك دمروا من بعد هذا الشعب المهم، أي قبائل التتار: جاآآن، وألجي، ودوتاأوت، وأروقاي.

وفيما يتعلق بكلمات القرار الذي أصدره جماعة جنكيزخان بالإجماع، لم يلتزم به: ألتان، وقوجار، وداريتاي، فقد توقف هؤلاء الثلاثة من أجل الغنائم، فأرسل جنكيزخان جبه، وقبلاي، من أجل أن ينتزعوا منهم، جميع قطعان الخيول والسلع التي حصلوا عليها كغنيمة، وكل شيء هم استولوا عليه.

وبعد الدمار الكلي، والنهب الكامل للتتار، عقد جنكيزخان مؤتمراً كبيراً مع أقربائه في خيمة واحدة لاتخاذ قرار حول الذي ينبغي فعله مع رجال قبائل التتار، وقد قرروا مع بعضهم ما يلي:

منذ الأيام الخوالي تولى شعب التتار
تدمير آبائنا وأجدادنا
ومن أجل الانتقام لآبائنا ولأجدادنا
وتسديد الجرائم التي اقترفوها بحقهم
سوف نقيس التتار على عريش
عربة
وسوف نقتل الذين وصلوا بالطول إلى العريش حتى آخر واحد،
ولسوف نذبحهم جميعاً على الإطلاق
أما البقية فسوف نسترقهم
ونوزعهم بعضهم هنا، وبعضهم هناك
نقتسمهم بين أنفسنا".

واختتم المؤتمر، وعندما خرجوا من الخيمة سأل التتاري ييكي جيرين Yeke Čeren، بيلغوتي: ما هي القرارات التي اتخذوها؟ فقال بيلغوتي: نحن قررنا أن نقيسكم جميعاً على عريش عربة، وسوف نذبح منكم من يصل بطوله إلى عريش العربة".

وبناء على كلام بيلغوتي هذا، أصدر ييكي جيرين إعلاناً إلى تتاره، فبادر هؤلاء إلى إقامة خط دفاعي، وعندما حاول جنودنا تطويق التتار الذين أقاموا خطاً دفاعياً لحماية أنفسهم، ومحاربتهم تكبدوا خسائر كبيرة عانوا منها، وبعد كثير من المتاعب، عندما أرغموا التتار المدافعين عن

أنفسهم على الاستسلام، وكانوا على وشك ذبحهم حتى آخر رجل، بقياس طولهم على عريش عربة، قال التتار فيما بين بعضهم بعضاً: ليضع كل واحد منا سكيناً في كمه، ودعونا نموت وكل واحد منا آخذاً معه واحداً من العدو، ليكون رفيق موت"، ومرة أخرى نحن عانينا من خسائر كبيرة، ووفق هذه الطريقة تمت عملية قياس التتار على عريش عربة ومحقهم كلياً.

ثم أصدر جنكيزخان هذا الأمر التالي: "بسبب أن بيلغوتي أفشى القرار الذي اتخذناه مع أقربائنا في المؤتمر الكبير، عانى جنودنا من خسائر كبيرة، فمن الآن فصاعداً سوف لن يشترك بيلغوتي معنا في المؤتمرات الكبيرة، ولن يدخل إلى مكان المؤتمر إلى أن ينتهي الاجتماع، وهو سوف يعالج القضايا الخارجية، وفي أثناء معالجته لها، هو سوف يصدر قرارات الحكم للمتقاضين، وعلى الذين اقترفوا جريمة السرقة والتزييف وشهادة الزور، وبعدما يكون المؤتمر قد انتهى، وبعدما نكون قد شربنا كأس خمرة الاحتفال، آنذاك فقط سوف نسمح لبيلغوتي، وداريتاي بالالتحاق بنا"، ولقد كان هذا ما أمر به.

ثم إنه في تلك المناسبة اتخذ الخان كزوجة ييسوغين قاتون، ابنة التتاري ييكي جيرين، ولأنها أحبت من قبله قالت ييسوغين قاتون: "إنه إذا كان يرضى الخان، هو سوف يعتني بي، ويعدني ككائن بشري، وشخص جدير بالاحتفاظ، ولكن أختي الأكبر سناً مني، التي تدعي ييسوي Yisui ، هي متفوقة بالجمال عليّ، وأكثر مواءمة لتكون زوجة لحاكم، ومؤخراً جرى إدخال زوج لها في أسرتنا، ليكون كصهر، وأنا الآن أتساءل إلى أين ذهبت وسط جميع هذه الفوضى".

وبعد سماع جنكيزخان لهذه الكلمات قال: "إذا كانت أختك الأسن منك أفضل منك، لنقم بالتفتيش عنها، ولكن إذا ما عثرنا على أختك الأسن منك، هل ستتنازلين عن مكانك لها؟"، فقالت بيسوغين قاتون: "إنه إذا كان يرضي الخان، فإنني في اللحظة التي سوف أرى فيها أختي الأسن مني، أنا سوف أتنازل لها عن مكاني".

وبناء على هذا الوعد، أصدر جنكيزخان الأمر بالبحث عنها، ووجدها جنودنا وعثروا عليها وهي ماضية إلى داخل الغابة مع خطيبها التي منحت زوجة له، وهرب زوجها، ثم إنهم جلبوا بيسوي قاتون.

وعندما رأت بيسوغين قاتون أختها الأسن منها، حافظت على الوعد التي قطعته من قبل، وقامت من مكانها، وتركتها تجلس في المكان الذي كانت تشغله، وأجلست نفسها على مقعد أدنى.

وبما أن الأمور سارت كما قالت بيسوغين قاتون، كان جنكيز مسروراً منها، فتزوج بيسوي، ووضعها في مرتبة زوجاته الرئيسات.

وبعدما كان جنكيزخان قد دمر التتار، كان في أحد الأيام جالساً خارج الخيمة مع جماعة، وكان جالساً فيما بين كل من بيسوي قاتون، وبيسوغين قاتون، وكان يشرب معهما، ووقتها تنهدت بيسوي بعمق، وعند ذلك فكر جنكيز حول الأمر، فاستدعى إليه: بوأورجو، وموقالي، والمقدمين الآخرين، وقال لهم: "عليكم جعل جميع هؤلاء الناس الذين احتشدوا هنا ــ دون سواهم ــ يقفون على شكل جماعات حسب الأسر التي ينتمون إليها، وأن يبعد كل واحد منكم أي رجل وقف مع جماعته، وهو ليس منهم"، ولقد كان هذا ما أمر به، وجرى تنفيذه.

ولدى وقوف الناس على شكل جماعات حسب القرابات الأسروية، وقف شاب وسيم ورشيق منفصلاً بعيداً عن المجموعات كلها، وعندما قالوا له: "إلى أي عشيرة أنت تنتمي" قال الرجل: "أنا الزوج الذي أعطيت إليّ ابنة التتاري بيكي جيرين، التي تدعى ييسوي، فعندما تعرضنا للنهب من قبل العدو أنا خفت وهربت، وقدمت الآن إلى هنا بسبب أن الأشياء ظهر أنها استقرت، وأنني أستطيع الآن البقاء دون الإخبار عن نفسي، فكيف يمكن اكتشافي ومعرفتي بين مثل هذا العدد الكبير جداً من الناس؟".

وعندما رويت هذه الكلمات إلى جنكيزخان هو أمر: "لا فارق لدي، والأمر هو نفسه، هو كان يعيش كحثالة مع نوايا عدوانية، ما الذي جاء ليتجسس عليه الآن؟ والذين قسنا طولهم على عريش عربة وأبدناهم هم مثله، فلماذا التردد، أبعدوه من أمام ناظري" فجرى تمزيقه على الفور، وتقطيعه إرباً إرباً.

وكان في هذا العام نفسه، عام الكلب (١٢٠٢) عندما زحف جنكيزخان ضد التتار، زحف الأونغ خان ضد المركيت، حيث طارد توقتوآ بيكي باتجاه الأراضي المنخفضة لبارقوجين، وقتل الأونغ خان توغوس بيكي، الذي كان الابن الأكبر سناً لتوقتوآ، وأسر ابنتيه: قوتوقتاي Qutuqtai ، وجاألون Ča'alun ، وزوجتيه، ونهب ابنيه: قوتو Qutu ، وجيلاأون Čila'un ، مع الناس التابعين لهما، ولكنه لم يعط من الغنائم والأسلاب شيئاً إلى جنكيزخان.

ومن بعد هذا زحف جنكيزخان والأونغ خان ضد بويبروق Buyirug خان عشيرة غوجوغوت Gučugut التي كانت من عشائر النيمان، ووصلا إلى مياه نهر سوقوق أوسون Soqoq usun عبر جبل أولوق تاق Uluq Taq، وذلك حيث كان بويبراوق خان مقيماً في ذلك الوقت.

ولأن بويبروق خان لم يكن قادراً على خوض القتال، انسحب وعبر جبال ألتاي، فهما طاردا بويبروق خان من سوقوف أوسون، وأرغماه على عبور جبال الألتاي، ثم طارداه على امتداد نهر أورونغو Urunggu، ثم نزولاً على امتداد نهر قوم سينغير Qum Singgir.

وفي الوقت الذي كان هذا يجري فيه، كان هناك مقدم يدعى ييدي توبلوق Yedi Tubluq ، كان يقوم بأعمال الدورية لصالح بويبروق خان، وقد جرت مطاردته من قبل رجال دورياتنا، وعندما كان على وشك الفرار عبر جانب الجبل، انقطع حزام سرج مطيته، وقد اعتقل في تلك البقعة، ولدى متابعة مطاردة بويبروق خان، انقضا عليه فجأة عند بحيرة كيسيل باس Kisil Bas وهناك محقوه وأزالوه من الوجود.

وفي أثناء عودة جنكيزخان والأونغ خان من ذلك المكان، كان المقاتل الكبير كوكساو سابراق من النيمان قد عبأ قواته في منطقة بابيداراق التي يلتقي فيها نهران، واستعد لقتالهما، ومثل ذلك قرر جنكيزخان والأونغ خان القتال، وعبيا قواتهما، وحدث ـ على كل حال ـ أنهما عندما وصلا كان الوقت متأخراً، فقالا: "سوف نقاتل في الصباح، وأمضيا الليل، وهما على تعبئة كاملة للقتال"، ثم إن الأونغ خان أشعل ناراً في المكان الذي كان فيه واقفاً، وتحرك في تلك الليلة نفسها على امتداد مجرى نهر قرا سيئول Qara Se'ul .

ثم إن جاموقا تحرك مسايراً للأونغ خان ومعه، وقال جاموقا للأونغ خان وهما ماضيان على طريقهما: "إن أخي بالميثاق تيموجين يرسل منذ وقت طويل رسلاً إلى النيمان، والآن هو لم يقدم معنا:

ياخاني، ياخاني إنني قبّرة السماء

التي تبقى في مكان واحد
وصديقي بالميثاق
هو قبّرة مهاجرة
وهو لابد أنه التحق بالنيمان، وهو قد بقي بالخلف مع نية الخضوع لهم".

ولدى تفوه جاموقا بهذه الكلمات، رد عليه غورين باآتور Gurin Ba'atur الذي كان من قبيلة الأوبجيق Ubčiq قائلاً: "كيف يمكنك أن تفتري هكذا وتتكلم على أخيك، وتطعن به في ظهره، وتسيء إلى أخيك المستقيم؟".

وأمضى جنكيزخان الليل في ذلك المكان نفسه، وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، أراد أن يقاتل، ولكنه عندما نظر على مكان تمركز الأونغ خان، وجد أنه غير موجود هناك، وأنه ذهب تاركاً إياه لوحده، فقال: "من المؤكد أنه يعاملنا مثل قربان للحرق، لدى تقديم الأضاحي للموتى"، وتحرك جنكيزخان أيضاً وانتقل من هناك، وعبر النهر عند نقطة لقاء الايدر ألتاي Eder Altai ، وتابع سيره بعيداً، ونصب معسكره في سهل سآري Sa'ari .

ومن بعد هذا أدرك جنكيزخان وقاسار المصاعب التي كان يعاني منها النيمانيّون، ولذلك لا يمكن عدّهم بعد الآن شعباً يستحق أن يحسب حسابه.

ومضى كوكسيئو سابراق Kokse'u Sabraq مطارداً الأونغ خان، فأسر زوجة ابنه سينغوم Senggum مع جميع شعبه، واستولى أيضاً على نصف شعب الأونغ خان وقطعانه التي كانت عند ممر تيليغيتو Telegetu، وعاد إلى موطنه.

وفي ذلك الوقت، وقت ذلك الاشتباك، قام قوتو Qutu ، وجيلاأون Cila'un ابنا توقتوآ Toqto'a المركيتي، اللذان كانا هناك، بالانفصال أيضاً عن الأونغ خان، وأخذا معهما شعبهما وتحركا نزولاً على امتداد مجرى نهر سيلينغي للالتحاق بأبيهما.

وبعدما نهب الأونغ خان من قبل كوكسيئو سابراق، أرسل رسولاً إلى جنكيزخان، وبعث خلال الرسول الرسالة التالية: "أنا سرقت من قبل النيمان وحرمت من شعبي وزوجتي، وأنا مرسل إليك هذا الرسول، لأطلب منك يا بني أن ترسل "فرسانك الأربعة"، ودعهم ينقذون شعبي لصالحي".

وعند ذلك أرسل جنكيزخان: بوأورجو، وموقالي، وبوروقول، وجيلاأون باأتور، أرسل "فرسانه الأربعة هؤلاء"، وعبأ قواته، وكان قبل وصول "الفرسان الأربعة" قد دخل سينغوم بمعركة مع كوكسيئو سابراق Kokse'u Sabraq في منطقة هولاآن قوت Hu;a'an Qut ، وأصيب حصانه بسهم في ساقه، وهو نفسه كاد أن يقع في الأسر.

وفي تلك اللحظة وصل هؤلاء "الفرسان الأربعة" فأنقذوه، واستردوا له شعبه وزوجته، وأعادوهم له جميعاً، وعند ذلك قال الأونغ خان: "فيما مضى استرد والده الفاضل شعبي الذين فقد أفراده مثل هذا الآن، والآن مرة أخرى أرسل ابنه فرسانه الأربعة، وأنقذوا شعبي لصالحي، وفي سداد لأعمال المعروف هذه، لأدع فقط حماية السماء والأرض تقرر كيف، وفي أي وقت".

واستطرد الأونغ خان يقول: "أنقذ صديقي بالميثاق ييسوغي باأتور مرة شعبي الذي كنت قد فقدته، ومرة أخرى استرد ابنه تيموجين لصالحي شعبي الذي كان قد تشتت أسراً وضياعاً، وعندما أعاد هذان الاثنان: الأب

والابن جمع شعبي الضائع، وأعادوه لي، فلمنفعة من، ومن أجل من هما تحملا المتاعب في إعادة جمعه، وإرجاع أفراده إليّ؟، وأما بالنسبة لي الآن:

لقد أصبحت رجلاً عجوزاً، وأصبحت متقدماً بالسن

وعندما سأصعد إلى عليين

إنني أصبحت عجوزاً، وتقدمت بالسن كثيراً

وعندما سأصعد إلى الشعاب العالية

من الذي سوف يحكم جميع شعبي؟

فابني الأصغر يفتقر إلى القوة والأخلاق، وهناك فقط ابني سينغوم، ولكن هو كأنه غير موجود، وإنني إذا ما جعلت ابني ثيموجين الأخ الأكبر لسينغوم، أنا سوف أمتلك ابنين وعقلي سوف يكون مرتاحاً"، وبعدما قال الأونغ خان هذا اجتمع هو وجنكيزخان في الغابة السوداء قرب نهر توأولا Tu'ula ، وهناك اجتمعا مع بعضهما، وأعلنا عن نفسيهما أباً وابناً، وكان السبب وراء إعلانهما عن نفسيهما أباً وابناً، هو أن الأونغ خان كان قد أعلن نفسه صديقاً بالميثاق ليسوغي خان، والد جنكيزخان، وبفضل هذه الحقيقة قال جنكيزخان بأن الأونغ خان هو بمثابة الأب بالنسبة له، فلقد كان هذا هو السبب الذي يعلل لما أعلنا عن نفسيهما أباً وابناً، وقدم كل واحد منهما إلى الآخر الوعود التالية:

"عندما نقاتل حشود العدو،

سوف نقاتلهم معاً وكأننا شخص واحد،

وعندما نطارد الحيوانات البرية الماكرة،

نحن أيضاً سوف نطاردهم معاً وكأننا شخص واحد

وهكذا أعلنا، وأيضاً وعد جنكيزخان والأونغ خان أحدهما الآخر قائلين:

سوف نبعد الغيرة والتحاسد من بيننا نحن الاثنين
إذا ما حاول ثعبان بأسنانه السامة
أن يثير عدم الوفاق بيننا
دعونا لا نسقط أمام أعمال إثارته
ولسوف يثق أحدنا بالآخر ويصدقه
وإذا ما حاول ثعبان بأنيابه السامة
أن ينشر الافتراء من حولنا
دعونا لا نقبل افتراءه
وبالمواجهة والإيضاح وجهاً لوجه يمكننا فقط
أن يصدق كل واحد منا الآخر".

وبوساطة التعهد والميثاق، عاشا مع بعضهما متبادلين للعواطف.

وفكر جنكيزخان أنه "في ذروة المودة والتبادل العاطفي، ليكن هناك المزيد من العواطف المتبادلة"، ولذلك طلب للزواج جاأور بيكي Ča'ur التي كانت الأخت الصغرى لسينغوم، لصالح ابنه جوجي، وقال: "أنا سوف أعطي بالمقابل ابنتنا قوجين بيكي Qočin Beki إلى توساق Tusaq ابن سينغوم".

وعندما عمل هذا الطلب، تصور سينغوم نفسه آنذاك أنه كان إنساناً بالغ الأهمية، فقال: "إذا ذهبت واحدة من قريباتنا إليهم هي سوف تقف قرب

الباب ووجهها متوجه فقط نحو ظهر الخيمة، ولكن إذا ما قدمت واحدة من قريباتهم إلينا فسوف تجلس في صدر الخيمة ووجهها نحو الباب[1]"، وهكذا لتصوره نفسه أنه كان مهماً جداً، تكلم باستخفاف حولنا، ولم يكن راضياً باقتراحنا، وأنه سوف لن يعطي جاأور بيكي.

وبسبب هذه الكلمات انتزع جنكيزخان من قلبه عواطفه نحو الأونغ خان، ونحو نيلقا سينغوم Nilqa Senggum .

ولاحظ جاموقا بأن جنكيزخان لم تعد مشاعره وعواطفه نحوهما قائمة موجودة، وفي ربيع عام الخنزير (١٢٠٣) توصل جاموقا، وألتان، وقوجار، وايبوغيجين Ebugejin ونوياكين Noyokin من قبيلة قارداكين Qardakin ، وتوأوريل مقدم قبيلة سوغيئين Soge'en ، وقاجيأون بيكي Qači'un Beki ، توصل هؤلاء جميعاً إلى تفاهم، وانطلقوا وذهبوا إلى نيلقا سينغوم، الذي كان موجوداً في منطقة بيركي إيليت Berke Elet على الجانب الشمالي لمرتفعات جيجيئير Jeje'er .

وشرع جاموقا بالافتراء ضد جنكيزخان والنيل منه قائلاً: "لقد بعث صديقي بالميثاق تيموجين رسلاً بمراسلات سرية إلى تايانغ خان النيمان، وفمه يتفوه ويقول "أب" و "أخ" ولكن تصرفاته مختلفة تماماً، فهل أنتم مازلتم تثقون به؟ وإننا إذا لم نأخذه مفاجأة ونوجه ضربة نحوه، ماذا سيكون مصيركم؟، وإذا أنتم ما تحركتم ضد صديقي بالميثاق تيموجين، فأنا سوف أنضم إليكم، وأهاجم جناحه".

---

1 ــ كان مكان الصدارة وما يزال في صدر الخيمة مواجهة للباب، والمكان الأدنى مقاماً هو ما بعد الباب في مواجهة صدر الخيمة والذي ذهب إليه سينغوم بأن جاأور بيكي سوف تعامل مثل خادمة في خيمة جوجي، في حين من المتوقع معاملة قوجين بيكي مثل سيدة في خيمة توساقا.

وقال ألتان وقوجار: "إنه بالنسبة لأبناء الأم أوالون، من أجلك:

سوف نقتل الأخ االأكبر

وسوف نتخلص من الإخوة الأصغر

وقال ايبوغيجين، ونوياكين ــ اللذان من قبيلة قارداكين: من أجلك

سوف نغل يديه

ونربط قدميه

وقال توأوريل: "إن الخطة الأفضل المضي نحو الأمام وأسر شعب تيموجين، فهو إذا ما انتزع شعبه منه، وترك من دون جماعته، ماذا يستطيع أن يفعل؟".

وقال قاجيأون بيكي: "إن ما تقرره يا أمير نيلقا سينغوم مهما كان، فلسوف أذهب معك وأمشي:

إلى أبعد الحدود .

وإلى القعر العميق.

وبعدما استمع نيلقا سينغوم إلى هذه الكلمات، أخبر بها حرفياً والده الأونغ خان، بوساطة سايبقان توديئين Sayiqan Tode'en .

وعندما جرى أخبار الأونغ خان بهذا، قال: "كيف يمكنكم أن تفكروا بمثل هذه الأشياء حول ابني تيموجين؟ فنحن حتى الآن امتلكناه داعماً لنا ومستندنا، وإذا كنا الآن سنحتضن مثل هذه النوايا الشريرة نحو ابني، سوف لن نكون محبوبين من قبل السماء، ويمتلك جاموقا لساناً ذرباً، فهل هو محق في الذي يقوله؟ وهل هو صحيح؟"، وعلى هذا كان الأونغ خان منزعجاً، وأعاد سايبقان توديئين.

وبعث سينغوم إليه رسالة أخرى قال فيها: "عندما يتفوه أي إنسان بفمه ولسانه بمثل هذه الأشياء، كيف لا يمكن للإنسان أن يصدقه؟"، وبعث بالرسائل مرتين، ثم ثلاث مرات، لكنه لم يستطع إقناع الأونغ خان، وأخيراً ذهب إليه شخصياً، وقال: "إنه حتى الآن، وأنت ما تزال حياً وبوضع جيد، لا يقيم تيموجين أدنى تقدير لنا، ومن المؤكد أنك عندما ستصل — الذي أنت أبوه الخان — إلى السن الذي الرجال فيه

يعيشون على مضغ الحليب الأبيض

ويشبعون قانعين باللحم الأسود

هل هو سيسمح لنا بحكم شعبنا — الشعب الذي شكّله والدك قورجاقوس بويروق خان بعد مشاق كبيرة، وجعله في هذا العدد الكبير؟ كيف سيدع أي واحد يحكمه؟".

وجواباً على هذا الكلام قال الأونغ خان: "كيف يمكنني العمل على التخلص من طفلي، من ابني؟، ولأنه حتى الآن كان السند الداعم لنا، فهل يصح أن نحتضن نوايا شريرة ضده؟، إننا إذا فعلنا ذلك سوف لن ننال الحب من قبل السماء".

وتجاه هذه الكلمات أصبح ابنه نيلقا سينغوم غاضباً، فدفع بعنف باب الخيمة وغادرها، ولكن الأونغ خان قلق حول فقدان عواطف ابنه سينغوم نحوه، فاستدعاه وقال له: "من الذي سيعرف إن كنا سوف نحب من قبل السماء بعد هذا كله؟، وأنت قلت: كيف يمكننا أن نتخلص من ابننا؟، فقط افعل الذي تستطيع فعله، فالأمر عائد إليك لاتخاذ القرار".

وإثر ذلك تحدث سينغوم إلى الآخرين، وقال: "لقد طلب هؤلاء الناس لأنفسهم ابنتنا جاأور بيكي، ولنقم الآن بتثبيت يوم، ودعونا ندعوهم، ونتناول

الطعام معهم أثناء الاحتفال بالخطوبة، وعندئذ نلقي القبض عليهم"، وهم وافقوا جميعاً، وعملوا ميثاقاً مع أونغ خان، حول هذا الشأن.

وأرسلوا خبراً إلى جنكيزخان، قالوا له فيه: "نحن سوف نجهز جاأو- بيكي، أقبل وتناول الطعام أثناء احتفال الخطوبة"، وقام جنكيزخان بناء على هذه الدعوة بالتوجه نحوهم مع عشرة رجال، وهو على الطريق أمضى الليل في خيمة الأب مونغليك، ثم قال الأب مونغليك: "عندما طلبنا جاراأور بيكي، ازدرانا هؤلاء الناس أنفسهم، ورفضوا إعدادها، فما الذي أعدّ الآن، فعلى العكس هم دعوك لتناول الطعام أثناء حفلة الخطوبة؟ فلماذا أقدم أناس يرون في أنفسهم أنهم مهمين جداً جداً، على دعوتك، وناقضوا أنفسهم، فقالوا الآن: نحن سوف نعدها ونقدمها؟"، فهل هم صادقين؟ عليك يا بني التصرف بحذر، ودعنا نرسل إليهم رسالة نقدم فيها عذراً، بأن الوقت هو الآن ربيع، وقطعاني ضعيفة، وعلينا تسمين خيولنا أولاً.

ولم يتابع جنكيزخان السفر، بل أرسل بوقاتاي، وكيراتاي، وأخبرهما أن يقوما بحضور وليمة الخطوبة في محله، ثم عاد من خيمة الأب مونغليك إلى البيت.

وعندما وصل بوقاتاي، وكيراتاي، قال سينغوم والآخرون "لقد تم كشف أمرنا، نحن سنقوم في الصباح الباكر بتطويقهم، واعتقالهم".

وبعدما تعاهدوا، وأعطوا كلمتهم بأنهم سوف يطوقونهم، ويأسرونهم، قال ييكي جيرين Yeke Čeren الذي كان ابن العم (الخال) لألتان، عندما عاد إلى البيت: "نحن قررنا اعتقال تيموجين غداً في الصباح الباكر، فما نوع الجائزة التي من الممكن توقع نيلها من قبل أي واحد، يوصل رسالة فيها هذه الأخبار إلى تيموجين؟".

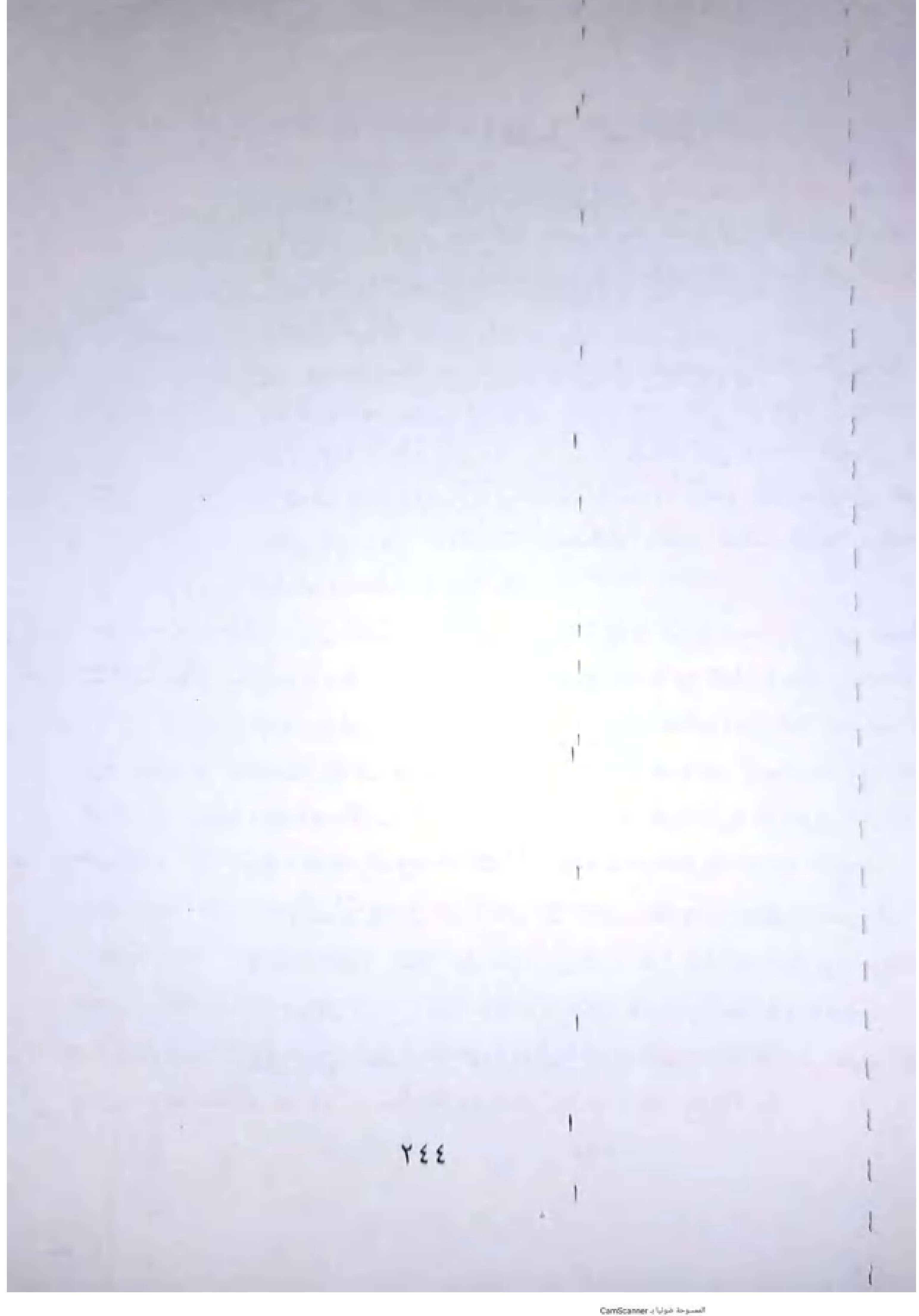
وعندما تحدث وفق هذه الطريقة، قالت زوجته ألاق Alaq "ما هذا الكلام السخيف واللامسؤول الذي تقوله؟، فبعض الناس قد يأخذه على محمل الجد"، وفيما هما يتحادثان هكذا، جاء سائس خيولهما باداي Badai جالباً معه الحليب، فسمع هذا الحديث وانسحب.

وبعدما غادر باداي الخيمة، ذكر لرفيقه سائس الخيول كيسيليق Kisiliq، الكلام الذي تفوه به ييكي جيرين، فقال كيسيليق: "أنا سوف أذهب أيضاً، لأكشف مدى مصداق ذلك، وذهب إلى خيمة ييكي جيرين، فرأى نارين كيئين Narin Ke'en إبن ييكي جيرين جالساً خارج الخيمة يشحذ سهامه، فقال : ما الذي كنا نتحدث حوله قبل وقت قصير مضى؟ إن ذلك يتوجب قطع ألسنتنا، فقم مَن يمكننا الآن أن نوقف ونمنعه من إعادته؟".

وبعدما تكلم نارين كيئين هكذا، هو أخبر كيسيليق أيضاً، وكان كيسيليق سائس حصانه، فقال له: "اجلب لي خيولي من المرعى، وأحضر إلى هنا الحصان المركيتي الأبيض، والحصان الكستناوي الذي له خطم أبيض، وطوّل لهما، ففي هذه الليلة سوف نركب عند الفجر، ونخرج إلى القتال"، ولقد كان هذا ما تفوه به، وهكذا تحدث.

وتركه كيسيليق وأخبر باداي قائلاً: "لقد تقصيت حول الذي قلته قبل وقت قصير، فوجدته صحيحاً، والآن سوف يذهب كلانا، ويأخذان الأخبار إلى تيموجين، وبعدما اتفق الاثنان على هذا، جلبا الحصان المركيتي الأبيض، والحصان الكستناوي ذي الخطم الأبيض، وطوّلا لهما، وفي ذلك المساء بالذات ذبحا واحداً من خرفانهما، وطبخاه على نار أخشاب فراشيهما، ثم ركبا على الحصان المركيتي الأبيض، وعلى الحصان الكستناوي ذي الخطم الأبيض، اللذان كانا مطوّل لهما وجاهزين، وانطلقا ماضيين أثناء الليل.

ووصلا في تلك الليلة إلى معسكر جنكيزخان، ومن خلف خيمته حكى باداي، وكيسيليق ما كان، ورددا الكلام الذي كان ييكي جيرين قد تفوه به، والكلام الذي كان ابنه نارين كيئين قد قاله، وهو جالس يشحذ أسهمته، وذلك حين قال: أحضرا، وطوّلا لاثنين من الخيول، هما الحصان المركيتي الأبيض، والحصان الكستناوي ذي الخطم الأبيض، فقد رويا لجنكيزخان جميع الكلام الذي سمعاه، لكي يعرف، كما أن باداي، وكيسيليق تكلما أيضاً قائلين: "إذا تفضل جنكيزخان ومنحنا ثقته، هو لن يتردد عن القيام بالعمل، فهم تعاهدوا على تطويقك وأسرك.



الفصل السادس

وبناء على هذه الأخبار وبشأنها صدق جنكيزخان كلام باداي Badai ، وكيسليق وأخبر في تلك الليلة نفسها الرجال الموثوقين، الذين كانوا واقفين إلى جانبه، وتخلى عن أمتعته في سبيل التخفيف عن ركبه، واقلع خارجاً، وهرب في الليل.

واستمر سائقاً عبر طريق الجانب الشمالي من مرتفعات ماأو Ma'u ، وترك وراءه جيلمي قوآ Jelme Qo'a الذي كان من قبيلة أوريانغقات Uriangqat ، لأنه وثق به، وقد تركه كساقة على الجانب الشمالي من مرتفعات ماأو، ووضع دوريات، وتابع تقدمه، وبفعله ذلك وصل في اليوم التالي إلى رمال قالاقالجيت Qalaqaljit ، حيث توقف للراحة ولتناول الطعام، وبانتظار غياب الشمس.

وفي أثناء استراحتهم وتناولهم للطعام، تولى المسؤولون عن قطعان الخيول وهما جيغيدي Čigidei ويادير Yadir من قبيلة ألجيداي Alcidai ، قيادة خيولهم لرعي العشب الطازج هنا، وهناك، وفي أثناء تحركهما في المنطقة شاهدا غباراً مرتفعاً بوساطة قدوم العدو في المطاردة، وأن العدو اجتاز هولاآن بورقات Hula'an Borqat ، على الطرف الجنوبي لمرتفعات ماأو، فقالا: "لقد وصل العدو"، وعادا بسوقان الخيول الخانية أمامهما.

وعندما قيل لهم بأن العدو قد وصل، نظروا ولاحظوا الغبار المرتفع بوساطة العدو العابر لهولاآن بورقات، على الطرف الجنوبي لمرتفعات ماآو، وقالوا: "إن هذا هو الأونغ خان قادم في مطاردة حامية"، ثم إن جنكيزخان، عندما رأى الغبار، أمر فجلبت مطاياه له، فوضع عليهم أثقاله،

وركب وساق مع أتباعه، ولولا أن هذين السائسين شاهدا في تلك المناسبة وصول العدو، لكان أسر وهو على غير استعداد.

ولدى اقتراب الأعداء كان جاموقا يسوق متقدماً مع الأونغ خان، وفي أثناء تقدمهما نحو هنا ونحو هناك، سأل الأونغ خان جاموقا: "من أولئك الذين مع ابني تيموجين، وهم على استعداد للقتال"؟ فقال جاموقا: "إن هناك بني قومه الذين يدعون: الأوروأوت Uru'ut والمانغقوت Mangqut ، وهؤلاء الناس من بني قومه يعرفون في الحقيقة كيف يقاتلون:

ففي كل مرة يجولون بها ويكرون

صفوف قتالهم صامدة ومتماسكة

وفي كل مرة يدورون فيها أيضاً

صفوفهم صامدة ومتماسكة.

وهؤلاء الناس اعتادوا على السيوف والرماح منذ طفولتهم، وهم لديهم رايات سوداء، أو متعددات الألوان، وهؤلاء هم القوم الذين ينبغي أن نقلق بشأنهم".

وبناء على هذه الكلمات قال الأونغ خان: "إذا كان الأمر هو هكذا، فإن قاداق Qadaq القائد الشجاع لأتباعنا من الجيرغين Jirgin هو الذي سيقابلهم ويتصدى لهم، وسيكون لدينا أجيق سيرون Ačiq Sirun من قبيلة التومين توبيغين Tumen Tubegen ليقوم بعد ذلك بالهجوم داعماً للجيرغين، ولسوف نرسل الشجاع أولون دونغقاييت Olon Dongqayit ليقوم بالهجوم دعماً للتومين توبيغين Tumen Tubegen ، وقوري سيليمون تايسي Qori Silemun Taisi دعماً لأولون دونغقاييت، وهو سوف يقاتل على رأس ألفي ـ الأونغ خان ـ من الحرس الشخصي، ودعماً للألف من حرسي

الشخصي، سوف تتحرك الكتلة الأساسية من الجيش وتقوم بالهجوم"، وقال الأونغ خان أيضاً: "أيها الأخ الأصغر جاموقا، عليك تعبئة عساكرنا وصفهم ووضعهم مستعدين للقتال".

ولدى سماع جاموقا لهذه الكلمات، انسحب جانباً، وأخبر رفاقه قائلاً: "لقد أخبرني الأونغ خان بأن أتولى تعبئة قواته هذه، وأن أصفها من أجل المعركة، ولكن أنا لم أكن قط قادراً على القتال ضد صديقي بالميثاق، لأن الأونغ خان بقوله لي بوجوب تعبئة هذه القوات وصفها استعداداً للقتال، معناه أنه أقل قدرة مما أنا عليه، وهو ليس برفيق كما ينبغي أن يكون، دعونا نرسل خبراً إلى صديقي بالميثاق ليكون محترساً".

وبناء عليه أرسل جاموقا سراً الرسالة التالية إلى جنكيزخان: "لقد سألني الأونغ خان:

"من هؤلاء الذين مع ابني تيموجين الذين يرجح أنهم سيقاتلون؟"، وجواباً على سؤاله هذا أنا أجبت: "بتقديري أن من سيقاتل أولاً هم الأوروأوت، والمانغوت"، ولقد كانت هذه هي كلماتي، ولذلك صدرت الأوامر إلى قوات جيرغين نفسه بالمضي نحو الأمام كطليعة، وجرى تعيين أجيق سيرون قائد التومين توبيغين ليدعم جيرغين، كما وجرى تعيين أولون دونغقاييت ليدعم أيضاً التومين توبيغين، وجرى تعيين قوري سيليمون تايسي قائد الحرس الشخصي للأونغ خان والمؤلف من ألف رجل ليتولى دعم أولون دونغقاييت، ومن أجل مساندته، هم قرروا وجوب قيام الكتلة الأساسية من جيش الأونغ خان، بالاستعداد والجاهزية القتالية"، كما وأخبرني الأونغ خان وقال لي: "أيها الأخ الأصغر جاموقا، أنت عليك تعبئة هذه القوات التابعة لي، وأن تضعها جاهزة للقتال، وهو حين قال هذا،

هو اعتمد عليّ، ومن هذا أدركت أنه ليس صديقاً كما ينبغي، فكيف يمكنني أنا أن أتولى تعبئة قواته من أجله، وأن أجعلها جاهزة للقتال؟، فأنا لم أكن قط قادراً على القتال ضد صديقي بالميثاق، والأونغ خان هو أقل مقدرة مني، أيها الصديق بالميثاق لا تكن خائفاً، ولكن كن محترساً"، فلقد كانت هذه هي الرسالة التي بعث بها.

وعندما تسلم جنكيزخان هذه الأخبار قال: "دعنا يا عم جورجيدي Jurčedei مقدم الأوروأوت Uru'ut أن تقوم أنت بتشكيل الطليعة، فما الذي تقوله؟"، وقبل أن يتفوه جورجيدي بكلمة قال قوييلدار سيجين Quyildar Sečen مقدم المانغقوت Mangqut ، "أنا سوف أقاتل أمام صديقي بالميثاق، وأما بالنسبة لكيف ستتم العناية بأبنائي اليتامى، فإن صديقي بالميثاق سوف يقرر"، وعند ذلك قال جورجيدي: "دعونا نحن :أوروأوت، ومانغقوت نقاتل كطليعة أمام جنكيزخان".

وما أن قال جورجيدي، وقوييلدار ذلك، حتى وضعا نفسيهما بالجاهزية القتالية أمام جنكيزخان مع قوات " الأوروأوت، والمانغقوت "، وما أن وقفا هكذا حتى وصل العدو مع الجيرغين كطليعة، وعندما تقدم العدو نحو الأمام اندفع الأوروأوت والمانغقوت ضدهم، وتغلبوا على الجيرغين وقهروهم تماماً، وفي أثناء زحفهم، وسحقهم لهم، حمل أجيق سيرون Ačiq Serun مقدم تومين توبيغين، داعماً للجيرغين، وفي أثناء القتال طعن أجيق سيرون قوييلدار، وأطاح به ورماه من على ظهر حصانه، وانعطف المانغقوت، ووقفوا حراساً لقوييلدار.

ثم مضى جورجيدي في متابعة هجومه مع قواته من الأوروأوت، وتغلب على التومين توبيغين، وفي أثناء تقدمه وهو يسحقهم، ويسوقهم طارداً إياهم نحو الخلف، حمل الأولون دونغقاييت ضده، ولكن جورجيدي

وقال بوروقول: "لقد تحول الغبار الذي ارتفع بوساطة العدو نحو الاتجاه المعاكس، وتوجه نحو هولآن بورقات، على الطرف الجنوبي لمرتفعات ماأو، وبعدما ارتفع الغبار مشكلاً امتداداً طويلاً، انتقل هذا الغبار متحركاً بالاتجاه المعاكس".

ولدى سماع جنكيز كلام بوروقول هذا قال: "لو قدم يتعقبنا لقاتلناه، وما دمنا نشهد الآن فرار العدو، فلسوف نعيد تجميع أنفسنا وقواتنا، والقتال فيما بعد"، وبعدما قال هذا، غادر متحركاً نحو الأعلى على امتداد مجرى نهر أولقوي سيلوغيلجيت Ulqui Silugelčit ووصل إلى دالان نيمورغيس Dalan Nemurges.

ثم جاء من الخلف قادآن دالدورقان Qada'an Daldurqan ، ملتحقاً بجنكيزخان، مخلفاً من بعده زوجته وأولاده، وعندما وصل قادآن دالدورقان روى كلام الأونغ خان قائلاً أنه: "عندما أصيب سينغوم بن الأونغ خان في إحدى وجنتيه الحمراوتين المشرقتين بسهم يوجوماق Učumaq ، وسقط من على ظهر حصانه، استدار الكيريت على أعقابهم، ووقفوا يتولون حراسته، ووقتها قال الأونغ خان:

عندما كان من الأفضل

عدم إثارته وتحريكه

نحن أثرناه

وعندما كان الأفضل

عدم إثارته وإغضابه

نحن أثرناه هكذا، يا للأسف

نحن كنا السبب في تسديد

ونفاذ مسمار في وجنة ابني

ولكن طالما وصلنا في الوقت المناسب لإنقاذ حياة ابني، دعونا نندفع معاً ضدهم"، وهو عندما تفوه هكذا قال له أجيق سيرون Aćiq Sirun : "كلا أيها الخان، ثم أيها الخان، كنا صلينا وتوسلنا من أجل أن يأتيك ولد، وعملنا أعمالاً سحرية للتجرد من الثياب، وتفوهنا بصلاة أبوي بابوي Abui Babui ، ودعونا وتوسلنا من أجله، وهكذا كان في النهاية أن ولد ابنك سينغوم، فدعنا نقوم بالإعتناء به، فمعظم المغول هم على جانبنا، مع جاموقا، ومع ألتان، وقوجار Qučar ، وأما بالنسبة للمغول الذين ثاروا ضدنا، وللذين بقيوا مع تيموجين، إلى أين يمكنهم أن يذهبوا؟، وهم أولئك القوم الذين:

لديهم حصان واحد كمطية،

وشجرة واحدة يستظلون تحتها.

وإنهم إذا لم يقدموا طوعاً ومن قبل أنفسهم، ويلتحقوا بنا، سوف نخرج ضدهم، ونحزمهم مثل حزم روث الخيول الجافة، ونضعهم في مئزر ونجلبهم إلى هنا، وعقب الأونغ خان على كلمات أجيق سيرون هذه قائلاً: "صح، وإذا كان الأمر كما تقول أنا أخشى أن يصاب ابني بالإرهاق، اعتنوا بابني، ولا تحركوه ولا تهزوه أثناء حملكم له، وما أن فرغ من قوله هذا حتى انسحب من ميدان المعركة، وعاد إلى البيت"، وعلى هذه الصورة كان قاداآن دالدورقان قد تكلم.

ثم غادر جنكيزخان منطقة دالان نيمورغيس، وساير نزولاً مجرى نهر قالقا Qalqa ، وأجرى تعداداً لقواته، وعندما اكتمل تعدادهم تبين أنه

كان هناك ألفين وستمائة رجل، وتحرك جنكيز مع ألف وثلاثمائة رجل، وسار على امتداد الضفة الغربية لنهر قالقا، في حين تحرك الأوروأوت، والمانغوقوت مع ألف وثلاثمائة رجل على امتداد الضفة الشرقية لنهر القالقا.

وهم تحركوا وفق الطريقة التالية، حيث كانوا يصطادون أثناء ترحالهم من أجل الحصول على إمدادات الطعام، وكان عندما قام قوبيلدار- الذي لم يكن جرحه قد التأم بعد- بالاندفاع وراء الطريدة، وهو فعل ذلك من دون الإصغاء إلى تحذير جنكيزخان، فانفتح جرحه من جديد ومات، وعند ذلك دفنه جنكيزخان في كيلتيغي قادا Keltegei Qada ، عند منعطف نهر القالقا، عند شعب أور Or الجبلي.

وعرف جنكيز أنه حيث يصب نهر قالقاً في بحيرة بويور Buyur ، كان يقيم أونغيرات Onggirat زعيم قبيلة تيرغي إيميل Terge Emel ومعه آخرين، فبعث جورجيدي Jurčedei إليهم مع عساكر الأورأوت، وعندما بعث بهم، وقبل أن يغادروا قال: "بأن الأونغيرات، هم من الأيام الخالية:

بفضل بهاء وحسن منظر

حفيدتاتهم

وبفضل جمال بناتهم

وقتها من المؤكد أنهم سوف يخضعون لنا، وإذا قالوا بأنهم سوف يقفون ضدنا، فسوف نقاتلهم".

وبسبب أنه بعث بهذه الرسالة، خضع الأونغيرات لجورجيدي، ولأنهم خضعوا سلمياً، لم يلمس جنكيزخان أي شيء مما كان عائداً إليهم.

ثم إنه بعدما حصل على خضوع الأونغيرات، غادر جنكيزخان من هناك ونصب معسكره إلى الشرق من جدول تونغي Tungge ، وأعطى إلى أرقاي قاسار Arqai Qasar ، وسوغيغي جيأون Sugegei Je'un رسالة شفوية لتسليمها إلى الأونغ خان حيث قال لهما: "أخبرا أبي الخان بأننا نصبنا مخيماً إلى الشرق من جدول تونغي، حيث الأعشاب جيدة، وحصلت خيولنا على القوة"، ثم استطرد يقول: "أبتاه الخان، ما الذي أنا اقترفته، حتى حاولت أن تروعني؟، وإذا كان لابد لك من أن تروعني، لماذا لم تروعني على الأقل وفق طريقة، فيها تدع أولادك المساكين وكناتك ينامون وفق ما يرضي قلوبهم ويشبعها؟

ينزلون الأرائك التي يجلسون عليها
وفقاً لمراتبهم
ويبددون الدخان المنبعث نحو الأعلى
من خيامهم
لماذا أخفتهم، وأرعبتهم إلى هذه الدرجة؟ أبتاه الخان
هل جرى تحريضك
من قبل إنسان ما واقفاً إلى جانبك؟
هل أثرت ودفعت
من قبل واحد ما وقف فيما بيننا؟
أبتاه الخان، ما الذي اتفقنا عليه، نحن الاثنين؟، أولم يقل أحدنا للآخر في بولداأوت Bolda'ut التابعة لجورقال قون Jorqal Qun :
إنه إذا ما أقدم ثعبان بأنياب سامة
على إثارة عدم وفاق بيننا

دعنا لا ننهار أمام إثارته
بالتوضيح فقط فماً لفم
ووقتها سوف يصدق أحدنا الآخر
أولم نتفق على هذا؟ والآن يا أبي الخان، عندما تخليت عني وهجرتني، هل أوضحت لي فماً لفم؟.
وإنه إذا ما حاول ثعبان بأنياب مسممة
أن ينشر الافتراء والكذب حولنا
دعونا لا ننصاع إلى افترائه وكذبه
بوساطة التوضيح والشرح وجهاً لوجه
فوقتها سوف يصدق أحدنا الآخر
أولم نتفق على هذا" والآن يا أبتاه الخان، عندما انفصلت عني، هل أوضحت وشرحت الأمر وجهاً لوجه؟ يا أبتي الخان، إنه حتى لو كنت أنا وأتباعي عددنا قليل، أنا لم أعطك سبباً حتى تسعى للحصول على واحد أفضل، وإذا ما انكسر واحد من ذراعي عربة نقل، لا يستطيع الثور جرها بوساطة الذراع الثاني، ومثل هذا، أولم أكن أنا أيضاً ذراعك الثاني؟ وإنه إذا ما تحطم دولاب من دولابي عربة، لا يمكن لها التحرك بدولاب واحد، ومثل هذا أيضاً، أولم أكن أنا دولابك الآخر، وإذا ما أردنا أن نتحدث عن الأيام الخالية، نجد أنه بعد أبيك قورجاقوس بويبروق، أنت صرت الخان لأنك كنت الابن الأكبر سناً بين أولاده الأربعين، وعندما صرت خاناً، أنت قتلت أخويك الأصغر: تاي تيمور تايسي، وبوقاتيمور، وعندما كان أخوك الأصغر إيركي قارا، على وشك أن يقتل أيضاً، هو نجا منقذاً لحياته ومحافظاً عليها، ولذلك خضع إلى اينانجا بيلغي خان النيمان، ولأنك غدوت القاتل لإخوتك الأصغر، تحرك عمك- أخو أبوك- غورخان ضدك،

وعندما انقض عليك، أنت أنقذت حياتك بالفرار مع مائة رجل، وأنت نجوت مسايراً مجرى نهر سيليغي هبوطاً، ثم تسللت خلال القاراأون غورغي، ثم عندما أصبحت هناك أعطيت ابنتك هوجاأور يوجين Huja'ur Ujin زوجة إلى توقترآ مقدم المركيت لكي ترضيه، وبعدما خرجت القاراأون غورغي قدمت إلى عند والدي ييسوغي خان، وهناك قلت له آنذاك: أنقذ لي شعبي، واستردهم لي من عمي غورخان"، ولالتجائك ودخولك على أبي وفق تلك الطريقة، أخذ أبي ييسوغي خان معه قونان Qunan وباقاجي Baqaji من قبيلة التايجيئوت قائلاً: "أنا سوف أنقذ شعبك وأردهم إليك"، فكان أن عبأ قواته وانطلق، وقد طارد غورخان الذي كان في قوربان تيليسوت Qurban Telesut ، وأرسل عشرين رجلاً أو ثلاثين من أتباعه نحو قاسين Qasin ، وأنقذ أتباعك وأرجعهم إليك، ومن هناك قدمت إلى الغابة السوداء بوساطة نهر توأولا Ta'ula ، وأصبحت أنت يا أبي الخان صديقاً بالميثاق مع ييسوغي خان، وعند ذلك قلت يا أبي أونغ خان معبّراً عن امتنانك: "إنه بالنسبة لشكري على معروفك هذا وعملك الجيد نحوي، أنا سوف أسدد لك معروفك حتى أولاد أولادك، والآن لندع فقط حماية السماء في الأعلى والأرض تقرر كيف سددت، ووفق أي معيار، وأنت كنت الذي تفوهت هكذا، وكنت ممتناً وشاكراً.

ومن بعد هذا طلب ايركي قارا Erke Qara عساكر من اينانجا بيلغي Inanya Bilge خان المركيت، وتحرك ضدك، وعندما انقض عليك، أنت أنقذت حياتك بالتخلي عن شعبك والفرار مع عدد قليل من الرجال، وذهبت إلى غور خان القارا كيدات Qara Kidat على نهر جوي Čui في منطقة سارتا أول Sarta'ul ، وفي أقل من عام أنت تمردت ضد الغورخان، وتركته وغادرت من هناك، وأصبحت تعيش في وسط مصاعب قاسية،

أثناء تجوالك خلال منطقة يياوت Uiyat وتانغاوت وأطعمت نفسك وغذيتها بحليب خمس عنزات، بكم أفواه جراذيم، وتغذيت أيضاً بامتصاصك دماء جملك، وقدمت إلى عندي مع فقط حصان أعمى أبيض مائل إلى الإصفرار، مع ذيل أسود، وعرف أسود، وعندما علمت بأن أبي الخان قد وصل، وهو في تلك الضائقة، تذكرت أنك وأبي ييسوغي خان، قد أعلنتما عن نفسيكما صديقين بالميثاق، فبعثت تاقاي، وسوكيغي كسفراء لاستقبالك، وعلاوة على ذلك أنا ذهبت من بورغي ايسكار بمنت Burgi Escar Pement على نهر كيلورين، ذهبت شخصياً لاستقبالك، وقد التقينا عند بحيرة غوسياؤر Guse'ur، وبما أنك وصلت وأنت تعاني من ضائقة شديدة، فرضت ضرائب وأعطيتها إليك، وبسبب إعلانك السالف كأخ بالميثاق مع أبي، أعلنا نحن الإثنين عن نفسينا أباً وابناً في الغابة السوداء قرب توأولا، أوليس ذلك السبب في فعلي ذلك؟

وفي ذلك الشتاء أنا جلبتك إلى معسكري، واعتنيت بك، وبعد انتهاء الشتاء وعبور الصيف، ركبت في الخريف، وسقت ضد توقوتوآ بيكي مقدم المركيت، وأنا تحاربت معه في منطقة موروجي سيأول قرب شعب قاديقليق Qadiqliq الجبلي، وطاردت توقوتوآ بيكي باتجاه أرض بارقوجين المنخفضة، ونهبت المركيت، واستوليت على كثير من قطعان الخيول والخيم الملوكية، وعلى مخازن حبوبهم، وأعطيت الجميع إليك، يا أبي الخان، وأنا لم أسمح لجوعك أن يستمر حتى الظهر، ولم أسمح باستمرار ضعفك حتى منتصف الشهر.

ثم إننا طاردنا بويبروق خان القوجوغور، وأرغمناه على عبور الألتاي من سوقوق أوسون Soqoq Usun عبر الأولوق تاق Uluq Taq ، ومضينا

نزولاً على امتداد نهر أورونغو Urunggu ، ومحقناه عند بحيرة كيجيل باس Kičil Bas .

وفي أثناء عودتنا من ذلك المكان صف كوكسأو سابراق Kokse'ü Sabraq النيماني قواته وعبأها، عند نقطة لقاء النهرين في بابيداراق Bayidaraq، وكان جاهزا للقتال، ولكن مع حلول المساء قلنا: "نحن سوف نقاتل في الصباح الباكر"، وأمضينا الليل على تعبئة وجاهزية قتالية، ثم إنك يا أبي الخان أشعلت النيران في المكان الذي كنت واقفاً فيه، وفي الليل تحركت وسرت على امتداد مجرى نهر قاراسيأول، وعندما نظرت وبحثت في الصباح المبكر من اليوم التالي، لم تعد موجوداً في أي مكان، وقد ارتحلت بعيداً، فقلت: من المؤكد أنهم يعاملوننا مثل قرابين للحرق لدى التضحية للموتى، فتحركت أنا أيضاً، فعبرت النهر عند نقطة التقاء النهرين في ايدر ألتاي، ثم رجعت ونصبت معسكري في سهل ساآراي.

ثم إن كوكسيأو سابراق طاردك، وأسر زوجة وأتباع سينغوم، أسرهم جميعاً، واستولى أيضاً على نصف أتباعك، والسلع والأشياء العائدة إليك، والتي كانت موجودة يا أبي الخان عند ممر تيليغيتو، وكان قوتو، وجيلاأون، ابنا توقتوآ المركيتي وأتباعهما معك، ولكن في وقت الاشتباك تخليا عنك، وغادرا، وارتحلا إلى الأراضي المنخفضة لبارقوجين للالتحاق بأبيهما، ثم قمت يا أبي الخان، فبعثت رسالة إليّ قائلاً: لقد سلبت من شعبي من قبل كوكسيأوت سابراق، ابعث لي يا بني" فرسانك الأربعة" ومن دون أن أفكر بالطريقة التي أنت تتصرف بها، أنا بعثت إليك بوأورجو، وموقالي، وبوروقول، وجيلاأون بأتور، وهؤلاء هم "فرساني الأربعة"، ومن ثم عبأت عساكري، وقبل وصول "فرساني الأربعة"، اشتبك سينغوم

في معركة مع كوكسيأو سابراق، عند هولاآن قوت، وأصيب حصانه من طرفه، وهو نفسه كاد أن يقع بالأسر، وفي تلك اللحظة وصل "فرساني الأربعة"، وأنقذوا سينغوم، واستردوا أيضاً زوجته مع شعبه، كلهم بلا استثناء، وأعادوهم إليه، وبناء عليه قلت يا أبي الخان شاكراً ومعترفاً بالمعروف: لقد أنقذ ابني تيموجين بإرساله "فرسانه الأربعة" شعبي المسلوب إلي.

والآن يا أبي الخان، صدوراً عن أي شكوى أو إساءه أنت تلومني؟ ولكي تصف هذه الشكوى ابعث إلي رسلك، وعندما سترسلهم، ابعث قولباري قوري Qulbari Quri ، وأيتورغين، وإذا لم ترسلهما معاً، أرسل إليّ على الأقل الأخير".

ولدى سماع الأونغ خان هذه الكلمات قال: "آه، كم أنا شخص آثم

بالتخلي عن ابني وهجره.

أنا تخليت عن الوفاء والأخلاق

وبوساطة الابتعاد عنه والتخلي

أنا ابتعدت عن واجبي وتخليت عنه ".

وقال الأونغ خان وهو يشعر بالألم في قلبه: "والآن إذا ما فكرت بالشر عندما أرى ابني، ليسفك دمي في مثل هذا"، وأدى القسم، وطعن رأس إصبعه الصغير- الخنصر- بنصل سهمه، وترك الدم يسيل، وصبه في حق صغير مصنوع من لحاء الشجر، وبعث به مع الرسول قائلاً له: "أعط هذا إلى ابني".

وبعث جنكيزخان بالرسالة الشفوية التالية إلى صديقه بالميثاق جاموقا: "بسبب أنك لا تستطيع أن تتحمل رؤيتي، لقد أحدثت صدعاً بين أبي الخان

وأنا، وفي الماضي، كان الذي يستيقظ أولاً بيننا يمكنه أن يشرب من الكأس الأزرق العائد إلى أبي الخان، وبما أنني كنت أول من يستيقظ، ويشرب منه كنت حسوداً لي ويمكنك الآن أن تشرب من كأس أبي الأزرق، ولكن كم يمكنك أن تستهلك أكثر؟".

وبعث جنكيزخان الرسالة الشفوية التالية إلى ألتان، وقوجار: "عندما رفضتماني أنتما الاثنين، هل قلتما بأنكما سوف تتركاني، وذلك بعد ما تشاورتما فقط بينكما نفسيكما؟ يا قوجار، عندما أنا قلت، بأنه من بيننا جميعاً، أنت بحكم كونك الابن لنيكون تايسي، ينبغي أن تصبح خاناً، أنت رفضت، وعندما قلت: يا التان، بأنك أنت ينبغي أن تصبح الخان، وأن تحكمنا مثلما كان أبوك قوتولا خان يحكمنا، أنت رفضت أيضاً، وعندما قلت: أنتما يا ساجا Sača ، ويا تايجو Taiču كونا خانين، لأنهما كانا ابني بارتان باأتور، ولأنهما كانا من سلالة نبيلة، أنا لم أستطع الحصول على موافقتهما، وبسبب حثي لك بأن تصبح خان كان من دون تأثير، عندما أخبرت من قبلكم بأن أكون الخان، أنا حكمت الناس، وهل أصبحت خاناً عندما كنت أنا كطليعة، وقد انطلقت بسرعة خلف عدد كبير من الأعداء، ثم إنه بحق حماية السماء، ألم يحدث أثناء نهب شعب العدو:

فتيات وسيدات بوجنات جميلة
وخيول مع مجموعات جيدة، من أجلكم
أنا كنت سأجلب
عندما أمرت بالمضي قدماً، وأن أطوق
حيوانات برية من أجل الصيد، من أجلكم
ألم أسق الحيوانات من الشعاب

إلى أن احتشدت جموعهم مع بعضها

فمن أجلكم أنا كنت سأسوق الحيوانات خارج

الضفاف المنزلقة

إلى أن تزدحم أرجلهم مع بعضها

فمن أجلكم أنا كنت سأسوق حيوانات

السهول

إلى أن تنضغط أحشاؤهم مع بعضها.

وكونوا رفاقاً جيدين لأبي الخان، لأنني أخشى أن الناس يمكن أن يقولوا أنكم صرتم تملون بسرعة من أصدقاؤكم، لا تدعوهم يقولون بأن إنجازاتكم كان مردها فقط لتأييدي لكم، وأنكم من دوني لا خير فيكم على الإطلاق، ولا تتركوا أحداً يستقر عند منابع الأنهر الثلاثة"، فهذه كانت الرسالة التي بعث بها.

وبعث جنكيزخان الرسالة الشفوية التالية إلى الأخ الأصغر تواوريل: "إن السبب من أجل دعوتك أيها- الأخ الأصغر- هو هذا: حدث مرة فيما مضى أن أوقدا بوأول Oqda Bo'ol جلب كأسير من قبل تومبيناي Tumbinai ، وجاراقاي لينغقو Čaraqai Lingqu وكان أوقدا بوأول ابن سوبيغي بوأول؛ وكان سوبيغي بوأول بن كوكوجو كيرساآن Kokoču Kirsa'an، وكان كوكوجو كيرساآن بن ييغي قونغتاقار Yegei Qongtaqar ، فأنت يا تواوريل بن ييغي قونغتاقار، وأنت دوماً تمدح الأونغ خان قائلاً: "أنا سوف أعطيك شعبك"، فأي شعب، وشعب من؟ فمن المؤكد أن ألتان وقوجار لن يدعا أي واحد يحكم شعبي، والسبب في دعوتك "أيها الأخ الأصغر" هو أنك:

عبد العتبة العائدة

لجد جدي الأعلى العظيم

العبد الشخصي لباب

لجدي العظيم

إن هذه هي رسالتي إليك".

وبعث جنكيزخان أيضاً بالرسالة الشفوية التالية إلى صديقه بالميثاق سينغوم: "مع أنني كنت ابناً لأبانا، ولدت له وأنا مرتدٍ لثيابي، وأنت ولدت له عارياً، لقد رعانا أبانا الخان، واهتم بنا سواء، ولكن أنت، أيها الصديق بالميثاق سينغوم، طردتني وأبعدتني، لأنك أنت كنت تغار مني وتخشى من إمكانية الوقوف بينك وبين أبانا، والآن لا تسبب الأسى لأبانا الخان، ولا تؤلم قلبه، وفي كل صباح وفي كل مساء إذا ما دخلت عليه أو خرجت من عنده، واسه دوماً وطمئن قلبه، ولا تزعج أبانا الخان، ولا تؤلم قلبه، بالقول – من دون التنازل عن نواياك القديمة – : إنه مادام أبانا الخان ما يزال حياً، إنك لن تصبح خاناً"، وأرسل هو أيضاً هذه الرسالة: "أيها الصديق بالميثاق سينغوم ابعث إليّ برسلك، وعندما سترسلهم، أرسل إليّ بيلغي بيكي، وتودواين، وإذا لم ترسلهما معاً، فأرسل الأخير على الأقل، وعندما سترسلون رسلاً إلي، ليرسل الأب الخان رسولين إليّ، وأنت يا صديقي بالميثاق سينغوم أرسل أيضاً رسولين، وأنت أيها الصديق بالميثاق جاموقا، أرسل أيضاً رسولين، ويا ألتان، أرسل أنت أيضاً رسولين، وأنت يا قوجار أرسل أيضاً رسولين، وأنت أيضاً يا أجيق سيرون، أرسل رسولين إليّ، وأنت أيضاً يا قاجيأون أرسل رسولين"، وهو تدبر إيصال هذه الرسائل بكلام الفم خلال أرقاي قاسار، وسوغيغي جيأون، وبوساطتهما.

وعندما نقلت هذه الرسائل وفق هذه الطريقة، قال سينغوم: "في أي وقت على الإطلاق هو قال: أبانا الخان؟ أوليس هو بالحري الذي اعتاد على أن يقول: القاتل العجوز؟، ثم إنه في أي وقت على الإطلاق دعاني بالصديق بالميثاق؟ أوليس هو بالحري الذي اعتاد على أن يقول بأنني مثل توقتوآ الشامان أرتدي دوماً ذيل شاة تركمانية (إسلامية) بشكل مضحك؟ فأنا أفهم الخطة خلف هذا الكلام الصادر عنه، إنه الكلام الذي يقود إلى القتال، قوما يا بيلغي بيكي، ويا تودواين، وارفعا راية الحرب، وسمّنا خيولنا، ليس هناك وقت للتردد".

وهكذا عاد أرقاي قاسار من عند أونغ خان، ولكن بسبب أن زوجة سوغيغي جيأون وأولاده كانوا مع توأوريل، لم يمتلك سوغيغي الشجاعة ليذهب مع أرقاي، وبقي هناك مقيماً، وعندما وصل أرقاي، روى لجنكيزخان كلمات سينغوم تلك.

وعند ذلك غادر جنكيزخان، ونصب معسكراً عند بحيرة بالجونا، وعندما كان على وشك نصب المعسكر، التقى مباشرة هناك بالقورولاس أتباع جوأوس جاقان، وخضع هؤلاء القورولاس له من دون قتال.

وجاء حسن المسلم من منطقة ألاقوس ديغيت قوري Alaqus Digit Quri من قبيلة الأونغوت، وكان معه جملاً أبيض ويسوق ألف كبش مخصي نزولاً على امتداد نهر إيرغوني Ergune ، وكان هدفه شراء جلود الدلق والسنجاب، ولدى اقترابه ليسقي كباشه من ماء بحيرة بالجونا التقى بجنكيزخان.

وكان جنكيزخان يسقي حيواناته أيضاً من بحيرة بالجونا نفسها، ووقتها كان قاسار يترك زوجته، وأولاده الثلاثة: ييغو Yegu، وييسوغي، وتوقو Tuqu ، خلفه مع الأونغ خان، وهو غادر مع رفاقه، وكانوا قلة من حيث

العدد، وكانوا مجردين من كل شيء إلا أجسادهم، وكان يقول لدى مغادرته: "أنا سوف ألتحق بأخي الأكبر سناً مني، وهو يبحث عن جنكيزخان، وقد تسلق شعاب قرا'ون جيدون Čara'un Jidun ، ولكنه لم يعثر عليه هناك، ولأنه كان في ضائقة شديدة هو أكل الجلود والأوتار، ومضى يبحث، وأخيراً التحق بجنكيزخان عند بحيرة بالجونا.

واستقبل جنكيزخان قاسار، وابتهج، واتفقا على أن يرسلا رسلاً إلى أونغ خان وبعث جنكيزخان رسالة بوساطة قاليأودار Qali'udar من قبيلة الجيأوريت Je'uret وجاقورقان Gaqurqan من قبيلة الأوريانغقاي Uriangqai، وقال جنكيزخان لقاليأودار، وجاقورقان: "أخبرا أبي الخان بأن هذه الكلمات هن كلمات قاسار، اللائي قالهن:

أنا فتشت عن أخي الأكبر سناً
لكن لم أعثر على أثر منه
أنا بحثت عن آثار ترحاله
ولكن لم أستطع أن أجد أثره
أنا ناديته، ولكن صوتي
هو لم يسمعه
وأنا الآن أتمدد محدقاً بالنجوم
متخذاً من كتلة من التراب وسادة لي

إن زوجتي وأولادي هم معك، يا أبي الخان، وإذا تحقق أملي، وحصلت من عندك على إنسان ما يمكن أن يكون رهينة، أنا سوف أعود إلى أبي الخان"، وقال جنكيزخان لهما: "أخبراه بأن قاسار قد أرسل هذه الرسالة"، وقال هو أيضاً لهما: " نحن سوف نسير عن قرب بعدكما،

ولسوف نلتقي في أرقال غيوغي Arqal Geugi على نهر كيلورين Keluren، فإلى هناك عليكما القدوم".

وبعدما اتفق جنكيزخان معهما على وقت ومكان الالتقاء، بعث على الفور: قالياودار، وجاقورقان للقيام بمهمتها، وبعث أمامه جورجيذي، وأرقاي للاستطلاع، وانطلق على الفور من منطقة بحيرة بالجونا ومعه جيشه، وهم ارتحلوا حتى وصلوا إلى أرقال غيوغي على نهر كيلورين.

ووصل قالياودار، وجاقورقان إلى أونغ خان، وأعطياه الرسالة الشفوية التي أرسلت من هنا، قائلين بأنها كانت رسالة قاسار، ونصب أونغ خان خيمته الذهبية، المصنوعة من قماش صوفي رقيق، وكان يحتفل، ومن دون أن يرتاب بأي شيء بشأن كلمات: قالياودار، وجاقورقان، قال: "إذا كان الأمر هو ذا، ليعد قاسار"، ثم قال: "أنا سوف أعطي إيتورغين Iturgen كرهينة" وبعث به معهما.

وفيما كانوا يسيرون، ولدى اقترابهم من المكان المحدد في أرقال غيوغي، شاهد الرسول إيتورغين علامات وجود حشود عن بعد، فأدار ظهره وهرب، ولأن حصان قالياودار كان أسرع، فقد حاذاه، لكنه لم يتجرأ على المغامرة بإمساكه، وكان يذهب الآن أمامه، والآن خلفه، وبذلك تابع إعاقة طريقه، وكان حصان جاقورقان أبطأ، وعلى مسافة رمية سهم من الخلف أصاب السرج الذهبي للحصان الأسود، الذي كان يمتطيه إيتورغين، وجاءت الإصابة على كفل ذلك الحصان، ولذلك كبا الحصان على جنبه، فأخذ قالياودار، وجاقورقان إيتورغين أسيراً، وجلباه إلى جنكيزخان، ولم يتكلم جنكيزخان إليه، بل قال: "خذاه إلى قاسار، وليقم باتخاذ القرار حول كيف سيتعامل معه"، وأخذاه إلى قاسار، الذي قام من دون أن يتفوه بكلمة إليه، بقتله وتقطيعه، وإلقاء جسده هنا وهناك.

وقال فاليأودار، وجاقورقان لجنكيزخان: " إن الأونغ خان غير محترس، وهو قد نصب خيمته الذهبية، وهو الآن يحتفل، دعنا الآن نتحرك بسرعة، ونسوق نحو الأمام من هنا، ولنسافر خلال الليل، ودعنا نهاجمه فجأة ونطوقه ".

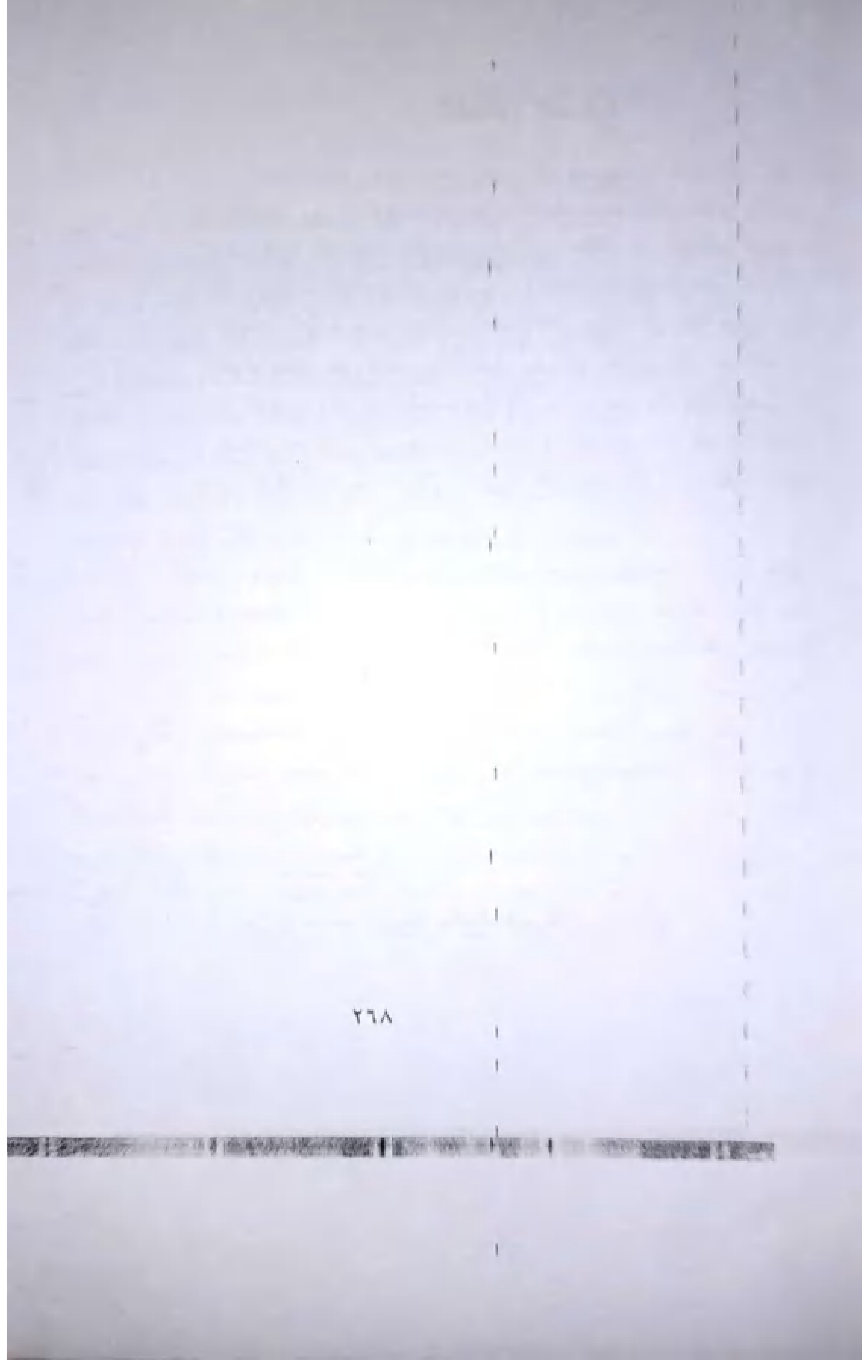
ووافق جنكيزخان على هذه الكلمات، وبعث جورجيدي، وأرقاي أمامه للاستطلاع، وسافروا أثناء الليل، ووصلوا إلى معسكر أونغ خان، الذي كان عند ممر جير جورغي Jer Gorge في مرتفعات جيجباير Jeje'er، وطوقوه.

وهم تحاربوا لمدة ثلاث ليال، ولكن رجالنا وقفوا صامدين، مطوقين للكيريت، الذين لحقهم الإنهاك في اليوم الثالث فاستسلموا، وهرب أونغ خان وسينغوم ونجوا أثناء الليل، ولكن كيف فعلا ذلك، فأمر غير معروف، وكان الذي قاتل أطول من الآخرين هو قاداق بالأتور مقدم الجيرغين، وعندما جاء للاستسلام قال قاداق باأتور: "نحن قاتلنا لمدة ثلاث ليال وثلاثة أيام، وأنا قلت لنفسي: كيف يمكن لي التخلي عن مولاي الشرعي، ولأنني لم أكن قادراً على تركه والابتعاد عنه، ناضلت وتابعت القتال، إلى حد أنه استطاع أن ينجو وينقذ حياته، والآن إذا أرادوا قتلي وموتي، فسوف أموت، ولكن إذا ما منحني جنكيزخان الحظوة، فلسوف أخدمه".

ووافق جنكيزخان على كلام قاداق باأتور قائلاً: "ليس عملاً صحيحاً مقاتلة رجل يقول أنه كان غير قادر على التخلي عن مولاه الشرعي، وتركه ينجو هارباً، وأنقذ حياته، إنه رجل جدير بأن يكون رفيقاً لنا، وأن نرعاه ونكرمه، ولا نسمح بقتله، وبسبب أن قوييلدار Quyildar كان قد فقد حياته، يتوجب على قاداق باأتور ومائة من الجيرغين أن يخدموا زوجه

قوبيلدار وأولاده، وإذا ما ولد أولاد لهم ينبغي تحويلهم إلى خدمة سلالة قوبيلدار إلى أولاد أولاده، وإذا ما ولدت بنات لهم، ينبغي على آبائهم عدم تزويجهم وفقاً لرغباتهم، لأن بناتهم ينبغي أن يكن خادمات ووصيفات لزوجة قوبيلدار وأولاده"، وهو أعطى هذا الأمر تكريماً لقاداق بأاتور.

وكان بسبب أن قوبيلدار سيجين كان أول من فتح فمه وتكلم أولاً حتى قبل جورجيدي، كرّمه جنكيزخان بالأمر التالي: "بناء على خدمات قوبيلدار، سوف تتسلم سلالة قوبيلدار وصولاً إلى أبناء أبنائه الهبة الممنوحة إلى الأيتام".



الفصل السابع

وهكذا سحق جنكيز خان شعب الكيريت، وجرّد أفراده مما كانوا يمتلكونه، ووزعهم وفرقهم في جميع الجهات، وهو أعطى تاقاي باآرتور مقدم قبيلة السولدوس مائة من الجيرغين كمكافأة على خدماته، وعلاوة على ذلك أمر جنكيز خان بما يلي: بما أنه كان لدى جاقا غامبو – الأخ الأصغر للأونغ خان – ابنتين، كانت الأكبر بينهما هي إيباقا بيكي، وقد أخذها جنكيز خان لنفسه، أما الأصغر وهي سورقاقتاني بيكي، فقد أعطاها إلى تولوي، وكان لهذا السبب يقول بأن جاقا غامبو، والرعايا الشخصيين التابعين له، ينبغي أن يبقوا مع بعضهم، وأن يعامل بمثابة العريش الثاني للعربة الخاصة به، وقد أظهر الحظوة نحو جاقا غامبو، ولم ينتزع شعبه منه.

وأصدر جنكيز خان الأمر التالي أيضاً: " إنه بسبب خدمة باداي وكيسيليق، فإنهما سوف يمتلكان الخيمة الذهبية للأونغ خان تماماً كما هي، مع الطسوت الذهبية، والأوعية الذهبية، وكذلك الناس الذين يتولون رعايتهم وحفظهم، والأونغقوجيت Ongqojit كيريت، كحرس شخصي لهما، ولتتمتعا أنتما يا باداي، ويا كيسيليق بامتياز أن تكونا حرين، أنتما وأولاد أولادكما، وأنه مسموح لكما بحمل الكنانات، وأن تشربا خمرة الإحتفالات:

وفي أثناء المطاردة السريعة لكثير من الأعداء،

إذا حصلتما على غنائم،

إن ما ستحصلان عليه ستأخذانه لنفسيكما.

وفي أثناء حملات الصيد

إذا ذبحتما حيوانات متوحشة

فإن ما ستذبحانه سوف تأخذانه لنفسيكما".

وعلاوة على ذلك هو أمر قائلاً: "إنه بسبب الخدمة الحيوية التي أديت من قبل باداي، وكيشليق، وأنني تحت حماية السماء الخالدة، سحقت شعب الكيريت، وحصلت في الحقيقة على العرش العالي، إنه لذلك، ينبغي في المستقبل على أبناء أبنائي، الذين سوف يشغلون هذا العرش العائد إلي بالتناوب، أن يتذكروا هذين اللذان أديا مثل هذه الخدمة" ، وهو هكذا أمر.

وعندما أخضع المغول شعب الكيريت، وزعوا هذا الشعب بين بعضهم بعضاً، ولذلك ما من أحد أخذ حصة ناقصة، وهم وزعوا التومين التوبيابن، وكلهم أخذوا منهم إلى أصبح لديهم الكثير، وهم جردوا الأولون دونغقاييت من مقتنياتهم وجردوهم منها في أقل من يوم، وأما بالنسبة للجيرغين الشجعان الذين اعتادوا على تجريد الأعداء من الملابس الملطخة بالدم ومن مقتنياتهم، فإنهم قسموهم ووزعوهم فيما بينهم، ولكنهم لم يستطيعوا إعطاء بعضهم إلى كل واحد، وبعدما أباد جنكيز خان وفق هذه الطريقة شعب الكيريت هو أمضى ذلك الشتاء في أبجي أ كوديغير Abji'a Kodeger .

ونجا أونغ خان وسينغوم بحياتهما، وذهبا بعيداً، غير راغبين بالخضوع لجنكيز خان، وعندما كان أونغ خان يعاني من العطش، ذهب ليشرب من نبع نيكون أوسون Nekun Usun في ديديك ساقال Didik Saqal، مرّ برجل الاستطلاع النيماني قوري سوبيجي Qori Subeči، فاعتقل قوري سوبيجي أونغ خان، ومع أن هذا الأخير أعلن "أنا أونغ خان" لم يعترف قوري سوبيجي به، وذبحه في مكانه.

ولم يذهب سينغوم إلى نبع نيكون أوسون في ديديك ساقال، بل عبر من هناك ودخل إلى صحراء غوبي، وعندما كان يبحث عن الماء ترجل، وطارد بعض الحمر الوحشية التي كانت واقفة هناك، مبتلاة بذباب الخيول، وكان مع سينغوم رفيق هو السائس كوكوجو Kokočü وزوجته معه، وكانا مع سينغوم يشكلون ثلاثة أشخاص، وهو أعطى حصانه كوكوجو السائس ليمسكه له، فاقتاد السائس كوكوجو الحصان بعيداً، وبدأ يهرول عائداً نحو الوطن، وقالت زوجته:

عندما ارتديت ثياباً موشاة بالذهب

وأكلت أطباقاً لذيذة

كان سينغوم يدعوك "كوكوجو الخاص بي"، فكيف يمكنك الآن أن تذهب بعيداً، وتتخلى وتهجر وفق هذه الطريقة مولاك سينغوم؟، وعندما قالت زوجته هذا، كانت واقفة هناك، وبقيت في الخلف.

فقال كوكوجو: "من المؤكد انك قلت لنفسك: أنا أريد أن اتخذ سينغوم كرجل لي، ورداً على هذه الكلمات قالت زوجته: أنت دعوتني امرأة لها وجه كلب وخائنة، لا فارق لدي، أعطه على الأقل كأسه الذهبي، ودعه على الأقل يسحب بعض الماء ويشرب، وبناء عليه ألقى السائس الكأس الذهبي نحوه قائلاً: خذه، وهرول مبتعداً.

وهو وصل إلينا، ولدى وصول السائس كوكوجو قال لجنكيز خان: " أنا قدمت وفق هذه الطريقة، فلقد تركت سينغوم في صحراء غوبي" وروى من البداية إلى النهاية كل شيء قد قيل بينه وبين زوجته، وعند ذلك أمر جنكيز خان قائلاً: أنا سوف أظهر نحو زوجه السائس كوكوجو الحظوة، أما

بالنسبة للسائس كوكوجو نفسه، الذي قدم إلى هنا، وفق هذه الطريقة التي تخلى بها عن مبدئه الشرعي، من الذي سيستطيع أن يثق به الآن، ويتخذه رفيقاً؟ فما كان منه إلا أن بتره، وألقى بجثته بعيداً.

وقالت غوربيسو Gurbesu أم تايانغ خان النيمان:" كان الأونغ خان، الخان القديم العظيم للأيام الخالية، اجلبوا رأسه إلى هنا، وإذا كان بالفعل هو رأسه فسوف نضحي له" وأرسلت رسولاً إلى قوري سوبيجي، فاحتز رأسه، وجلب عائداً الرأس معه، فعرفته، فوضعته فوق قطعة من اللباد الأبيض، وأمرت زوجات أولادها بإقامة الطقوس العائدة لزوجة ابن، وأمرت بشرب الخمرة الطقوسية، ويلعب لعبة الحصان، وأمسكت الكأس، وعملت تقدمة للرأس.

ولدى تشريف الرأس وفق هذه الطريقة ضحك، فقال تايانغ خان:" إنه يضحك " فداس عليه ، وسحقه إلى قطع ، وبناء عليه قال كوكسي أوسابراق : " أنت قطعت رأس الخان، وجلبته إلى هنا، وكان الشيء الثاني الذي فعلته هو أنك سحقته إلى قطع، وهذا ليس عملاً صحيحاً، فلقد أصبحت أصوات نباح كلابنا تبشر بالويل، وكان إينانجا بيلغي Inanča Bilge قال من قبل:

زوجتي هي شابة، ولكن
أنا زوجها أصبحت عجوزاً
وهكذا ابني تايانغ
أنا أنجبته من خلال السحر فقط
آه إن ابني هذا ولد ضعيفاً
ونشأ ضعيفاً، وأصبح عندما كبر مزيلاً

فهل سيكون قادراً على العناية وعلى حكم
شعبي الكبير العدد، المنحط والفوضوي؟"

هكذا هو قال، وكانت الكلاب تنبح الآن، ويبدو أن هذا النباح كأنه يخبر باقتراب حلول كارثة، فلقد أصبح حكم ملكتنا غوربيسو قاسياً، وأنت يا خاني تورلوق تايانغ Torluq Tayang لين، وأنت ليس لديك من مشاغل لفكرك وبراعتك سوى عمل البيزرم والصيد".

وبعد ما جرى إخبار تايانغ بهذا، هو قال :" أنا سمعت أن هناك قليلاً من المغول بعيداً في الشرق، وهؤلاء الناس مع كناناتهم أرعبوا الخان القديم العظيم للأيام الخوالي، وجعلوه يهجر أصحابه ويهلك، فهل هم يريدون أن يكونوا حكاماً هم أنفسهم؟ وإنه حتى إن كان هناك نوران مشعان، هما الشمس والقمر، ففي السماء في الأعلى فوق يوجد بالفعل كل من الشمس والقمر، ومع ذلك كيف يمكن أن يكون هناك حاكمان على الأرض؟ دعونا نجلب إلى هنا هؤلاء المغول القلة".

وعند ذلك قالت أمه غوربيسو :" ما الذي يمكننا أن نفعل بهم، إن رائحة شعب المغول دوماً رائحة فاسدة، وهم يرتدون ثياباً بائسة، وهم يعيشون منعزلين وبعيداً عن ها هنا، دعوهم يبقون هناك، ولكن لعله من الممكن أن نمتلك بناتهم الجميلات، وأن نجلبهن إلى هنا ككنات، ونجعلهن يغسلن أيديهن، ولربما سندعهن يحلبن أبقارنا وشياهنا".

وتعقيباً على هذا قال تايانغ خان:" إذا كان الأمر على هذه الصورة، فما الذي هو لديهم حتى نقلق بشأنه؟ دعونا نذهب إلى هؤلاء المغول، ويقيناً نحن سوف نجلب معنا لدى عودتنا جعب سهامهم".

وعلى هذا الكلام رد كوكسي أو سابراق قائلاً:" كيف لك أن تتكلم هكذا بمثل هذه العجرفة يا توزلوق خان، فهل هذا جائز وصحيح؟، لقد كان من الأفضل أن تتوقف عن الكلام"، وعلى الرغم من تحذير كوكسي أوسابراق، بعث تايانغ رسولاً يدعو توربي تاس Torbi Tas إلى ألاقوس ديغيت قوري Alaqus Digit Quri من قبيلة الأونغوت بهذه الرسالة:" لقد أخبرت بوجود قلة من المغول بعيداً في الشرق، أنك سوف تكون الجناح الأيمن، وأنا سوف ألتحق بك من هنا، ولسوف نستولي على جعب سهام هؤلاء المغول القلائل".

ورد ألاقوس درغيت قوري على هذه الكلمات قائلاً:" أنا لا يمكنني أن أكون الجناح الأيمن"، وبعدما أرسل ألاقوس درغيت قوري هذه الرسالة، بعث الرسالة التالية إلى جنكيز خان، حيث حملت إليه بوساطة رسوله المدعو يوقونان Yuqunan، وجاء بالرسالة:" تايانغ خان النيمان قادم ليأخذ منكم جعب سهامكم، وهو قد اتصل بي قائلاً بأنني ينبغي أن أكون الجناح الأيمن، ولكنني رفضت، وأنا أرسل إليك هذا التحذير، لأنني أخشى أنه إذا قدم سوف يسلبكم جعب سهامكم" .

وفي ذلك الوقت كان جنكيز خان يصطاد في سهوب تيمى اين Teme'en، وكان محيطاً بهضاب تولكين جيأوت Tulkin Če'ut، وعندما وصل يوقونان الذي أرسل من قبل ألاقوس ديغيت قوري، سلمه تلك الرسالة.

وعندما تسلم هذه الرسالة، وفي الوقت الذي كان ما يزال فيه مشغولاً بالصيد، هم على الفور بحثوا حول الذي ينبغي عليهم القيام به، وقد قال كثير من الرجال:" خيولنا هي ضعيفة، وليس هناك من شيء نستطيع أن نفعله الآن، وعلى هذا رد أوتجيغين نويان Otčigin Noyan قائلاً:" كيف

يمكن للإنسان أن يفتخر بأن الخيول ضعيفة؟ إن خيولي سمينة ! وكيف يمكننا الإقامة عندما نسمع كلمات مثل هذه؟" ثم تكلم بيلغوتي قائلاً:" إذا ما كان الإنسان قد بقي حياً، وتم السماح لعدو بأخذ جعبة هذا الإنسان، فما هي فائدة الحياة؟ أو ليس صحيحاً بالنسبة إلى أي إنسان مولود، أنه عندما يموت أن يتمدد ومعه جعبة سهامه، وقوسه إلى جانب عظامه، هذا وشعب النيمان شعب متبجح بالفخر، يتباهى بأنه يمتلك بلاداً واسعة، وعدداً كبيراً من الناس، وإننا إذا أمسكنا الآن الفرصة، فرصة تبجحهم التي منحت إلينا، وقمنا بحملة من أجل انتزاع جعب سهامهم، فهل سيكون هذا صعباً؟ وإننا إذا ما مضينا نحو الأمام، أولن تتوقف قطعانهم، وتمكث في الخلف، منقلة بخيامهم الكثيرة العدد، أولن يقدموا على التخلي عنهن؟ وأولن سوف يغادر كثير من شعبهم يلتمسون الملجأ في الأماكن العالية؟ فكيف يمكننا الوقوف والإقامة، والسماح لمثل هذا الشعب الاستمرار بالتبجح وفق هذه الطريقة؟ دعونا نركب ونسوق ضدهم على الفور"، على هذه الصورة هو تكلم.

ووافق جنكيز خان على كلمات بيلغوتي نويان هذه، فعاد من الصيد، وانتقل من أبجيقا كوتيغير Abjeiqa Koteger، ونصب معسكره في كيلتيغي قادا Keltegei Qada عند موضع انعطاف نهر قالقا Qalqa، وقام في ذلك المكان بتعداد عساكره، وشكل وحدات في كل منها ألف رجل، وعين قادة الألوف، وقادة المئات، وقادة العشراوات، وبناء عليه عين كحجاب: دودي جيربي Dodei Čerbi، ودوقولقو جاربي Doqolqu Čerbi، وأوغيلي جيربي Ogele Čerbi، وطولون جيربي Tolun Čerbi، وبوجاران جيربي Bučaran Čerbi، وسويكيتو جيربي Soyiketu Čerbi، وبعدما عين هؤلاء الحجاب الستة، شكل وحدات الألف رجل، ووحدات المئات، والعشراوات،

ولمختار وجنّد ثمانين رجلاً، ليخدموا على قائمة الخدمة كحراس ليليين، وسبعين رجلاً ليخدموا كحراس نهاريين، وقد جندهم من أبناء قادة الآلاف وقادة المئات، ومن إخوتهم الأصغر، وكذلك أيضاً من أبناء الناس العاديين وإخوتهم الأصغر، فهو قد اختار وجند الذين كانوا قادرين، وامتلكوا مظهراً جيداً.

وأظهر الحظوة نحو أرقاي قاسار Arqai Qasar ، فأصدر أمره قائلاً : " دعوه يختار هو نفسه مقاتليه الشجعان من وحدات الآلاف ليقاتل أمامي في وقت المعركة ، وفي الأيام الأخرى الكثيرة من أيام السلام ، هم سوف يخدمون كحرس نهاري لي"، وهو قال أيضاً:" أوغولي جيربي Ogele Čerbi سوف يكون قائداً للسبعين الذين هم الحرس النهاري بالتشاور مع قودوس قالجان Qudus Qalčan والتعاون معه.

وعلاوة على ذلك أمر جنكيز خان:" إن على الحاملين لجعب السهام، والحرس النهاري، والوكلاء، وحافظي الأبواب، والساسة أن يتسجلوا بقائمة الخدمة النهارية، وقبل غياب الشمس هم يقومون بالانسحاب ليحل محلهم الحرس الليليين، ووقتها عليهم الذهاب إلى خيولهم وإمضاء الليل هناك، وفي أثناء الليل يتوجب على الحرس الليلي التأكد من أن الذين ولجبهم الجلوس من حول خيمتنا قد فعلوا ذلك، وعليهم أيضاً أن يضعوا على لائحة الخدمة الذين من بين رجالهم وظيفتهم الوقوف عند الباب لحراسته، وفي الصباح التالي عندما نتناول حساءنا يتوجب على حملة جعب السهام، والحرس النهاري، والوكلاء، والبوابين، عليهم جميعاً القيام بواجباتهم المحددة، وأن يأخذوا أماكنهم المعينة، وعندما يكملون أيام خدمتهم، المؤلفة من ثلاثة أيام وثلاث ليالي أدوار واجب، وبعد إمضاء

الليالي الثلاث تماماً وفق الطريقة نفسها، هم سوف يفرج عنهم ويستبدلون، ولكن سوف يبقون في الليلة بعد استبدالهم، بالخدمة كحرس ليلي، ولسوف يمضون الليل متربصين هناك" وهكذا كان قد أمر .

وكان هكذا ووفق هذه الطريقة قد أنجز جنكيز خان تشكيل وحدات الألوف، وعين الحجاب، وجند ثمانين رجلاً ليخدموا على قائمة الحرس الليلي، وسبعين رجلاً ليخدموا كحرس نهاري، وهو ترك أرقاي قاسار يختار الرجال الشجعان، وأقلع زاحفاً ضد شعب النيمان من كيلتيغي قادا، عند منعطف نهر قالقا.

وفي سنة الفأر، وفي اليوم السادس عشر من أول أشهر الصيف (١٧/أيار/ ١٢٠٤) وهو اليوم الذي كان القمر فيه بدراً، هو ضحى لرايته، وانطلق، وساير صعوداً مجرى نهر كيلورين Kiluren، وبعث جبه، وقوبيلاي للاستطلاع، وعندما وصلا إلى سهل ساآري، كانت طلائع النيمان هنالك من قبل، فوق قمة جبل قانغقارقان Qangqarqan ودخلت طلائعنا وطلائعهم في عملية مطاردة لبعضهم بعضاً، واعتقلت طلائع النيمان واحداً من طلائعنا، وكان رجلاً يمتطي حصاناً أبيض سرجه لم يكن محكم الشد، وعندما أمسك رجال طلائع النيمان ذلك الحصان قالوا بعد ما تشاوروا بين أنفسهم : " إن خيول المغول ضعيفة ".

وعندما وصل جنودنا إلى سهل ساآري توقفوا هناك، وتباحثوا حول الذي عليهم عمله، ثم قدم دودي جيربي Dodei Čerbi النصيحة التالية إلى جنكيز خان:" إننا نحن الذين هم أقل من حيث العدد، وبالإضافة إلى إننا قليل عددنا، نحن وصلنا إلى هنا منهكين، ولذلك دعونا بالفعل نتوقف ونقيم معسكرنا، وننتشر فوق سهل ساآري هنا إلى أن تكون خيولنا أكلت حتى

شبعت، وليقم كل واحد منا في كل ليلة بإشعال النار في خمسة أماكن مختلفة، لنخيف العدو بجميع نيران المعسكر هذه، وهم قالوا بأن شعب النيمان عدده كبير، ولكنهم قالوا أيضاً بأن خانهم ضعيف، وهو لم يخرج بعد من خيمته، ففي الوقت الذي نبقيهم فيه مرتابين حول نيراننا تكون خيولنا قد أكلت وشبعت، وعندما تكون خيولنا قد شبعت، فسوف نطارد رجال طلائع النيمان، ونضغط بشدة عليهم، ونجعلهم ينضمون إلى الكتلة الأساسية للجيش، وإننا إذا ما اشتبكنا بهم أثناء تلك الفوضى، أو لن نتمكن من الانتصاف منهم؟" .

وبعد ما وافق جنكيز خان على كلمات النصيحة هذه التي صدرت عن دودي جيربي، أعلن الأمر التالي:" ليكن الأمر هكذا، دعوهم يشعلوا النيران"، وأعلن هذا كقانون للجنود، وهكذا نصبوا معسكراً نشروه فوق سهل سالراي، وأشعل كل واحد نيراناً في خمسة أماكن مختلفة.

وفي أثناء الليل، عندما شاهد رجال طلائع النيمان النيران الكثيرة المشتعلة، شاهدوها من فوق قمة جبل كانقارقان قالوا:" أولم نقل بأن المغول هم في عدد قليل فقط؟ ولكن نيران معسكرهم أكثر عدداً من النجوم" وهم أرسلوا إلى تايانغ خان الحصان الصغير الأبيض مع السرج الذي كان بالحري بائساً، وهم بعثوا به الآن مع الرسالة التالية:" لقد نصب جنود المغول معسكراً كبيراً جداً، إلى حد أنه غطى سهل سالراي كله، ويظهر أن المغول يزدادون يومياً، ونيرانهم هي أكثر عدداً من النجوم".

وعندما وصلت هذه الأخبار تايانغ خان من رجال طليعته هو كان عند مياه الجبير أوسون Qačir Usun في جبال القنقاي Qangqai، وقتها بعث رسالة إلى ابنه غوجولوك Qučluk خان قال فيها:" إن خيول المغول

ضعيفة، ولكن رجال طليعتنا يقولون بأن نيران معسكرهم أكثر عدداً من النجوم، وبناء عليه إن المغول هم كثيرون:

ونحن إذا اشتبكنا معهم وقاتلناهم حتى النهاية
أولن يكون من الصعب فكاك أنفسنا عنهم؟
وإننا إذا ما اشتبكنا معهم وقاتلناهم حتى النهاية،
هم سوف لن يغمضوا عيونهم السود
فهل من المفيد لنا
أن نقاتل هؤلاء المغول الأشداء
الذين لا يحجمون حتى ولو طعنت وجناتهم وخُرقت
وتدفقت دماءهم السوداء وسالت؟

ولقد أخبرونا بأن خيول المغول ضعيفة، دعونا نتحرك، ونسحب شعبنا عبر الألتاي، ووقتها سوف نعيد تنظيم قواتنا، ونستدرجهم للسير خلفنا في أثناء انسحابنا.

ولسوف نزحف إلى أن نصل إلى السفوح الجنوبية لجبال ألتاي، ونحن نقاتل على شكل اشتباكات، وعندما ستكون خيولنا سمينة، وعندما نكون قد جعلنا أبدان خيول المغول هزيلة، وأنهكناها، سوف نستدير ضدهم، ونضربهم في وجوههم وندمرهم"، وقد أرسل بهذه الرسالة.

وتعليقاً على هذه الكلمات قال أغوجولوك:" مرة أخرى إنها تلك المرأة تايانغ، إنه تفوه بمثل هذه الكلمات لأنه فقد الشجاعة، فمن أين يمكن لمثل هذا العدد الكبير من المغول قد أتى؟ إن معظم المغول هم مع جاموقا، وهم هنا الآن معنا، وإن تلك المرأة تايانغ :

هو الذي لم يتجرأ على السير أبعد

مما تسيره امرأة حامل عندما تمضي للتبول

وهو الذي لم يغادر قط بالذهاب أبعد

من ذهاب عجل صغير مربوط إلى دولاب، ليتناول علفه

إنه قد فقد شجاعته، حتى أرسل لي هذه الرسالة، أو ليس كذلك؟

ومن خلال الرسول أوصل غوجولوك كلماته هذه، ونقلها إلى أبيه ليزعجه ويؤلمه ويجعله يائساً، فبموجب هذه الكلمات كان تايانغ قد تكلم وتصرف مثل امرأة، وتعقيباً على هذا الكلام قال تايانغ خان:" آمل بأن لا يفقد غوجولوك القوي الكبير، كبرياءه في اليوم الذي سوف نلتقي به على أرض المعركة، ويذبح أحدنا الآخر! ونحن عندما سنلتقي على ميدان المعركة ونتحارب حتى النهاية، من المؤكد سيكون من الصعب الانفكاك بأنفسنا".

ولدى سماع هذه الكلمات قال قوري سوبيجي Qori Subeči، وكان موظفاً عالي المكانة؛ يشغل القيادة تحت تايانغ خان، قال موجهاً كلامه إلى تايانغ خان:" لم يدع والدك إينانجا بيلغي خان Inanča Bilge Qan قط العدو يرى ظهر رجل، أو ظهر حصان، أي عدو كان نداً له، والآن كيف يمكنك أن تفقد شجاعتك، والوقت ما يزال هو الصباح الباكر؟ ولو أننا عرفنا بأنك سوف تفقد الشجاعة وفق هذه الطريقة وبهذه الدرجة، كان من الأفضل لو أننا جلبنا أمك غوربيسو، وإن كانت هي مجرد امرأة، وأعطيناها إمرة الجيش؟ ولكم هو مؤلم، يا للأسف أن كوكسي أوسابراق أصبح عجوزاً متقدماً كثيراً بالسن، وأن انضباط جيشنا ونظامه بات مهلاً جداً، ومن

المؤكد أن هذا هو الوقت الموائم، وهو قدر المغول الذي تقرر من قبل السماء والأرض، نحن قد انتهينا، آه يا تايانغ الضعيف، فأنت تبدو وكأنك من دون قوة تماماً"، وبعدما قال هذا، ضرب جعبة سهامه، ولكز حصانه وهزول مبتعداً، ومضى في طريقه الخاص.

وأمام هذا كله أصبح تايانغ خان غاضباً وقال:" الحياة تعني أن نموت، ومعنى الجسد المعاناة، وإنه المصير نفسه للجميع، وإذا كان المصير نفسه هو للجميع، فدعونا نقاتل"، وتحرك من قاجير أوسون Qačir Usun، وسار نزولاً على امتداد نهر تامير Tamir، وعبر الأورقون Orqon، وجاز على طول الجانب الشرقي لشعب ناقو Naqu، إلى أن وصل إلى جاكير ماأوت Čakirma'ut ، حيث رآه رجال طليعة جنكيز خان وهو يقترب، فبعثوا رسالة إلى جنكيز خان قال:" لقد وصل النيمان، وهم الآن يقتربون" .

وعندما وصلت الأخبار إلى جنكيز خان قال:" مع العدد الأكبر تكون الأضرار الأكبر، ومع الأعداد الأقل تكون الأضرار أقل"، وركب وساق ضدهم، وبعد ما طرد طليعتهم عبأ جنوده وصفهم، وقرر مع قادة الجيش الزحف وفق تشكيلة شجيرة القرغانة Caragana والوقوف في " البحيرة " بالتعبئة القتالية، وأن يكون القتال وفق طريقة الإزميل.

وبعدما تكلم جنكيز خان هكذا، تولى بنفسه تشكيل المقدمة، ووضع قاسار مسؤولاً عن الكتلة الأساسية من الجيش، وأوتجيغين نويان Otigin Noyan، مسؤولاً عن الخيالة الاحتياط، وانسحب النيمان من جاكيرماأوت Čakirma'ut ، واتخذوا موقعاً لأنفسهم إلى الجنوب من شعب ناقو، على امتداد أطراف الجبل، ثم وصل رجال طليعتنا فطردوا رجال طليعة

النيمان، وطاردوهم إلى أن اشتبكوا مع الكتلة الأساسية من جيشهم جنوب شعب ناقو.

وشاهدهم تايانغ خان يصلون هكذا في مطاردة حامية، وفي ذلك الوقت انطلق جاموقا أيضاً مع قواته، وقدم مع النيمان، وعندما كان هناك سأل تايانغ خان جاموقا:" أي نوع من الناس أولئك، الذين هم مثل الذئاب، التي تقدم مطاردة لقطيع من الأغنام، حيث تتابع مطاردته حتى وصوله إلى حظيرة الأغنام؟ وأي نوع من الناس هم هؤلاء الذين يقتربون في مطاردة حامية مثل هذه؟" .

فقال جاموقا:" كان صديقي بالميثاق تيموجين يطعم أربعة كلاب ويغذيها على لحوم البشر، وهو رابط لهم بسلاسل من الحديد، إن هؤلاء هم الذين يقتربون في مطاردة لطليعتنا:

وهؤلاء الكلاب الأربعة،
جباههم من نحاس قاس،
ولديهم أزاميل من أجل أنوفهم،
ولهم قلوب من حديد
وسيوف من أجل السياط
وهو يتقدمون وهم يتغذون من الندى
ويركبون على الريح
وفي يوم القتل
هم يأكلون لحوم البشر، إن هؤلاء
هم الذين في يوم المعركة
يحملون لحوم البشر ليتخذوها

مؤناً لهم على الطريق، إنهم هؤلاء

قد أطلق سراحهم من سلاسلهم الحديدية، التي من المؤكد أنها كانت تضبطهم ـــ وهم الآن في بهجة كاملة، وهم لدى اقترابهم هكذا

يسيل اللعاب من أفواههم، ثم قال: ولكن من هم هؤلاء الكلاب الأربعة؟ إنهم: جبه، وقبلاي، وسوبيتاي، وجيلمي، هؤلاء هم أربعة" .

فقال تايانغ خان:" على هذا دعنا نقف بعيداً عن طريق هذه المخلوقات الشريرة" وتراجع بسرعة، واتخذ موقعاً لنفسه فوق الجبل.

وعندما رآهم تايانغ خان يقتربون من الخلف، ويطوقونهم، وهم يقفزون مسرورين، سأل جاموقا:" أي نوع من الناس هؤلاء الذين يشبهون مهرة أطلق سراحهم في الصباح، ذلك أن المهرة يقومون بغذ رضاعهم لحليب أمهاتهم بالوثوب مرحاً من حولهن؟ ولماذا هم يقتربون، ولماذا هم يطوقوننا وفق هذه الطريقة؟" .

وقال جاموقا:" هؤلاء يدعون الأوروأوت Uru'ut والمانغقوت Mangqut:

إنهم يندفعون وراء الرجال مسلحين بالرماح

وهم يجردونهم من ثيابهم الملطخة بالدم

ويركضون خلف الرجال المسلحين بالسيوف

وهم يسقطون فيقتلونهم

ويستولون على أشيائهم الثمينة وعلى ملابسهم

أو ليسوا هم الآن كلهم بهجة يقتربون، وهم يثبون هكذا لشدة فرحهم؟".

وبناء عليه قال تايانغ خان:" إذا كان الأمر كذلك، فدعنا نقف بعيداً عن طريق هؤلاء المخلوقات الشريرة" ، فاتخذ لنفسه موقعاً أعلى، حيث تراجع مع صعود أكثر للجبل.

ومرة أخرى سأل تايانغ خان جاموقا:" من هو هذا القادم مقترباً من الخلف، مقبلاً نحو الأمام على رأس الجيش، وهو يقترب مثل نسر شره، جائع؟" .

وقال جاموقا:" إن هذا الإنسان الذي يقترب منا هو صديقي بالميثاق تيموجين:

الذي فوق جسدا كله

ليس هناك شق واحد

حيث يمكن لمخرز من النحاس دفع رأسه

لا ولا شق واحد

حيث يمكن لإبرة مصنوعة من الحديد

أن تدخل رأسها الحاد.

إن صديقي بالميثاق تيموجين، هو بالفعل قادماً مقترباً، لعابه سائل هكذا مثل نسر جشع، هل رأيته؟ فأنتم يا أصدقائي النيمان اعتدتم على القول، أنكم إذا ما رأيتم المغول، سوف لن تتركوا لهم حتى جلدة ظلف جدي صغير، انظروا الآن إليهم" .

وتعقيباً على هذه الكلمات قال تايانغ خان :" إن هذا بكل بساطة مرعب، دعونا نتخذ موقعاً أبعد في الجبل" فصعدوا الجبل وتسلقوه واتخذوا موقعاً لأنفسهم.

ومرة أخرى سأل تايانغ خان جاموقا: "ومن هو ذلك الشخص الذي يقترب من الخلف وكأنه كتلة مدبوجة؟، فقال جاموقا: "ربت الأم أولون هذا الشخص من أولادها على أكل لحم البشر!

إن طول جسمه ثلاثة أذرع،
وهو يتغذى على شاة عمرها ثلاث سنوات،
ويرتدي سابغة مبطنة ثلاث مرات
وهو يجري جره في عربة من قبل ثلاثة ثيران،
وهو عندما يبتلع رجلاً كاملاً مع جعبة سهامه،
هو لا يقف في بلعومه ولا يغص به،
وهو عندما يزرد مبتلعاً رجلاً كاملاً
هو لا يملأ معدته.
وعندما يكون غاضباً ويوتر قوسه
ويطلق سهماً نصله متشعب
إنه ينطلق فيخرق عشرة أو عشرين رجلاً
من الذين هم وراء الجبل،
وعندما يوتر قوسه، ويطلق،
سهماً رفيعاً طويل المدى،
هو ينطلق ويمضي خارقاً خلال أعدائه،
الذين هو يتولى قتالهم،
والذين هم وراء السهل.

وهو عندما يرمي، ويشد وتر قوسه إلى أقصى حد

هو يغطي تسعمائة ذراع

وهو عندما يرمي، ويشد وتر قوسه قليلاً فقط

هو يغطي خمسمائة ذراع

هو يختلف عن جميع الرجال الآخرين

هو ولد أفعى – تنين مضطرب

إن اسمه هو جوجي قاسار.

إنه هو هذا". فقال تايانغ خان عند ذلك: "إذا كان الأمر هكذا، دعونا نتناضل في سبيل تسلق الجبل، وأن نصعد نحو الأعلى أكثر"، فتسلقوا نحو المزيد من أعلى الجبل، واتخذوا مواقعهم.

ومرة أخرى سأل تايانغ خان جاموقا: "من هو هذا الذي جاء مقترباً من بعده؟" فقال جاموقا: "إنه أصغر أبناء الأم أولون، وهو يدعى أوتجيجين Otčigin، أي المتساهل بسهولة، فهو ينام باكراً، وينهض باكراً، ومع ذلك:

هو لم يتخلف قط ولم يبق بالخلف، عندما يكون الجيش في تعبئة كاملة،

هو لا يبقى في الخلف عندما يكون الجيش قد اتخذ موقفه".

فقال تايانغ خان: "إذا كان الأمر هكذا، دعونا نذهب إلى قمة الجبل".

وبعدما تفوه جاموقا بهذا الكلام الذي قاله لتايانغ خان، انفصل عن النيمان، ومضى مبتعداً لوحده، وبعث رسولاً ليوصل إلى جنكيز خان رسالة شفوية قال فيها:

" أخبر بهذا وقله لصديق الميثاق" ثم إنه قال:
" لدى سماع تايانغ خان لكلامي فقد وعيه
وتسلق وهو مرعوب نحو العالي
وكان خائفاً حتى الموت من الكلام الذي تفوهت به
ولذلك تسلق إلى أعلى الجبل
يا صديقي بالميثاق، انتبه وكن متيقظاً
إلى الأعلى هم ذهبوا متسلقين للجبل
وقد فقدوا كل إرادة بالمقاومة
وأما بالنسبة لي، فأنا انفصلت عن النيمان"، ولقد كانت هذه هي الرسالة التي أرسلها.

وفي وقت متأخر من النهار طوق جنكيز خان جبل جرف ناقا، واتخذ موقعه مع جنوده وأمضى الليل هناك.

وانتقل النيمان من موقعهم وحاولوا النجاة، فتساقطوا نحو الأسفل من أعلى جرف ناقا، وتكدسوا فوق بعضهم بعضاً، وتكسرت عظامهم أثناء سقوطهم، وماتوا من سحق أحدهم الآخر إلى أن صاروا مثل أكوام جذوع أشجار مبعثرة.

وفي الصباح التالي أنهى جنكيز خان حياة تايانغ خان، وأما غوجولوك الذي كان يقيم منفصلاً عن البقية، فقد انتقل من هنالك مع عدد قليل من الرجال، متخلياً عن أصحابه، وعندما التقى المغول به هو نصب معسكراً مستكيراً، عند نهر تامير Tamir، ولكن لأنه لم يكن قادراً على المحافظة على ذلك المعسكر، أقلع ثانية، وهرب إلى مكان أبعد.

وهزم جنكيز خان شعب قبيلة النيمان هزيمة تامة، وقهره على السفوح

الجلوبية لجبال ألتاي، كما أن قبائل الجادران Jadran، والقتاقين Qatagin ، والسالجيأوت Salgi'ut ، والدوربين، والتايجيوت، والأونغيرات Onggirat، مع أناس آخرين كانوا مع جاموقا، فقد أخضعوا في تلك المناسبة.

وأمر جنكيز خان بجلب غوربيسو أم تايانغ إليه، وقال لها:" ألست أنت التي اعتقدت أن تقولي بأن المغول لهم رائحة كريهة، أولم تقولي ذلك؟ فلماذا على هذا قدمت الآن؟" ثم اتخذها جنكيز خان كزوجة.

وفي تلك السنة، التي هي سنة الفأر (١٢٠٤) تحارب في الخريف جنكيز خان مع توقتوآ بيكي Toqto'a Boki مقدم المركيت عند نهر قارادال Qaradal، وقد اقتلعه من هناك، وأخضع قبيلته وجميع شعبه في سهل سالآراي، وقد تمكن توقتوآ مع ولديه: قودو Qudu، وجيلاأون Čila'un وقليل من الناس، وكانوا مجردين من كل شيء إلا من أجسادهم، تمكنوا من النجاة، بوساطة الفرار.

وعندما جرى إخضاع شعب المركيت وفق هذه الطريقة، أخذ داير أوسون Dayir Usun من قبيلة القوآس Qo'as من شعب المركيت، ابنته قولان Qulan خاتون معه، وجاء ليقدمها إلى جنكيز خان، وأعيق وهو على الطريق من قبل بعض الجنود، والتقى بناياآ نويان Naya'a Noyan من قبيلة باآرين Ba'arin، وقال داير أوسون له:" أنا على طريقي لأقدم ابنتي هذه إلى جنكيز خان، فاحتجز»، ثم قال ناياآ نويان له:" دعنا نذهب مع بعضنا لتقديم ابنتك:" وعندما كان محتجزاً له قال:" في وقت الفوضى هذا، إنك إذا ما ذهبت لوحدك، من المؤكد أن الجنود الذين هم على الطريق، لن يبقوك حياً، ولسوف تعاني ابنتك من كثير من المشاكل"، وقد احتفظ بداير أوسون لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال.

وبعد ذلك أخذ ناياآ أنويان قولان خاتون، وداير أوسون، وجلبهما معاً إلى جنكيز خان، فقال جنكيز خان عند ذلك:" لماذا يا ناياآ احتجزتها؟ " وغضب غضباً شديداً، وأمر باستجواب ناياآ بقسوة وبكل دقة، وجعل هذه القضية مسألة قانونية، لمعالجة أمثالها في المستقبل.

وعندما كانوا يستجوبونه ويحققون معه قالت قولان خاتون:" قال ناياآ لأبي، أنا ضابط عالي المرتبة عند جنكيز خان، دعونا نذهب مع بعضنا لتقدم ابنتك إلى الخان، ذلك أن الجنود على الطريق يثيرون الاضطراب، وبناء عليه هو حذرنا من الذهاب لوحدنا، والآن لو أننا تواجهنا مع عساكر آخرين، مما لاشك فيه كان ناياآ سيجري اعتراض سبيله، وكنا سنواجه المصاعب، ولعل حظنا بالاجتماع بناياآ هذا كان لصالحنا، وكان جيداً، والآن وقد جرى استجواب ناياآ، من الممكن للخان أن يتلطف بفحص جسدي الذي حمله أبي وأمي بإرادة السماء" وهي قد تمكنت من نقل هذه الرسالة إلى جنكيز خان.

وعندما جرى استجواب ناياآ هو قال:" أنا ليس لدي وجهاً آخر غير الوجه الذي هو معروف لدى الخان بالإخلاص والوفاء له".

فأنا كنت كلما مررت بفتيات وسيدات

من الشعب الأجنبي لهم وجنات جميلة

وبخيول لها أكفال جميلة

أنا أقول دوماً: هؤلاء عائدين للخان ولائقين له.

ولو أنني فكرت قط بغير هذا، دعوني أموت

ووافق جنكيز على شهادة قولان خاتون، ثم إنه في ذلك اليوم بالذات، هو فحصها كما ينبغي، ولقد تبين تماماً أن قولان خاتون كانت كما أعلنت.

وأظهر جنكيز خان الحظوة والاهتمام نحو قولان خاتون، وأحبها، وأما بالنسبة لنايا فقد جرى تثبيت صحة كلامه، ووافق جنكيز خان عليها، وأظهر الحظوة نحوه أيضاً قائلاً:" إنه رجل صادق وموثوق، أنا سوف أعهد إليه في المستقبل بوظيفة مهمة ".

الفصل الثامن

وبعدما أخضع جنكيز خان شعب المركيت، قام فيما يتعلق بزوجتي قودو Qudu الابن الأكبر لتوقتوآ بيكي: توغي Togei ودوريغين Dorgene، هو أعطى دوريغين إلى أوكتاي خان.

وثار نصف شعب المركيت، وحصنوا أنفسهم في معقل تايقال Taiqal، وعند ذلك أعطى جنكيز خان أوامر، بوجوب وضع جيمباي Čimbai بن سورقان سيرا في منصب القيادة، ليحارب المركيت المتحصنين بوساطة الجناح الأيسر.

وكان توقتوآ مع ابنيه قودو، وجيلاأون غير راضين بالخضوع، وكان معهم قليلاً من الناس فقط، وقد هربوا ناجين بأرواحهم فقط، فطاردهم جنكيز خان، وأمضى الشتاء جنوب جبال ألتاي.

وفي ربيع سنة الثور (١٢٠٥) هو أقلع وعبر سلسلة الألاي Alai، وكان غوجولوك خان النيمان قد رفض الخضوع، بعدما جرى أسر شعبه من قبل جنكيز خان، ولذلك ذهب مع أصحابه، وكانوا رجالاً عددهم قليل، وصنع تحالفاً مع توقتوآ، مقدم المركيت، فقدما مع بعضهما إلى منبع بوقدورما Buqdurma، الذي هو مصدر نهر إيرديس Erdis وصفا قواتهما.

وعندما وصل جنكيز خان تحاربوا، وأصيب توقتوآ هناك بسهم طائش فسقط، ولم يستطع أولاده دفنه، كما أنهم لم يتمكنوا من أخذ جسده وإبعاده والذهاب به، ولذلك قطعوا رأسه، وأخذوا ذلك الرأس معهم، ومن بعد هذا أصبح النيمان والمركيت غير قادرين ــ حتى مع قواتهم المتحدة ــ على

الاستمرار بالقتال، وهربوا، وعندما تحركوا مبتعدين، وعبروا الايرديس، سقط معظمهم في النهر وغرقوا، وكان للعدد القليل من النيمان والمركيت الذين تمكنوا من العبور منفصلين، قد ذهبوا باتجاهات مختلفة، وكان ذلك بعد إكمالهم عبور نهر الايرديس، وذهب خوجولوك خان، خان النيمان مبتعداً، وبعدما عبر خلال منطقة الأويأور Ui'ur والقارلوأوت Qarlu'ut، التحق بغور خان، خان القراكيدات Qarakidat، الذي كان عند نهر جوي Čüi في بلاد السارتاأول Sarta'ul (المسلمين) ، وذهب المركيت الذين كانوا تحت قيادة: قودو Qudu، وقال Qal، وجيلاأون Čila'un ، أبناء توقتوآ مقدم المركيت، وعبروا منطقة القانقلين Qanglin والكيمجاأوت Kimča'ut .

وبعد هذا استدار جنكيز خان عائداً، وعبر نهر الألاي، واستقر في معسكره الأساسي، وكان جيمباي قد ألحق هزيمة كاملة بالمركيت الذين كانوا متحصنين في معقل تايقال، ثم إنه بالنسبة لهؤلاء المركيت، أمر جنكيز بقتل الذين يتوجب قتلهم، وأما البقية فجرى تجريدهم وسلبهم من قبل الجنود.

وكان المركيت الذين خضعوا من قبل قد قاموا مرة أخرى بثورة وحاولوا الخروج من المعسكر الأساسي، ولكن خدمنا في المعسكر أخضعوهم ووضعوهم تحت السيطرة، وعند ذلك تكلم جنكيز خان قائلاً:" أنا كنت قد قلت بوجوب إبقائهم مع بعضهم كقبيلة واحدة، ولكن هؤلاء الناس أنفسهم قد ثاروا الآن، فأمر بتوزيع المركيت هنا وهناك وتشتيتهم حتى آخر رجل منهم!

وفي ذلك العام نفسه، وهو عام الثور (١٢٠٥) أمر جنكيز خان سوبيتاي، الذي سلفم تزويده بعربة حديدية، بأن يطارد أبناء توقتوآ، الذين

كان يرأسهم: قودو، وقال، وجيلاأون، وعندما بعث به جنكيز خان في مهمته، أمر بإيصال الرسالة الشفوية التالية إلى سوبيتاي:" لقد غادر أبناء توقتوآ، وعلى رأسهم: قودو، و قال، وجيلاأون، وهربوا مسرعين، ثم إنهم استداروا عائدين، وتبادلوا الرمايات معنا، ثم إنهم مضوا فارين مثل حمر وحشية يجرون الوهق، أو مثل غزلان برية أصيبت بسهام في أجسادها، وإنهم لو نبتت لهم أجنحة وطاروا في السماء، أو لن تتمكن أنت يا سوبيتاي من الطيران مثل صقر واعتقالهم؟ وإنهم إذا ما تحولوا إلى مراميط Marmots، ونزلوا إلى باطن الأرض بوساطة مخالبهم، أولن تصبح عصا حديدية تحفر الأرض بحثاً عنهم، ومن ثم التنازل معهم؟، وإنهم إذا ما تحولوا إلى أسماك وغاصوا في بحر تينغيس Tenggis، أولن تصبح أنت يا سوبيتاي شبكة صيد، تصطادهم، وتخرجهم بغرفهم من الماء إلى الخارج؟ ومرة أخرى أنا أرسلتك لتعبر ممرات الجبال العالية، ولتخوض الأنهار العريضة، ويتوجب عليك توفير خيول الجيش قبل أن تصبح ضعيفة، وعليك ادخار مؤنك قبل أن تنفد، وإذا كانت الخيول منهكة، سوف لن يكون من المفيد توفيرهم، وإذا ما نفدت مؤنك بالكامل، كيف يمكنك توفيرهم وإنقاذهم؟ ولسوف يكون هناك الكثير من الحيوانات البرية على طريقك، وعندما تمضي، فكر نحو الأمام، ولا تدع جنودك يسوقون خيولهم ويعدون وراء الحيوانات البرية لصيدها، ولا تدعهم يعملون دوائر للصيد من دون حدود، وإذا ما عملت حلقة صيد من أجل مؤن إضافية لجنودك فليكن صيدك باعتدال، ولا تدع جنودك ولا تسمح لهم بتثبيت السفر (المذيلة) وربطه بالسرج، ولا أن يضعوا اللجام إلا في أعمال صيد محدودة، والذي عليك هو أن تدع الخيول تمضي بأفواه حرة، وإذا ما كان الجنود ملتزمين

بالانضباط والنظام بأنفسهم سوف لن يكونوا قادرين على العدو بسرعة على الطريق، وبناء عليه، اجعل هذا بمثابة قضية قانونية، وكل من يخرق القانون، سوف يجري اعتقاله، ويضرب، وينبغي إرسال الخارقين لأمرنا إذا ما ظهر أنهم معروفون من قبلنا، وبالنسبة للكثيرين غير المعروفين من قبلنا، فقط قطعهم وأعدمهم في مكانهم على الفور:

وأينما وراء النهر
أنت لربما ستفقد الشجاعة
ولكن تابع تقدمك
ووفق الطريقة نفسها
فيما وراء الجبال
أنت لربما ستفقد شجاعتك
ولكن لا تفكر بأي شيء سوى مهمتك

وإذا ما منحتك السماء الخالدة المزيد من المقدرة والقوة، واعتقلت أبناء توقتوا، ليست هناك حاجة بالنسبة لك لجلبهم معك أعدمهم، ألق بهم بعيداً هنا وهناك" وعلى هذه الصورة هو أصدر أمره .

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان لسوبيتاي:" إنني مرسلك بهذه الحملة، لأنني عندما كنت صغيراً، أرعبت من قبل الأودوييت Uduyit، من قبل قادة المركيت الثلاثة، قدرت حول جبل بورقان ثلاث مرات، فلقد ذهب هؤلاء الأعداء المميتون مرة أخرى يقسمون الأيمان ويتعاهدون ضدي، ولذلك ستصل في أثناء مضيك:

إلى أبعد الحدود ،
إلى قعر الأعماق"

وهكذا أمر جنكيز خان في عام الثور بصنع عربة حديدية لمطاردتهم حتى النهاية، وهو قد أرسل سوبيتاي للقيام بهذه الحملة العسكرية، مع التعليمات التالية:" إذا فكرت دوماً أننا وإن كنا بعيدين عن ناظريك، فكر بنا وكأننا مشاهدين من قبلك، وأننا وإن كنا بعيدين عنك، تصور أننا قريبين منك، فأنت سوف تكون أيضاً محمياً من السماء في الأعلى " .

وعندما أباد جنكيز خان النيمان، والمركيت، كان جاموقا مع النيمان، وقد انتزع شعبه منه في تلك المناسبة، وبقي جاموقا بعد هذا مع خمسة مرافقين فقط، وأصبح مشرداً لا قيمة له، وقد صعد إلى جبال تانغلو Tanglu، وقتل شاة برية، وشواها، وعندما حل الوقت من أجل أكلها، كان جاموقا هنا وهناك يقول لرفاقه الخمسة:" أبناء من، قتلوا في هذا اليوم شاة وحشية، وهم يأكلونها هكذا؟! وعندما كانوا يأكلون لحم تلك الشاة البرية، ألقى رفاقه الخمسة القبض على جاموقا، واعتقلوه، وحملوه إلى جنكيز خان.

وعندما جلب جاموقا إلى هناك، أخبر أحدهم أن يقول لصديقه بالميثاق الخان:

لقد ذهبت الغربان السود بعيداً جداً وتمادوا
إلى حد أنهم ألقوا القبض على بطة برية،
ذهب ذوو البشرة السوداء والعبيد بعيداً جداً وتمادوا
إلى حد أنهم رفعوا أيديهم ضد سيدهم
أيها الخاقان يا صديقي بالميثاق
كيف يمكن لك أن تكون مضللاً؟!
إن البلهاء السود ذهبوا بعيداً وتمادوا

إلى حد أنهم أمسكوا بطة برية
العبيد والخدم ذهبوا بعيداً جداً وتمادوا
إلى حد أنهم اعتقلوا سيدهم
طوقوه وتآمروا ضده
يا صديقي العاقل بالميثاق
كيف يمكن لك أن تكون مخطئاً؟

وتعقيباً على كلمات جاموقا هذه قال جنكيز خان:" كيف يمكن لنا أن ندع على قيد الحياة رجالاً رفعوا أيديهم ضد مولاهم الشرعي؟ فلمن من الناس يمكن أن يكون هؤلاء الرجال أصحاباً؟ مزقوهم حتى أبناء أبنائهم، وأبيدوا هؤلاء الناس الذين رفعوا أيديهم ضد مولاهم الشرعي" وهكذا هو أمر، والناس الذين أتوا بأيديهم على جاموقا جرى تقطيعهم بحضرته بالذات.

ثم إن جنكيز خان قال:" أخبروا جاموقا : نحن الآن اثنان قد اتحدنا، دعنا نكون صديقين، إننا إذا ما أصبحنا معاً نحن الاثنان سيكون كل واحد منا واحداً من ذراعي العربة، فهل يمكنك أن تفكر بفصل نفسك عني، وأن تكون منفرداً لوحدك؟ وطالما نحن الاثنان الآن مع بعضنا من جديد مرة أخرى:

دع كل واحد منا يذكر الآخر بالذي كان قد نسيه،
دع كل واحد منا يوقظ الآخر الذي ذهب في نوم عميق،
ومع أنك انفصلت عني
وذهبت في طريق مختلف
أنت ستبقى صديقي بالميثاق السعيد والمبارك

ففي اليوم الذي تحارب فيه أحدنا مع الآخر، من المؤكد
أن قلبك تألم من أجلي.
ومع أنك انفصلت عني ومضيت في طريق مختلف
في اليوم الذي قاتل فيه أحدنا الآخر،
تألمت رئتاك وقلبك من أجلي.

ومتى كان ذلك؟ إنه عندما تحاربت أنا شعب الكيريت عند رمال قالاقالجيت Qalaqaljut أنت أخبرتني بالذي قلته للأب أونغ خان، وكانت تلك خدمة أسديتها أنت لي، ثم كانت حقيقة أنك أرسلت لي رسالة مع الأخبار بأنك أرعبت شعب النيمان:

فأنت نبحتهم بكلماتك
وقتلتهم بفمك

وقلت لي أنني يمكن أن أعدهم هكذا مرعوبين مقتولين، وتلك كانت خدمة أخرى أسديتها لي".

وبعدما أنهى جنكيز خان كلامه، قال جاموقا:" في الأيام الماضية، عندما كنا صغيرين، في وادي قورقوناق Qorqonaq اتفقت أنا مع صديقي الخان أن نصبح صديقين بالميثاق:

مع بعضنا أكلنا طعاماً غير قابل للتحلل
وتوجه أحدنا نحو الأخر بكلماتٍ
سوف لن يطويها النسيان
ونمنا مع بعضنا تحت غطاء واحد
تشاركناه فيما بيننا، ولكن
تمت إثارتنا من قبل واحد ما

جاء ووقف فيما بيننا
نحن تفرقنا من قبل واحد ما
وقف على الجانب فباعد بيننا
فافترقنا ولم نلتق ثانية
قائلاً لنفسي بأننا
تبادلنا كلمات ثقيلة
إن جلد وجهي الأسود
قد سلخ من الحياء
وهكذا كنت أنا أعيش
غير قادر على الاقتراب منك
غير قادر على رؤية الوجه الصديق
العائد إلى صديقي بالميثاق الخان.
قائلاً لنفسي بأننا،
قد تبادلنا كلمات لا يمكن نسيانها،
فجلدة وجهي الأحمر،
انسلخت من الخجل،
وهكذا أصبحت أعيش،
غير قادر على رؤية الوجه الصحيح،
لصديقي بالميثاق مع ذكريات طويلة،
والآن أظهر صديقي الحظوة نحوي، و
قال: دعنا نكون رفاقاً، ولكن عندما كان الوقت موائماً،
لنكون رفاقاً، أنا لم أكن رفيقاً له، والآن يا صديقي بالميثاق،

قد جلبت الهدوء إلى جميع شعبنا،

وقد جمعت شمل جميع الناس الآخرين ووحدتهم ،

وعُهد بعرش الخانية لك، والآن وقد أصبح العالم كله تحت تصرفك، فأي فائدة ستكون مني، في أن أكون رفيقاً لك، على العكس، يا صديقي بالميثاق:

أنا سوف أتطفل فأقتحم أحلامك في الليل المظلم

ولسوف أتسبب بالاضطراب إلى قلبك في النهار المشرق

ولسوف أكون خنفسة في قبتك

ولسوف أكون شوكة في الطبقة الداخلية من معطفك.

وأنا لدي الكثير من الجدات من جهة الأبوة، وعندما أصبحت غير مخلص لصديقي بالميثاق اقترفت خطأ، والآن في هذه الحياة ــ إنه بالنسبة لصديقي ولي ــ انتشرت شهرتي من مشرق الشمس إلى مغربها، وأنت يا صديقي بالميثاق، لديك أماً حكيمة، وأنت ولدت بطلاً، ولأن لديك إخوة أصغر منك، ورفاقاً شجعاناً، وثلاثة وسبعين حصاناً مخصياً، فأنت على هذا يا صديقي بالميثاق متفوق علي، وأما بالنسبة لي، فأنا فقدت والدي عندما كنت صغيراً، وليس لدي إخوة أصغر مني، وزوجتي امرأة سليطة، ورفاقي لا يمكن الوثوق بهم، ولهذا السبب أنت كنت متفوقاً علي يا صديقي بالميثاق، فأنت قد تقرر مصيرك ورسم من قبل السماء، وإنك إذا ما أردت أن تصنع معروفاً بالنسبة لي يا صديقي بالميثاق، دعني أموت بسرعة، فيصبح قلبك مستريحاً وتشعر بالاطمئنان، وإنك إذا ما تفضلت ووافقت على إعدامي، اجعلهم يقتلونني من دون إراقة لدمي، وعندما أتمدد ميتاً،

ينبغي دفن عظامي في مكان عالٍ، وبذلك سأكون إلى أبد الآبدين حامياً لك، ومباركاً لأبناء أبنائك.

ومن حيث الأصل، أنا من نسب مختلف، وبناء عليه أنا قهرت من قبل الروح العظيم لصديقي بالميثاق، الذي هو صاحب نسب رفيع، لا تنسى الكلام الذي قلته للتو لك، فكر حوله مساء صباحاً، وردده مع نفسك، والآن تخلص مني بسرعة".

وعلى هذا الكلام عقب جنكيز خان قائلاً:" مع أن صديقي بالميثاق انفصل عني، وكان يحشد الحشود ضدي، أنا لم أسمع على الإطلاق أنه تآمر ضد حياتي، وهو رجل ينبغي أن يتعلم من التجربة، ولكنه غير راغب بفعل ذلك، وأن أقتله فإن ذلك لا يتماشى- على كل حال – ولا يتوافق مع الفأل الجيد، وأن أحرمه من حياته من دون سبب جيد، ليس عملاً صحيحاً، فهو رجل له مكانة عالية، ولربما عليك أن تعطيه السبب التالي: فيما مضى عندما سلب جوجي دارمالا Čoji Datmala وتايجار Taičar أحدهما من الآخر قطعان خيولهما، أنت يا جاموقا أيها الصديق بالميثاق، أثرت بصورة شريرة الثورة ضدي، ونحن تحاربنا في دالان بالجوت Dalan Baljut، وأنت أرغمتني على الالتجاء في شعب جيرين Jerene ، وأنت أرعبتني آنذاك، أولم تفعل ذلك؟ والآن عندما أقول: دعنا نكون أصدقاء ورفاق، أنت ترفض، وعندما عرضت عليك توفير حياتك، أنت رفضت، أخبره بذلك، وأخبره أنه تماشياً مع طلبك، أنت ستموت من دون إراقة دمك".

وأمر بقتل جاموقا من دون إراقة دمه، وأن جسده ينبغي ألا يترك في العراء، بل أن يمنح دفناً لائقاً، وقد تدبر إعدام جاموقا هناك، مع دفن جسده كما جرى الترتيب.

وهكذا عندما جرى إخضاع شعب الخيام التي جدرانها من اللباد، وأدوا واجبات الولاء في سنة النمر (١٢٠٦) تم اجتمعوا كلهم عند نبع نهر أونان، ورفعوا الراية البيضاء مع الذيول التسعة، وهناك أعطوا جنكيز خاقان لقب خان، ثم إنهم أعطوا لقب أمير دولة (غوي أونغ gui ong) إلى موقالي، وفي تلك المناسبة أيضاً جرى إرسال جبه في مهمة حربية، لمطاردة غوجولوك خان، خان النيمان واعتقاله، وبعدما أكمل جنكيز خان تنظيم شعب المغول، قال:" إن الذين رافقوا إلى جانبي عندما كنت أتولى تأسيس أمتنا، سوف أعبر عن امتناني، وبما أنني شكلت وحدات الآلاف، سوف أعينهم قادة للآلاف"، فهكذا كان قد أمر، وعين التالية أسماؤهم بمرتبة قادة ألوف: (١) الأب مونغليك. (٢) بورجو. (٣) موقالي، غوي أونغ. (٤) أورجي. (٥) ايلوغي Ilugei. (٦) جورجيدي. (٧) قونان. (٨) قبلاي. (٩) جيلمي. (١٠) توغي. (١١) ديغي. (١٢) غوجو. (١٣) قنغور. (١٤) بولتيني. (١٥) بوروقول. (١٦) سيغي قوتوقو Sigi Qutuqu. (١٧) غوجو Gučü. (١٨) كوكوجو. (١٩) قوقوسون. (٢٠) هوسون. (٢١) قوبيلاي. (٢٢) سيلوقاي. (٢٣) جيتي. (٢٤) تاقاي. (٢٥) جاقان قوآ Caqa'an Qo'a. (٢٦) آلاق. (٢٧) سورقان سيرا. (٢٨) بولوقان. (٢٩) قاجار. (٣٠) كوكوجوس. (٣١) سوييكتو Suyiketu. (٣٢) نايآ. (٣٣) جونغسوي Jungsoi. (٣٤) غوجوغور. (٣٥) بالا. (٣٦) أورونارتي Oronartai. (٣٧) دايير. (٣٨) موغي. (٣٩) بوجير Bujir. (٤٠) مونغوأور Mongqu'ur. (٤١) دولو أداي Dolo'adai. (٤٢) بوغين. (٤٣) قودوس Qudus. (٤٤) مارال Maral. (٤٥) جيبكي Jebke. (٤٦) يوروقان. (٤٧) كوكو. (٤٨) جبه. (٤٩) أودوتاي. (٥٠) بالاجيربي.

(٥١) كيتي Kete. (٥٢) سوبيتاي. (٥٣) مونغكو قالجا Mongko Qalja. (٥٤) ئورجاقوس. (٥٥) غيوغي Gеugi. (٥٦) باداي. (٥٧) كيسيليق. (٥٨) كيتي. (٥٩) جاأورقاي Ča'urqai. (٦٠) أونغيران. (٦١) توقوت تيمور. (٦٢) ميغيتو Megetu. (٦٣) قاداآن. (٦٤) موروقا. (٦٥) دوري بوقا. (٦٦) ايدو قاداي Iduqadai. (٦٧) سيراقول. (٦٨) داأون. (٦٩) تاماجي. (٧٠) قاأوران. (٧١) ألجي. (٧٢) توبساقا. (٧٣) تونغقويداي. (٧٤) توبوقا. (٧٥) أجيناي. (٧٦) توييديغير Tuyideger. (٧٧) سيجيأور Sečе'ur. (٧٨) جيدير. (٧٩) أولار غويغين Olar Guregen. (٨٠) كينغييياداي Kinggiyadai. (٨١) بوقا غوريغين. (٨٢) قوريل. (٨٣) أسيق غوريغين. (٨٤) قاداي غوريغين. (٨٥) جيغو غوريغين. (٨٦، ٨٧، ٨٨) ألجي غوريغين حيث سيتولى ثلاثة آلاف من الأونغيرات. (٨٩، ٩٠) بوتو غوريغين حيث سيتولى قيادة ألفين من الايكيريس. (٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥) آلاقوس دغيت قوري غوريغين Alaqus Digit Quri Guregen مقدم قبيلة الأونغوت، على أن يتولى خمسة آلاف من الأونغوت، ليس فيهم شعب الغابة"، وعلى هذا كان عدد قادة الألوف من المغول، الذين جرى تعيينهم من قبل جنكيز خان خمسة وتسعين.

وكان هؤلاء الخمسة والتسعين قائداً للألوف، الذين أنا ذكرتهم، وعلاوة على ذلك كان هناك الأنسباء أصهار جنكيز خان، فإلى هؤلاء عهد جنكيز خان بأن يكونوا على رأس وحدات الألوف، ثم أعلن جنكيز خان:" أنا سوف أمنح الجوائز إلى الذين بينهم يستحقون ذلك كثيراً" وقال بأن على القادة الذين على رأسهم بوأورجو، وموقالي التقدم، وفي ذلك الوقت كان سيغي قوتوقو في داخل الخيمة، وعندما أخبره جنكيز خان قائلاً:" اذهب

ولحضرهم" قال سيغي قوتوقو:" هل كان بولورجو، ومرقالي أعظم عوناً من الآخرين؟ وإنك إذا ما أردت أن تمنح جوائز، من المؤكد إنني لم أكن أقل فائدة، ومن المؤكد أنني لم أقدم خدمة أدنى؟.

فمن الوقت الذي كنت أنا فيه في المهد
ونشأت وكبرت عند عتبتكم النبيلة
إلى أن نمت هذه اللحية فوق ذقني
لم أفكر بأي واحد إلا بك أنت
ومن الوقت الذي كان فيه لدي مبولة عند مخرج ساقي
وأنا عند عتبتك الملكية، وهناك أنا نشأت وكبرت
إلى أن تمت هذا اللحية وانتشرت فوق فمي
فأنا لم اتخذ خطوة زائفة واحدة.
إنها هي (الأم أولون) قد تركتني أنام عند قدميها
وربتني وكأنني ابنها
هي تركتني أنام إلى جانبها
وربتني وكأنني الابن الأصغر
بين أولادها.
والآن ما هو نوع المكافأة التي سوف تعطيني إياها؟

وتعقيباً على كلمات سيغي قوتوقو هذه قال جنكيز خان:" أو لست أنت أخي السادس الأصغر؟ فإليك يا أخي الأصغر الذي ولد متأخراً الجائزة: أنت سوف تمنح الحصة نفسها مثل الإخوة الأصغر، وعلاوة على ذلك أنت – بسبب خدماتك – لن تعاقب إلى أن تكون اقترفت تسع جرائم"، وعلى هذه الصورة أصدر أمره.

أراد الخان أن يكافئك، دعه يقرر لصالح منحي الناس الذين هم من البلدات التي لها أسوار مصنوعة من التراب المجبول"، ولقد كان هذا ما طلبه، وتعقيباً على كلامه، قال جنكيز خان:" إنك أنت الذي قررت حصتك وحددتها، وإنه لقرارك".

وبعدما جعل سيغي قوتوقو جنكيز خان يكافئه هكذا، خرج ودعا القادة مع بوأورجو، وموقالي على رأسهم، وتركهم يدخلون إلى الخيمة.

وعند ذلك خاطب جنكيز خان الأب مونغليك وقال:" أيها الرجل المحظوظ والمبارك:

الذي ولد وقت ولادتي ومعي،

وعندما كبرت، كبر معي،

كم من المرات أنت ساعدتني وحميتني؟ وبين هذه الأوقات كانت المناسبة عندما دعاني الأب أونغ خان، وصديق الميثاق سينغوم خداعاً لحضور احتفال الفطرية، فعلى الطريق أنا أمضيت الليل في خيمة الأب مونغليك، لو لست أنت أيها الأب مونغليك الذي أقنعتني آنذاك بعدم الذهاب؟:

فلولاك لكنت ذهبت مباشرة

إلى جوف المياه المغرقة،

إلى داخل النار المحرقة،

وعندما يتذكر الإنسان خدمتك هذه فقط، كيف يمكن لأي واحد أن ينساها حتى أولاد أولاده؟، ومتذكراً تلك الخدمة، أنا سوف أدعك منذ الآن فصاعداً تشغل المقعد الموجود في البداية على هذا الجانب من خيمتي، وسنوياً وشهرياً أنا سوف أتشاور معك، ولسوف أعطيك هدايا وأخصك بمكافآت، فأنا سوف أرعاك إلى أولاد أولادك"، فلقد كان هذا ما أعلنه.

وعلاوة على ذلك توجه جنكيز خان بكلامه نحو بوأورجو قائلاً:" عندما كنت صغيراً سُلبت ثمانية رؤوس خيل، هي الخيول المخصية الكميتة الفاقعة اللون، وقد أمضيت ثلاثة أيام وثلاث ليال على الطريق أتعقبهم، وعندما كنت ماضياً في سبيلي التقينا أنا وأنت، ثم إنك قلت لي: إنك قدمت لأنك تعاني من المشاكل، وأنا سوف أنضم إليك كرفيق لك، ومن دون أن تقول كلمة حتى لأبيك في الخيمة، قمت أنت الذي كنت تحلب المهرة، بإخفاء قربتك المصنوعة من الجلد، وكومت عليها الحشائش، وجعلتني أترك حصاني الكستنائي الطويل الشعر، وأركبتني على حصان أبيض له ظهر أسود، وامتطيت أنت نفسك مهرة سريعة لونها كميت داكن، وأنت تركت قطيعك من الخيول من دون موجه، وغدوت بسرعة رفيقي في السهوب، ومرة أخرى نحن أمضينا ثلاثة أيام وثلاث ليال في تعقب اللصوص، قبل أن نصل إلى المعسكر المستدير ، الذي كانت فيه الخيول المخصية ذات اللون الكميت الباهت، فقد كانوا واقفين على طرف المعسكر، فاستولينا عليهم، وسقناهم بعيداً، وأعدناهم، نحن الاثنين معاً، وكان والدك هو ناقو بايان Naqu Bayan، وكنت أنت ابنه الوحيد، فما الذي عرفته عني، عندما أصبحت رفيقي؟ فلقد أصبحت رفيقي بسبب قلبك الشجاع، ومن بعد ذلك أنا حافظت على تذكرك والتفكر بك، وعندما أرسلت إليك بيلغوتي للالتحاق بي مرة أخرى كرفيق لي:

أنت قفزت على ظهر حصانك الكستناوي ذي الظهر المتقوس،
ووضعت معطفك الصوفي الرمادي خلفك،
وقدمت للالتحاق بي، وعندما
جاء المركيت الثلاثة ضدنا ودرنا

ثلاث مرات حول بورقان قالدون

ذلك الجبل، أنت درت معي حوله.

وعندما من بعد ذلك، نحن أمضينا الليل في دالان نيمورغيس Dalan Nemurges مع عساكرنا وقد وقفوا أمام عساكر شعب المغول، تدفق المطر وهطل بغزارة وبتواصل ليلاً ونهاراً، وقفت قائلاً بأن عليّ أن أحصل على راحتي الليلة، فغطيتني بمعطفك المصنوع من اللباد، وبذلك كان من غير الممكن للمطر أن يتساقط علي، ووقفت خلال الليل إلى جانبي، ورفعت قدمك مرة واحدة فقط، ولقد كان هذا بالحقيقة علامة على شجاعتك، وعدا عن ذلك، أية أعمال شجاعة من أعمالكما علي أن أذكر؟ أنتما الاثنان بورأورجو، وموقالي:

فأنتما اللذان حرضتماني على صنع ما هو صحيح،

وأقنعتماني ألا أفعل الذي كان خطأ.

وبهذه الطريقة جعلتماني أنال هذا العرش، فأنتما سوف تجلسان أعلى من الآخرين، ولن تحتاجا إلى أن تقترفا تسع جرائم، ولسوف يكون بوأورجو مسؤولاً عن عشرة آلاف رجل الذين يشكلون الجناح الأيمن: الذي امتد غرباً حتى جبال ألتاي؛ فلقد كان هذا ما أمر به.

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان لموقالي:" عندما نصبنا معسكراً قرب الشجرة الكثيفة الأوراق في وادي قورقوناق Qorqonaq، التي حولها اعتاد قوتولاخان أن يرقص، وبسبب الكلمات التي أخبرت بها العلامة السماوية مسبقاً إلى موقالي، حيث أنها كانت بوضوح مهمة، أنا كنت بين آونة وأخرى أتذكر أباه غوآون قوآ Gu'un Qo'a، فعهدت بكلمتي إلى

موقلي، وتبعاً لهذا هو سوف يجلس من الآن فصاعداً على مقعد فوق جميع الآخرين، ولسوف يكون أمير دولة على جميع الناس ، وسيبقى هذا حتى لولاد لولاد موقلي" وقد أعطاه لقب أمير دولة، وأصدر أمراً:" ليكن أمير الدولة موقلي مسؤولاً عن عشرة آلاف رجل، الذين يشكلون الجناح الأيسر، الذي يمتد شرقاً إلى جبال قاراؤن جيدون Qara'unjidun ".

وقال جنكيز خان لقورجي:" أنت في إحدى المرات عملت نبوءة حولي، ومنذ الوقت الذي كنت أنا فيه صغيراً حتى الآن، أي منذ مدة طويلة:

عندما كان هناك بللاً،
أنت عانيت من البلل معي،
وعندما كان هناك برداً،
أنت عانيت من البرد معي.

وفي الحقيقة كنت دوماً نافعاً لي، وفي ذلك الوقت قلت أنت يا قورجي: إنه إذا ما تحققت النبوءة، وجرى تنفيذها من قبل السماء، وفقاً لرغباتك، سوف تدعني امتلك ثلاثين امرأة"، والآن بما أنها تحققت، أنا سوف أرضيك وأعطيك طلبك، انظر إلى النساء الجميلات، والفتيات الحسان من الناس الذين خضعوا لنا، واختر من بينهم ثلاثين امرأة"، ولقد كان هذا ما أمر به.

وعلاوة على ذلك أصدر أمره قائلاً:" إنه بالنسبة للثلاثة آلاف رجل من البآرين Ba'arin ، الذين على رأسهم ويتولى قيادتهم: قورجي مع تاقاي Taqai وأسيق، سوف يضاف إلى عددهم ما سيوصلهم إلى عشرة آلاف

كاملين، مع الجيلوس Cinos من الأداركين Adarkin والتؤأولوس To'olos، والتيلينقوت Telenqut، ولسوف يكون قورجي القدم، ولسوف يمتلك الحرية في نصب معسكره على امتداد نهر ايرديس Erdis حتى الوصول إلى شعب الغابة، وسيعمل قورجي في سبيل جلب شعب الغابة إلى الطاعة، وسيكون مسؤولاً عن عشرة آلاف"، وأمر: " لا يجوز لشعب الغابة أن يتصرف وفق هذه الطريقة أو تلك من دون موافقة قورجي، والذين سوف يتصرفون ويعملون على دون موافقته، ينبغي قتلهم من دون تردد ".

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان لجورجيدي Jorčedei: "لقد كانت خدمتك الأعظم أهمية في الوقت الذي كنا نتحارب فيه مع الكيريت في رمال قالا قالجيت Qalaqaljit، وكنا قلقين حول مصير المعركة، وعندئذ أدى صديق الميثاق قويلدار Quyildar يميناً، ولكن أنت يا جورجيدي، قمت بتنفيذ هذا العمل، وفي تنفيذه هاجم جورجيدي وتغلب على الجورجين Jürgin، والتوبيغين Tobegen ، والدونغقاييت Dongqayit ، والقوري سيليمون (تايسي taisi) Quri Šilemun ، ووصل ألف من الحرس الشخصي (الذين كانوا أفضل القوات، الأفضل بينهم جميعاً) إلى الكتلة الأساسية من جيشهم وأنت أطلقت سهماً نافذاً، خرقت به الوجنات الحمراء البراقة لسينغوم، ولهذا السبب فتح الباب، وأرخيت الأعنة، وكان ذلك بالنسبة لي بوساطة السماء الخالدة[1] ، ولو أن سينغوم لم يجرح، ما الذي كان سيحدث لنا؟ ولقد كانت هذه بالفعل الخدمة الأعظم والأكثر أهمية، قام بها جورجيدي.

---

1 - أي فتحت السماء الطريق أمام نجاح جنكيز خان.

وعندما انفصل علي، وتحرك نزولاً على امتداد مجرى نهر قالقا Qalqa ، أنا فكرت دوماً حول جورجيدي، وكأنه كان ملجأً جرى تقديمه من قبل الجبل العالي، ثم إنه غادر، اوذهب – في مهمته إلى الأونغيرات Onggirat – ونحن وصلنا إلى بحيرة بالجونا Baljuna لسقاية حيواناتنا، وعندما أقلعنا مرة أخرى من بحيرة بالجونا، مضى جورجيدي في تلك الأيام ليقوم بالاستطلاع، ثم أخذنا الميدان ضد الكيريت، وتمكنا بقوتنا التي ازدادت بوساطة السماء والأرض، من هزيمة شعب الكيريت تماماً، ومن إخضاعهم، وبحكم أن الشعب الذي كان هو الأكثر أهمية قد جرى تمزيقه، فقد النيمان والمركيت الشجاعة، ولم يعد من بعد هذا القتال، وتفرقوا.

وفي الصراع الذي جرى فيه تفريق المركيت والنيمان، جرى السماح لجاقا غامبو Jaqa Gambu الذي كان من الكيريت بالبقاء مع شعب رعيته كمجموعة كاملة، وذلك بسبب ابنتيه، ولكن عندما أصبح للمرة الثانية هو معادياً، وانفصل عنا، استدرجه جورجيدي بالخدعة، وبعدما اعتقله وضع نهاية أبدية لجاقا غامبو، الذي نكث عهده معنا، فللمرة الثانية. نحن محقنا ونهبنا شعب ذلك المدعو جاقا غامبو:

ومن المؤكد أن هذه كانت الخدمة الثانية لجورجيدي،

بسبب أنه في اليوم الذي يقتل فيه الإنسان، هو يقتل

من دون اهتمام بحياته وتقدير لها،

بسبب أنه في اليوم يواجه به الإنسان الموت كله

هو يقاتل حتى الموت".

وكافأ جنكيز خان جورجيدي، ولحظوته لديه أعطاه إيباقا بيكي كزوجة؛ "وهو قال : إيباقا أنا لا يمكنني القول أنك تمتلكين أخلاقاً سيئة، وأنك في مظهرك أنت قبيحة، فأنت دخلت إلى قلبي وجوانحي، ولن يستطيع أحد سياقي إليّ أن يحتل مكانك في المرتبة بين زوجاتي الرئيسات، وأنا أقدمك لجورجيدي إذعاناً إلى المبدأ العظيم، الذي بموجبه تستحق خدمات جورجيدي المكافأة اللائقة، ذلك أن جورجيدي:

هو كان في اليوم الذي قاتلنا فيه

ترسنا الواقي

وهو الذي كان ضد شعب الأعداء،

هو مأوانا وملجأنا،

هو وحد الناس ولم شملهم،

وهم الذين أصبحوا منقسمين،

هو وحد الشعب،

الذي كان متفرقاً.

وأنا أعطيتك إليه، لكوني كنت متذكراً لمبدأ مكافأة هذه الخدمات التي أداها، وفي المستقبل عندما يجلس أبنائي على عرشنا واعين منتبهين لمبدأ الخدمات التي جرى هكذا تقديمها، يتوجب عليهم عدم رفض أوامري، ويتوجب عليهم جيلاً بعد جيل من أبناء أبنائي عدم إلغاء المكان الشرعي لإيباقا في البلاط بين زوجاتي"، وهكذا كان قد أمر.

وعلاوة على هذا قال جنكيز خان لإيباقا: "كان والدك جاقا غامبو أعطاك مائتي خادم كصداق، وهو أعطاك أيضاً القهرمان أسيق Asiq ، والقهرمان الجيق Alčiq ، وأنت الآن ستذهبين إلى شعب الأوروأوت Uru'ut ، الذهبي، ولكن أعطيني مائة من خدمك، والقهرمان أسيق".

وتحدث جنكيز خان مرة أخرى إلى جورجيدي، وأظهر الحظوة نحوه، وأعطاه الأمر التالي: "إنني أعطيتك إيباقا العائدة لي، وبالنسبة للأربعة آلاف من الأوروأوت، أنت سوف تكون المسؤول عنهم، أو لن تكون أنت"؟.

الفصل التاسع

زد على هذا قال جنكيز خان لقبلاي: "من أجلي، اسحق واخفض:

رقاب الأشخاص القديرين،

وأرداف الأشخاص الأقوياء،

وأنت يا قبلاي، ويا جيلمي، ويا جبه، ويا سوبيتاي، أنتم يا كلاب صيدي الأربعة، عندما أبعث بكم، وأوجهكم إلى مكان ما، أنا يكون في ذهني:

عندما أقول: عليكم الوصول إلى هناك،

عليكم سحق الحجارة الموجودة هناك،

وعندما أقول: هاجموا،

عليكم تمزيق الصخور.

عليكم تحطيم الحجارة المشعة،

عليكم شق المياه العميقة.

إنني عندما أرسلكم يا: قبلاي، وجيلمي، وجبه، وسوبيتاي، أنتم يا كلاب صيدي الأربعة، إلى مكان أكون قد عينته، وإذا كان بوأورجو، وموقالي، وبوروقول، وجيلاأون باأتور — هؤلاء الفرسان الأربعة، العائدين لي — إلى جانبي، وعندما يحل يوم المعركة، ويكون أمامي جورجيدي، وقوييلدار، واقفين مع عساكرهم من الأوروأوت، والمانغوت، آنذاك سوف يكون ذهني مرتاحاً تماماً، أو لن تكون يا قبلاي مسؤولاً عن جميع الشؤون العسكرية؟" وهكذا كان أمره، وحباه بحظوته.

وعلاوة على ذلك هو قال: "إنَّ بسبب عناد بيدوأون Bedü'ün، أنا لم أكن راضياً عنه، فلم أعطه وحدة ألف، وأنت الشخص الموائم لمعالجته، فأنت سوف تكون قائد الألف معه، وأنتما سوف تمضيان بالتشاور أحدكما مع الآخر،" ثم أضاف "ونحن من بعد هذا سوف نتفحص سلوكه وتصرفاته".

وزد على ذلك قال جنكيز خان لقونان Qunan مقدم قبيلة الغينيغيس Geniges: "إنه بالنسبة لك ستكون لك القيادة على القادة الذين هم مع بوأورجو، وموقالي، وأنت ستكون لك الحجابة (أي أنت ستكون الباور) على دودي Dodei، ودوقولقو Doqolqu وعلى آخرين: لأنَّ قونان هذا كان مثل

ذئب ذكر في الليلة الظلماء

وغراب أسود في النهار المشرق

فعندما نكون متحركين هو لا يتوقف

وعندما نتوقف هو لا يزاول مكانه.

ومع الغريب لا يغير وجهه فيظهر بوجه آخر

ومع العدو المميت

لا يظهر بوجه آخر مختلف

لا تتصرف ولا تعمل من دون الاتفاق مع قونان، وكوكو جوس Koko Cos واعمل فقط بالتشاور معهما"، فلقد كان هذا ما أمر به.

وهو قد أمر أيضاً قائلاً: "إنَّ أكبر أبنائي هو جوجي، وقونان على رأس الغينيغيس، هو سوف يكون قائد عشرة آلاف تحت إمرة جوجي، وفيما يتعلق بقونان، وكوكوجوس، وديغيدي، والعجوز أوسون Usun، إن

هؤلاء الأربعة هم الأربعة الذين لم يخفوا عني قط ما رأوه، ولم يستروا عني ما سمعوه".

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان لجيلمي: " قدم العجوز جارجي أوداي Jarti Udai وهو يحمل منفاخه الكبير على ظهره، عندما كان جيلمي ما يزال في المهد، وهو وصل نازلاً من بورقان قالدون، وأعطى قماطاً من فرو السمور، عندما أنا ولدت في ديليأون بولداق DelPun Boldaq على نهر أونان، ومنذ ذلك الوقت هو أصبح رفيقي، وصار جيلمي:

عبد عتبة بيتي !

والعبد الشخصي لبابي

ومحاسن جيلمي كثيرة، ومحظوظ ومبارك هو جيلمي،

الذي عند ولادتي قد ولد معي،

والذي عندما كبرت، كبر ونشأ معي،

وهو الذي رفاقيته معي تعود بأصلها إلى القماط المصنوع من فرو السمور، وهو سوف لن يعاقب إلى أن يكون قد اقترف تسع جرائم"، وهكذا هو أصدر أمره.

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان لطولون: "لماذا لا تكونا أنتما أباً وابناً، كل واحد منكما مسؤولاً ومتولياً لألف خاصين به؟، فعندما جمعت أنت الناس ــ كنت أنت يا طولون الجناح الأول بين جناحي أبيك ــ أنتما ناضلتما مع بعضكما، ومع بعضكما جمعتما الناس، وإنه لهذا السبب بالحقيقة أنا أعطيتك لقب حاجب (باور) ، والآن، أو أن تقوم بتشكيل ألفك من الشعب الذي حصلت عليه لنفسك، ومن ثم تؤسس إرثك الأسروي

الخاص بك، ولن تعمل بالتشاور مع توروقان Turuqan"؟، وكان هكذا هو أمر.

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان للقهرمان أونغور Onggur : "أنتم التوقوراأوت Toqura'ut، والخمسة التارقوت Tarqut، وأنت يا أونغور، ابن المونغيتو كيان Monggetu Kiyan، أمع الجانغسيأوت Cangsi'ut ، والباياأوت Baya'ut التابعين لك، قد شكلت معسكراً واحداً من أجلي، فأنت يا أونغور:

لم تفقد طريقك وتضل في الضباب

وأنت لم تنفصل عن الآخرين في القتال.

وعندما كانت الأجواء مطيرة وكان هناك بلل

أنت عانيت من البلل معي

وعندما كانت الأجواء باردة

أنت عانيت من البرد معي.

والآن، ما هو نوع المكافأة التي ستأخذها مني؟"، وعلى هذا أجاب أونغور قائلاً: "إذا سمحت لي باختيار مكافأتي، بما أن إخوتي الباياأوت Baya'ut هم متفرقون بين جميع مختلف القبائل، بمعروف منك دعني أجمع إخوتي من الباياأوت مع بعضهم".

وبناء عليه أمر جنكيزخان قائلاً: "نعم، ليكن الأمر هكذا، اجمع إخوتك الباياأوت مع بعضهم، وقم أنت بأخذ إمرة ألف رجل"، وعلاوة على ذلك هو قال: "عندما قمتما أنتما القهرمانان: أونغور، وبورولول، بتوزيع الطعام إلى جانبي اليمين واليسار

لم تهملا هناك نقصاً،
بالنسبة إلى الذين وقفوا أو جلسوا،
على الجانب الأيمن، ولم تهملا هناك نقصاً
بالنسبة إلى الذين جلسوا في الصف ـ
أو الذين لم يجلسوا ـ على الجانب الأيسر.

وإذا ما وزعتما الطعام وفق هذه الطريقة، لن ينقص بلعومي، وسوف يكون ذهني مرتاحاً، والآن اركبا يا أنغور، ويا بوروأول، واخرجا لتوزيع الطعام على الجمهور" وكان أن أمر هكذا، وأشار إلى مقعديهما وقال: "عندما تجلسان على مقعديكما، عليكما الجلوس هكذا، حتى تتمكنا من مراقبة توزيع الطعام على الجانب الأيمن، وعلى الجانب الأيسر، لمناضد القمز، واجلسا مع طولون ومع الآخرين في وسط الخيمة، في مواجهة الشمال".

ومرة أخرى توجه جنكيز خان بالخطاب إلى بورقول Boroqul قائلاً: "إنه بالنسبة لسيغي قوتوقو، وبوروقول، وغوجو Gučü ، وكوكوجو، أنتم الأربعة، أمي:

على الأرض العارية وجدتكم
في معسكرات الآخرين
وهي وضعتكم إلى جانب رجليها
وهي علمتكم وكأنكم أولادها
وربتكم بكل عناية
ومدت أعناقكم
وجعلتكم تصيرون بالغين

ومدت أكتافكم

وجعلتكم تصبحون رجالاً

ومن المؤكد أنها ربتكم من أجل أن تجعلكم رفاقاً لنا نحن أولادها، فمن الذي يعرف كم من أصناف المعروف والخدمات لكم أسديتم إلى أمي مقابل معروفها في أنها ربتكم، فأنت يا بوروفول غدوت رفيقي، و

عندما حملنا غارات سريعة في ليالي ممطرة

لم تجعلني أمضي الليل مع

أمعاء فارغة

وعندما كنا منشغلين في القتال مع العدو

لم تتركني أمضي الليل من دون حساء

ومرة أخرى، نحن سحقنا شعب الفتار، الذي امتلأ بالبغضاء والكراهية، ودمر آباءنا، وأجدادنا، وفي الوقت الذي عندما

كنا نقوم به بالانتقام

وكنا ننتقم للجرائم

بوساطة قتل شعب الفتار حتى آخر رجل، حيث جرى قياسهم على عريش عربة، وفي أثناء القيام بذبحهم، نجا فارغيل سيراء الذي كان من الفتار، وأصبح متشرداً منبوذاً، وعندما صار يعاني من البلايا وبات في ضائقة المعاناة من الجوع، رجع ودخل إلى الخيمة وقال إلى أمي: "أنا متسول"، وعند ذلك قيل له: "إذا كنت متوسلاً، اجلس هنالك"، فجلس على نهاية مقعد على الجانب الأيسر من الخيمة، على مقربة من الباب الداخلي.

وفي تلك اللحظة، وصل تولولي الذي كان في الخامسة من عمره، إلى الخيمة من الخارج، ثم إنه هرب خارجاً منها مرة أخرى، ونهض فارغيل

سيرا، وأمسك بالطفل، وضغط عليه تحت ذراعه، ثم إنه خرج، وفيما هو ذاهب يتقدم نحو الأمام شاقاً طريقه، وهو شاهر لسكينة، كانت ألتاني Altani زوجة بوروقول جالسة على الجانب الأيسر من خيمة لمي، وعندما صرخت الوالدة "لقد خطف الطفل وسوف يقتل"، لحقت بها ألتاني، وركضتا معاً، واشتبكت وإياها مع قارغيل سيرا، وأمسكت باليد الأولى ضفائر شعره، وأمسكت باليد الثانية يده الحاملة للسكين المشهورة، وشدتها بقوة وعزم فأسقط السكين، وفي تلك اللحظة بالذات، كان إلى الشمال من الخيمة: جيتي Jete، وجيلمي Jelme يقومان بذبح ثور أسود من دون قرنين، من أجل المؤونة، ولدى سماعهما صراخ ألتاني هرعا يركضان، وهما يحملان سكين الذبح وفأساً، وقبضتاهما لونهما أحمر من دم الحيوان، وبالفأس والسكين قتلا قارغيل سيرا التتاري، في عين المكان.

وعندما أخذت ألتاني، وجيتي، وجيلمي بالتشاجر فيما بينهم حول من يعود له الفضل الأساسي في إنقاذ حياة الطفل، قال جيتي، وجيلمي: لولا أننا كنا هناك، وركضنا مسرعين، ووصلنا في الوقت المناسب، وقتلناه، ماذا كان باستطاعة ألتاني، التي هي امرأة، أن تفعل؟ لقد كان باستطاعة قارغيل سيرا حرمان الطفل من حياته، وبناء عليه إن الفضل الرئيسي يعود إلينا، فقالت ألتاني: لولا أنكما سمعتما صراخي، كيف كان باستطاعتكما القدوم، وأنا عندما ركضت وتشابكت معه، وأمسكته من ضفائر شعره، وجذبت اليد التي كان ممسكاً بها السكين المشهورة، ثم لولا أن السكين كانت قد سقطت من يده، أو لم يكن باستطاعته قتل الطفل قبل وصول جيتي، وجيلمي؟، وعندما أنهت كلامهما تحقق الفضل وتعين لألتاني، بموجب الموافقة العامة، وأصبحت زوجة بوروقول الذراع الثاني للعربة، بالنسبة لبوروقول، وكانت مفيدة في إنقاذ حياة تولوي.

ومرة أخرى عندما كان بوروقول يقاتل معنا ضد الكيريث عند رمال قالاقالجيت، أصيب أوكتاي بسهم في وريد في رقبته، وسقط من فوق صهوة حصانه، ترجل بوروقول من على ظهر حصانه، وأوقفه، ومص الدم المتجلط بفمه، وأمضى الليل معه، وفي الصباح التالي، وضعه على ظهر حصان، ولكن أوكتاي لم يستطع الجلوس، فركبا معاً، وترادفا، وأمسك بوروقول أوكتاي من الخلف واستمر يمتص الدم المتجلط، ولذلك باتت زاويتا فمه حمراوان من لون الدم، وهكذا وصلا جالباً أوكتاي، ومعيداً إياه وهو حي وسالم، وفي مقابل معاناة أمي في تربيته وتنشئته، هو بالحقيقة خدم خدمتين في إنقاذ حياة ولدي الاثنين، ولقد كان بوروقول رفيقاً لي، وهو لم يتلكأ قط

لدى إيمائي إليه ودعوته

ولدى سماع صوتي وصداه وإذا ما اقترف بوروقول إلى حد تسع جرائم هو سوف لن يعاقب"، فلقد كان هذا ما أمر به جنكيز خان.

وعلاوة على ذلك قال جنكيزا خان لأوسون العجوز: "إن أوسون، قونان، وكوكوجوس، وديغي، هؤلاء الأربعة، قاموا من دون إخفاء أوستر بإخباري دوماً، والحديث إليّ حول ما رأوه وسمعوه، وأخبروني دوماً بالذي اعتقدوه، وفهموه، وجرت العادة في التقاليد المغولية أن تصبح الشخصيات ذات المراتب العليا تحمل لقب "بيكي"، وأنتم منحدرون من الأخ الأكبر الباآرين Ba'aren، وإنه بالنسبة لمرتبة "بيكي" إنك أنت يا أوسون العجوز، الذي هو من بيننا، وسيد بالنسبة لنا، سوف تصبح "بيكي"، وعندما تجري ترقية إنسان إلى مرتبة "بيكي":

هو سوف يرتدي ثياباً بيضاء،
وسيمتطي حصاناً مخصياً أبيض،
وسيجلس على مقعد عالي،
وسيكون محاطاً بالخدم.

وعلاوة على ذلك، أنا سوف أتباحث معك سنوياً، وشهرياً، وأتناقش في سبيل الحصول على نصيحتك، وليكن هذا كما أريد، ويجري تنفيذه"، وهكذا كان هو قد أمر.

وزد على هذا قال جنكيز خان: "إنه بسبب خدمة صديق الميثاق قويلدار Quyiladar في أنه كان أول من فتح فمه، وتكلم في وقت المعركة، دون أن يعبأ بحياته، ليتسلم أولاده حتى أولاد أولاده الأعطية الممنوحة لليتامى"، وكان هكذا هو أمر.

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان مخاطباً نارين توأوريل Narin To'oril ابن جاقان قوآ Čaqan Qo'a : "كان أبوك جاقان قوآ يقاتل بغيرة وحماس أمامي في معركة دالان بالجوت وذلك عندما قتل من قتل من قبل جاموقا، والآن يا توأوريل، إنه بسبب خدمات أبيك، أنت سوف تتسلم الأعطية الممنوحة للأيتام"، وعلى هذا عقب توأوريل قائلاً: "إنك إذا شئت أن تصنع معروفاً معي، ليكن معروفك هو جمع إخوتي من النيغوس Negus ، بحكم أن إخوتي من النيغوس هم موزعون متفرقون بين جميع مختلف القبائل"، وبناء عليه أمر جنكيز خان: "إذا كان الأمر كذلك، ستكون بعد جمعك لإخوتك من النيغوس مع بعضهم، مسؤولاً عنهم وآمراً لهم إلى أبناء أبنائك، أو لن تكون كذلك؟"، وكان هكذا هو أمر.

وفضلاً على هذا قال جنكيز خان لسورقان سيرا: "في الوقت الذي كنت أنا فيه صغيراً، عندما صدوراً عن الحسد اعتقلت من قبَل تارقوتاي كيريلتوق من قبيلة التايجيئوت مع إخوته، آنذاك كنت أنت يا سورقان سيرا غيوراً علي، وجعلت أنت وإبناك جيلاأون Čila'un ، وجيمباي Čimbai ابنتك قادآن Qada'an تعتني بي، وتخفيني وفيما بعد تطلق سراحي، ولقد أرسلتني مغادراً.

ولقد كنت دوماً متذكراً خدمتك الجيدة تلك

في الليلة الظلماء، في مناماتي

وفي النهار المشرق في قلبي

وبكل تأكيد أنا حافظت على ذكرى ذلك، ولكن أنت وصلت إليّ متأخراً من التايجيئوت، وإنني إذا ما أردت الآن إظهار حظوتي لك، فأي نوع من الحظوة أنت تريد وترغب؟".

وقال سورقان سيرا الذي كان مع ابنيه جيلاأون، وجيمباي: "إنك إذا أردت أن تصنع معروفاً إليّ، دعني أستخدم بحرية أراضي المراعي، ودعني أستقر وأستخدم بحرية لأراضي المركيت على نهر سيلينغي، وبالنسبة لأعمال الحظوة الأخرى، بالإضافة إلى هذه، الأمر لجنكيز خان ليقرر".

وجواباً لهذه الكلمات قال جنكيز خان: "استقر على ديار المركيت على نهر سيلينغي، وامتلك بالفعل حرية الاستخدام لأراضيها الرعوية، وأنت سوف تكون رجلاً حراً، مسموحاً لك بحمل جعبة سهام، والشرب من كأس الاحتفالات إلى أولاد أولادك، ولسوف لن تنال عقوبة إلى أن تقترف تسع جرائم"، وهكذا كان هو قد أمر.

وعلاوة على هذا أنظهر جنكيز خان المطوة نحو جيلاؤون، وجيمباي، وأعطى الأمر التالي: "إنه بناء على تذكري الكلمات التي قلتموها بها مرة يا جيلاؤون، وجيمباي، كيف ستكونا راضيين؟ يا جيلاؤون، ويا جيمباي، إنكما إذا أردتما أن تقولا الذي هو في ذهنكما، أو تريدان أن تطلبا شيئاً أنتما تحتاجان إليه، لا تخبرا وسيطاً حوله، أنتما شخصياً، من خلال أمريكما، أخبراني أنتما بنفسيكما بالذي فكرتما به، واطلبا مني لنفسيكما الذي تحتاجان إليه".

وعلاوة على ذلك، هو أعطى الأمر التالي: "أنتم أيها الرجال الأحرار، يا سورقان سيرا، وبأداي، وكيسليق، أنتم أيضاً كرجال أحرار:

عندما ستطاردون أعداء كثيرين بسرعة

إنكم إذا حصلتم على غنائم

ما ستحصلون عليه ضموه جانباً وخذوه

وفي أثناء حملات الصيد

إذا اصطدتم حيوانات برية

إن ما سوف تذبحونه سوف تأخذونه لأنفسكم.

وأما بالنسبة لسورقان سيرا، هو كان مجرد خادم التايجيوت، وكان بأداي، وكيسليق مجرد راعيين لخيل الجيرين Cerен ، والآن بتأييدي تمتعوا بامتياز أن يكونوا رجالاً أحراراً، مسموحاً لهم بحمل جعاب السهام، والشرب من خمرة الاحتفالات الرسمية.

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان لنايا Naya's "عندما قام العجوز سيرغوتو Sirgotu مُمسكاً بولديه: آلاق، ونايا] باعتقال تارقوتاي كيريلتوق، وكان على طريقه متابعاً السير نحونا، وصل إلى منعطف نهر قوتوقول،

قال ناياآ: كيف يمكننا متابعة الذهاب، ونحن معتقلين ومبعدين لمولانا الشرعي، ولأنك لم تكن قادراً على التخلص منه، والاستمرار في اعتقاله، أنت أطلقت سراحه، وأرسلته ليذهب بحال سبيله.

وعندما وصل العجوز سيرغوتو معكما [ولديه: آلاق، وناياآ] آنذاك قال ناياآ بيليجاأور: نحن ألقينا القبض على مولانا الشرعي تارقوتاي كيريلتوق، وكنا قادمين إلى هنا، غير أننا لم نكن قادرين على الاستمرار باعتقاله، فأطلقنا سراحه، وتركناه يذهب في حال سبيله، ووصلنا لنقدم خدماتنا لجنكيز خان، وكنا نحن قد قلنا لأنفسنا، لو أننا وصلنا ونحن معتقلون لمولانا الشرعي، لسوف يقال عنا: إن أناساً ألقوا القبض على مولاهم الشرعي، كيف يمكن الوثوق بهم في المستقبل؟، ولذلك نحن لم نكن قادرين على الاستمرار باعتقال مولانا الشرعي.

ثم إنه بسبب أنهم لم يكونوا قادرين على الاستمرار باعتقال مولاهم الشرعي، كانت الحقيقة الماثلة في ذهننا حول التمسك بالمبدأ الكبير [المتعلق بالعلاقة المتبادلة والواجبات بين السيد والرعية] أنا وافقت على كلامه وقلت: إنني سوف أعيد إليه بوظيفة مهمة، والآن سوف يكون بوأورجو مسؤولاً عن العشرة آلاف العائدين للجناح الأيسر، سأعطيه لقب "أمير دولة"، والآن سوف يكون ناياآ مسؤولاً عن العشرة آلاف العائدين للمركز"، وهكذا كان هو قد أمر.

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان: "سوف يكون جبة، وسوبيتاي، أي كل واحد منهما قائداً لألف، ومتولياً للعدد الكبير من الناس، الذين استطاع كل واحد منهما الحصول عليهم لنفسه، وتنظيمهم على أنهم الخاضعين لأسرته وسلالته الخاصة به.

وعلاوة على ذلك جعل جنكيز خان الراعي ديني يجمع مع بعضهم الحواشي غير المسجلين، ووضعه مسؤولاً عن ألف.

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان: "بحكم أن النجار غوجوغور Gučugur ليس لديه ما يكفي من الرعية حتى يشكل وحدة ألف، ليتم جمع هؤلاء من هنا وهناك، ومن ثم يعطون إليه، وبما أنه من بين الجادران كان مولقالقو Mulqalqu رفيقاً كاملاً بالنسبة إليّ، ليقم غوجوغور، ومولقالقو، بتولي معاً إمرة ألف، وليتشاور أحدهما مع الآخر.

وجعل جنكيز خان قادة للألوف الذين أسسوا الدولة معه، والذين عانوا معه، وقد شكل وحدات الألوف وعين قادة: للألوف، والمئات، والعشرات، وشكل وحدات عشرة آلاف، وعين قادة لعشرات الألوف، وبالنسبة لقادة عشرات ألوف، وقادة الألف الذين ظهروا مؤتمنين لمنحهم جوائز، هو منحهم جوائز، والذين ظهروا مؤتمنين لتولية القيادة، هو ولاهم قادة، وأعطاهم الأمر التالي: "كان لدي من قبل ثمانين رجلاً ليخدموا على لائحة الخدمة كحرس ليلي، وسبعين ليخدموا كحرس نهاري، والآن بوساطة قوة السماء الخالدة ازدادت قوتي، وبوساطة السماء والأرض أخضعت جميع الناس وجعلتهم يقدمون الولاء لي، وأن يصبحوا تحت حكمي الفردي، وبناء عليه قوموا الآن باختيار رجال ليخدموا على لائحة الخدمة كحرس نهاري من مختلف الآلاف، اوتجنيدهم من أجلي، وعندما ستجندونهم، وتكونوا قد امتلكتم حرساً ليلياً، وحاملين لجعب السهام، وحرساً نهارياً مسجلين، جندوهم واستمروا بذلك إلى أن يبلغ عددهم عشرة آلاف بالكامل"، وهكذا هو كان قد أمر.

وعلاوة على ذلك أعلن جنكيز خان الأمر التالي موجهاً إلى مختلف الآلاف، حول ما تعلق باختيار الحرس وتجنيدهم: "عندما سيجري تجنيد الحرس من أجلنا، لسوف يدخل في خدمتنا أبناء قادة عشرات الألوف، والألف، والمئات، أو أبناء الناس العاديين، إن الذين سيجري تجنيدهم سيكونوا من القادرين، ولهم مظهراً حسن، والذين ينظر إليهم على أنهم موائمين للخدمة إلى جانبنا، وعندما ستجندون من أبناء قادة الألوف، على كل واحد منهم أن يجلب معه عشراة مرافقين، وأخ واحد أصغر، وعندما ستجندون من أبناء قادة المئات، على كل واحد منهم أن يجلب معه خمسة مرافقين، وأخ واحد أصغر، وعندما ستجندون من أبناء قادة العشراوات، أو من أبناء الناس العاديين، على كل واحد منهم أن يجلب معه ثلاثة مرافقين، مع أخ واحد أصغر، وهؤلاء سوف يزودون بمطايا كاملة التجهيز، وسيكون التزويد من قبل الوحدات التي يعودون إليها بالأصل، وعندما سيجري على هذا الشكل تقوية عدداً الذين سيوضعون للخدمة إلى جانبنا، إن المرافقين العشرة، الذين سوف يعطون إلى كل واحد من أبناء قادة الألوف، ينبغي سحبهم من وحدات الألف، ومن وحدات المئات، التي جاءوا منها بالأصل، وسواء أكانوا، أو لم تكن لهم حصة في السلع المعطاة من قبل آبائهم، وبصرف النظر عن عدد الرجال والخيول المخصية التي حصلوا عليها شخصياً، وعدّت كملكية أسروية خاصة بهم، سوف يجري فرض ضريبة ــ مستقلة عن حصتهم الشخصية من السلع ــ وتحصيلها من المطايا والرجال، وفقاً للعدد المثبت من قبلنا، ولسوف يعطون الرجال والمطايا المعدة من الذين جرى تحصيلهم بموجب الضريبة، وفق هذه الطريقة، وتماماً وفق الطريقة نفسها، سوف يعطى لكل واحد من أبناء قادة

المئات، خمسة مرافقين، وثلاثة مرافقين لكل واحد من أبناء قادة العشرات، ومثل ذلك إلى أبناء الناس العاديين"، وهكذا كان هو قد أمر.

وأمر كذلك: "إنه بالنسبة لقادة الألوف، وقادة المئات، وقادة العشرات، والأعداد الكبيرة من الناس العاديين، الذين تسلموا أمرنا هذا، أو الذين سمعوا، إن أي واحد سيخرقه، سيعد مذنباً، وسيكون عرضة للعقوبة، وأما بالنسبة للناس الذين جرى تجنيدهم للخدمة على لائحة الخدمة لدينا، إذا كان أي واحد منهم غير موائم للواجب، لأنه يتهرب منه، عاداً الخدمة إلى جانبنا صعبة جداً، نحن سوف نجند آخرين ليحلوا محلهم، ولسوف نعاقب هؤلاء الناس، وسنرسلهم إلى مكان بعيد، بعيداً عن ناظرينا.

وقال هو أيضاً: "إن الناس الذين قدموا إلينا من أجل أن يتعلموا الخدمة في داخل الخيمة إلى جانبنا سوف لن يعاقبوا".

وبما أن جنكيز خان كان قد أصدر أمراً قضى باختيار حرس من وحدات الألف، ووفقاً للأمر نفسه، لاختيار الأبناء من قادة المئات، والعشرات، فعندما قدم هؤلاء، وبما أنه كان هناك من قبل ثمانين كحرس ليلي، هو أوصل الآن عددهم إلى ثمانمائة، كما أنه قال: "على رأس الثمانمائة، أضيفوا العدد إلى أن تجعلوه ألفاً كاملاً".

وهو قد أمر قائلاً: "إن الذين يريدون إدراج أسمائهم في الحرس الليلي سوف لن يعاقبوا"، وهو أمر أيضاً: "سوف يكون ييكي نيأورين Yeke Ne'urin قائداً للحرس الليلي، ولسوف يكون متولياً لإمرة ألف رجل".

وكان من قبل جرى اختيار أربعمائة من حملة جعاب السهام، ثم جرى اختيارهم من جديد، أمر قال: "سوف يكون ييسون تياي Yisun Te'e بن

جيلمي، قائداً لحملة جعاب السهام، ولسوف يعمل بالتشاور مع بوغيدي Bugidei كقائد لإحدى مجموعات حملة الجعاب، وسيلتحق هورقوداق Horqudaq كقائد لإحدى مجموعات حملة الجعاب، وسيلتحق لابلاقا Lablaqa كقائد لإحدى مجموعات حملة جعاب السهام، ولسوف يجعل هؤلاء الأربعة أتباعهم من حملة جعاب السهام يلتحقون بمختلف مجموعات الحرس النهاري لحمل الجعاب، وأولئك يصيروا قادتهم، ولسوف يضيف ييسون توإي إلى حملة جعاب السهام ليجعل عددهم يصل إلى ألف تماماً، وسيتولى قيادتهم جميعاً.

وأوصل جنكيز خان عدد الحراس النهاريين الذين كانوا مسجلين من قبل مع أوغيلي جيربي Ogele Čerbi إلى ألف كامل، وقال: "سوف يكون أوغيلي جيربي الذي هو من أسرة بوأورجو Bo'orču ، مسؤولاً عنهم وآمراً لهم"، وقال أيضاً: "إنه بالنسبة لألف واحد من الحرس النهاري، سوف يكون بوقا Buqa من أسرة موقالي، مسؤولاً عنهم وآمراً لهم"، وقال أيضاً: "سوف يكون ألجيداي Alčidai من أسرة إيلوغي Ilugei مسؤولاً عن ألف من الحرس النهاري وآمراً لهم"، وقال أيضاً: "سوف يكون دودي جيربي Dodei Čerbi مسؤولاً عن الحرس النهاري وآمراً لهم، ودوقولقو جيربي Doqolqu Čerbi مسؤولاً عن ألف من الحرس النهاري وآمراً لهم"، وهو أمر أيضاً: "سوف يكون جاناي Čanai من أسرة جورجيدي Jurčedei مسؤولاً عن ألف من الحرس النهاري، وآمراً لهم، وسيكون أقوتاي Aqutai من أسرة ألجي Alči مسؤولاً عن ألف من الحرس النهاري، وآمراً لهم، وسيكون أرقاي قاسار Arqai Qasar مسؤولاً عن ألف من الحرس النهاري وآمراً لهم، ولسوف يكون هناك أيضاً ألفاً منتخبين من المحاربين الشجعان،

سيخدمون في أيام السلم الكثيرة كحرس نهاري، وسيقفون في أيام القتال أمامي، وسيكونوا مقاتلين شجعان".

وهكذا بات هنالك ثمانية الاف من الحرس النهاري، جرى انتخابهم من مختلف الألاف، وكان هنالك أيضاً ألفين من الحرس الليلي مع جعب سهام، وسيكون هناك ما مجموعه عشرة آلاف من الحرس.

وأمر جنكيز خان : "سوف تجري تقوية العشرة آلاف من الحرس المرتبطون بنا، ولسوف يصبحون الكتلة الأساسية للجيش، وكان هذا ما أمر به.

وعلاوة على ذلك عندما أصدر جنكيز خان الأمر بتعيين الذين سوف يكونوا القادة الأربعة الكبار، للمجموعات الأربع من الحرس النهاري، الذين سيكونوا على جدول الخدمة، قال: "سوف يكون بوقا مسؤولاً عن إحدى مجموعات الحرس، وسيكون قائداً لها ، وسيتولى دوره في الخدمة، وسيكون الجيداي مسؤولاً عن إحدى مجموعات الحرس، وسيكون قائداً لها، وسيتولى أداء دوره في الخدمة، وسيكون دودي جيربي مسؤولاً عن إحدى مجموعات الحرس، وسيكون قائداً لها، وسيتولى أداء دوره في الخدمة، وسيكون دوقولقو جيربي مسؤولاً عن واحدة من مجموعات الحرس، وسيكون قائداً لها، وسيقوم بدوره في الخدمة"، وعلى هذه الصورة هو عين القادة الكبار للمجموعات الأربع على جدول الخدمة.

وأعلن جنكيز خان الأمر حول أداء أدوار الخدمة ونشره بقوله: "إنه عندما يأخذ قائد الجماعة دوره في أداء الخدمة، عليه القيام بنفسه بحشد الحرس الذين سيخدمون حسب جدول الخدمة، ومن سيتولى مسؤولية

دوره، وبعد إمضائه ثلاثة أيام وثلاث ليالي مع الحرس، يقوم بإراحتهم، وإذا تقاعس عضو في الحرس عن أداء دور خدمته، فإن الحارس الذي تقاعس سيعاقب انضباطياً بثلاث ضربات بالعصا، وإذا ما تقاعس الحارس نفسه للمرة الثانية، وتخلف عن القيام بدوره في الخدمة، سيعاقب انضباطياً بسبع ضربات بالعصا، وإذا ما حدث مرة أخرى وتقاعس الرجل نفسه، ولم يكن مريضاً بجسده، ولم يكن آخذاً موافقة قادة المجموعة، وكانت هذه المرة الثالثة التي لم يقم بها بدوره في الخدمة، وبذلك عدّ الخدمة التي يقوم بها إلى جانبنا صعبة جداً، سوف يعاقب انضباطياً بضربه سبعاً وثلاثين ضربة بالعصا، ومن ثم إرساله إلى منطقة نائية بعيداً عن ناظرينا"، ولقد كان هذا ما أمر به.

وهو أمر أيضاً: "إن على كبار القادة في الجماعات إعلان هذا الأمر للحراس في كل دور ثالث للخدمة، وإذا لم يعلن كبار القادة هذا الأمر، سوف يكونوا مذنبين وعرضة للعقوبة، وعندما يكون الحرس قد سمعوا الأمر، وجحدوه، وتقاعسوا عن أداء دورهم بالخدمة، وفقاً للأمر سوف يكونوا مذنبين، وعرضة للعقوبة"، ولقد كان هذا ما أمر به.

وقال أيضاً : " لا يجوز لكم أيها القادة الكبار للجماعات تأنيب حراسي بقسوة ولا تعنيفهم من دون إذني، ذلك أن الذين جرى تسجيلهم كحرس هم مساوون لكم، فلا يجوز لكم إهانتهم على أساس مراتبكم العالية، وإذا ما خرق أحدهم القانون أخبروني، فالذين سيكونوا مستحقين للإعدام، من المؤكد سوف يجري إعدامهم، والذين يستحقون الضرب، من المؤكد أنهم سيرغمون على التمدد على الأرض، وسيجري ضربهم، وإذا ما أقدم أي واحد منكم، من باب فرض السيادة بمدّ اليد على حراسي، وضربهم

بالعصا، سوف يجري القصاص منهم بالضرب بالعصا، ومن أجل الضرب بقبضات اليد، سوف يكون القصاص بضربات اليد".

وعلاوة على ذلك أمر جنكيز خان: "إن حراسي هم أعلى مكانة من قادة الآلاف في الخارج، وخدم حراسي هم أعلى مقاماً من قادة المئات والعشراوات في الخارج، وإذا ما عدّ قادة الألوف أنفسهم كمساوين ومضارعين لحرسي، وتخاصموا معهم، نحن سوف نعاقب الأشخاص الذين هم قادة الألوف"، وهكذا هو الأمر.

وعلاوة على ذلك أصدر جنكيز خان الأمر التالي، ونشره وأعلم به قادة مختلف الجماعات: "عندما يقوم حملة جعاب السهام، والحرس النهاري، والوكلاء بتنفيذ دورهم في الخدمة سوف يقوم كل واحد منهم بتنفيذ واجبه في مركزه المحدد، وعندما تغيب الشمس سوف ينسحبون لكي يجري إبدالهم بالحرس الليلي، ولدى مضيهم إلى الخارج هم سوف يقضون الليل هناك، وفي أثناء الليل، سوف يمضي حراس الليل، الليل إلى جانبنا، وسيغادر حملة جعاب السهام، وسيحولون جعاب سهامهم، والوكلاء طاسوتهم وآنيتهم، ويسلموها إلى الحرس الليلي، وفي الصباح التالي، سوف يبقى حملة جعاب السهام، والحرس النهاري، والوكلاء، الذين أمضوا الليل في الخارج، في محطة الخيول، وذلك أثناء تناولنا لحسائنا، ومن بعد ذلك سيحلون محل الحرس الليلي، وعندما نكون قد فرغنا من أكل حسائنا الصباحي، سوف يعود حملة جعاب السهام إلى جعاب سهامهم، والحرس النهاري إلى مكانهم المحدد، والوكلاء إلى طاسوتهم وآنيتهم، ويتوجب على الذين تولوا دورهم حسب جدول الخدمة أن يتصرفوا جميعاً هكذا، وتماماً وفق الطريقة نفسها تبعاً لهذا الأمر"، ولقد كان هذا ما أمر به.

وقال: "إن أي شخص يتحرك محاولاً العبور من خلف أو من أمام قصرنا بعد غياب الشمس، سوف يجري اعتقاله، ولسوف يحتفظ به الحرس الليلي معتقلاً خلال الليل، وفي الصباح التالي، سيقوم الحرس الليلي باستجوابه، وعندما يجري منح الجماعة الاستراحة، سوف يقوم الحرس الليلي الآتي بتسليم مواقعهم، وفقط عندئذ يأتي ويتسلم دوره في الخدمة، وعندما يجري منح الاستراحة للحرس الليلي المنتهية خدمتهم هم مثل ذلك سيسلمون مواقعهم ويغادرون".

وقال : "يقوم الحرس الليلي كله بالتربص أثناء الليل حول القصر، ويتوجب عليكم أيها الحراس الليليون، الذين يقفون يحرسون الباب، القطيع إرباً إرباً أية أشخاص يدخلون أثناء الليل، إلى أن تكون رؤوسهم قد مزقت، وأكتافهم أصبحت أجزاء، ثم إرموهم بعيداً، وإذا ما جاء أية أشخاص أثناء الليل مع رسالة مستعجلة، عليهم أن ذكر ذلك إلى الحرس الليلي، ومن ثم يوصل الرسالة لي، وذلك أثناء وقوفهم مع بعضهم مع الحرس الليلي عند مؤخرة الخيمة.

ولا يجوز لأحد أن يجلس في مكان بين الحرس الليلي والخيمة، ولا يجوز لأحد أن يدخل إلى فناء الخيمة من دون إذن من الحرس الليلي، ولا يجوز لأحد أن يسير وراء الحرس الليلي، ولا يجوز لأحد السير بين الحرس الليلي، ولا يجوز لأحد أن يسأل عن عدد الحرس الليلي، ولسوف يقوم الحرس الليلي باعتقال الناس الذين يسيرون وراءهم، وسوف يعتقل الحرس الليلي الناس الذين يسيرون بينهم، وفيما يتعلق بأي شخص سوف يسأل الحرس الليلي عن عددهم، على الحرس الليلي الاستيلاء على الحصان الخصي الذي كان ذلك الشخص ممتطياً له في ذلك اليوم بالذات،

مع السرج واللجام، وكذلك مع الملابس التي كان مرتديا لها، ولقد كان هذا ما أمر به.

ومع أن إيلجيدي كان شخصاً موثوقاً به، هو جرى اعتقاله من قبل الحرس الليلي، عندما كان في المساء يسير خلفه، أو لم يحدث ذلك؟.

الفصل العاشر

قال جنكيز خان:

" القادة الكبار للحرس الليلي، الذين هم في الليلة القاتمة

متربصون كامنون حول خيمتي التي لها " روزنة "

ضامنين متأكدين من أنني نمت بهدوء وسلام

أنتم جعلتموني أنال العرش

حرسي الليلي المبارك، هو الذي في الليلة الكثيرة النجوم

هم كلهم متربصون كامنون حول قصر خيمتي

ضامنين متأكدين من أنني في فراشي من دون خوف

أنتم الذين جعلتموني أنال العرش العالي

حرسي الليلي الشجعان حقاً هم في دوامة،

العاصفة الثلجية،

وفي البرد القارص، وفي المطر المنهمر، لا يلجأون إلى الراحة

بل يقفون جميعاً حول خيمتي المشبكة

جالبين السلام إلى قلبي.

أنتم جعلتموني أنال عرش البهجة هذا،

حرسي الليلي الموثوقين، هم الذين في وسط

الاضطراب يجعلون العدو، لا يغمض عيناً،

يقفون جميعاً حول خيمتي المصنوعة من اللباد،

صامدين أمام مهاجميهم،

أفراد حرسي الليلي المتيقظين، هم الذين عندما يسمعون قعقعة،

جعاب سهام العدو المصنوعة من لحاء خشب البتولاء،
ينتصبون والقين من دون تأخير،
حرسي الليلي السريع الحركة هو الذي لدى سماعه
جعاب سهام
العدو المصنوعة من خشب الجوز وهي تقعقع،
ينتصب واقفاً من دون تأخير للحظة واحدة
من الآن فصاعداً يا حرسي الليلي المبارك
رجالك سوف يدعون أنفسهم "قادة الحرس الليلي وشيوخهم".

والسبعون من الحرس النهاري الذين تسجلوا مع أوغولي جيربي Ogole Čerbi سوف يدعون "الحرس النهاري العظيم، والمقاتلين الشجعان لدى أرقاي قاسار، سوف يدعون "قادة المقاتلين الشجعان وشيوخهم" وحاملي جعاب السهام يسمون تياي، وبوغيدي، مع الآخرين سوف يدعون "الحملة الكبار لجعاب السهام"، ولقدا كان هذا ما أمر به.

وقال جنكيز خان: "إنه بالنسبة لعشرة آلاف، الذين هم حرسي الشخصي، الذين قدموا للخدمة في حضرتي، وجرى اختيارهم لخدمتي الشخصية، من الخمسة والتسعين ألف رجل، أنتم يا أولادي، الذين سوف يجلسون فيما بعد على العرش إلى أبناء أبنائي، قدروا هؤلاء الحراس، وفاء لي وحفظاً لسمعتي وصوناً لكرامتي، لا تعطوهم سبباً لعدم الرضاء، بل اعتنوا بهم خير عناية، أوليس هؤلاء العشرة آلاف حارس هم الذين سوف يدعون بأرواحي المحصنة؟".

وعلاوة ذلك قال جنكيز خان: "سوف يكون الحرس الليلي مسؤولاً عن الخادمات من الإناث التابعات للقصر، وعن أبناء أرباب وربات البيوت،

وعن الجمالة، وعن البقارة، وسوف يتولون العناية بعربات خيام القصر، وسوف يتولى الحرس الليليون العناية بالأعلام، وبالطبول، وبالرماح المعدة لحملهم، وسيتولى الحرس الليلي العناية بالزبادي والطاسات والآنية، وسوف يشرف الحرس الليلي على شرابنا وطعامنا، وسيتولى الحرس الليلي الإشراف على اللحوم غير المقطعة، وعلى طبخها، وعلى الأطعمة أيضاً، وإذا كان هناك نقص بالشراب والطعام سوف نطلبهم من الحرس الليلي، الذين عهد إليهم بالإشراف عليهم"، كما أنه قال: "عندما يوزع حملة جعاب السهام الشراب والطعام، عليهم عدم توزيعهم إلا بعد الحصول على الإذن من الحرس الليلي المشرف عليهم، وعندما يوزعون الطعام، عليهم أن يبدأوا أولاً بالحرس الليلي"، وقال هو أيضاً: "ينبغي تنظيم الدخول إلى خيمة القصر والخروج منها من قبل الحرس الليلي، وعند الباب سوف يقف البوابون من الحرس الليلي بعد الخيمة مباشرة، وسيدخل اثنان من الحرس الليلي إلى الخيمة ويتفقدون أباريق القمز الكبيرة"، وهو قال أيضاً: "يتوجب على معلمي المعسكرات من الحرس الليلي المضي قبلنا، من أجل نصب خيمة القصر"، وهو قال أيضاً: "عندما نذهب نصطاد بالبزاة، أو نذهب للصيد، سوف يذهب الحرس للصيد بالبزاة، وللصيد معنا، ولكن قطعاً نصفهم سوف يبقون في العربات".

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان: "إذا نحن لم نذهب شخصياً في حملة عسكرية، يتوجب على الحرس الليلي عدم النزول إلى الميدان من دوننا"، ولقد كان هذا ما قاله، وأعطى الأمر التالي: "إننا بعد إصدار هذه التعليمات من قبلنا، إن الحجاب المتولين لمسؤولية قيادة العساكر، الذين سيخرقون الأمر، وصدوراً عن الغيرة من الحرس الليلي، سوف يرسلونهم

في حملات، سيكونوا مذنبون، وعرضة للعقوبة"، وقال هو أيضاً: "أنتم تقولون: لماذا لا يجري إرسال الجنود من الحرس الليلي في الحملات؟، إن الحرس الليلي هو الذي يتولى السهر على حياتي الملكية الذهبية وحراستها، وعندما أذهب أنا للصيد بالبزاة، أو للصيد، سوف يذهبون معي لكونهم مسؤولين عن إدارة القصر، وسواء أكان هذا القصر ثابتاً أو متحركاً، هم المكلفون بالإشراف على العربات والاهتمام بها، فهل هو أمر سهل إمضاء الليل بالسهر لحراسة شخصي؟، وهل هو شيء سهل الإشراف على عربات الخيام والاعتناء بها، عندما يكون المعسكر الأساسي متحركاً أو مستقراً؟ وسبب قولنا أنهم ينبغي عدم نزولهم لوحدهم إلى الميدان من دوننا، هو قولنا لأنفسنا: هم مكلفون بكثير جداً من الواجبات المتميزة تماماً، ومباشرون للقيام بها".

وعلاوة على ذلك أعطى جنكيز خان الأمر التالي: "سوف يقوم بعض من الحرس الليلي بالمشاركة باتخاذ القرارات حول مسائل قضائية مع سيغي قوتوقو Sigi Qutuqu "، وقال أيضاً: "سوف يتولى بعض من الحرس الليلي العناية بجعاب السهام، والأقواس، والدروع، والأسلحة، وهم سيتولون توزيعهم، والمسؤولية عن بعض الخيول المخصية، فهم الذين سيتولون تحميل شباك الصيد عليهم"، وقال أيضاً: "سوف يتولى بعض من الحرس الليلي مع الحجاب توزيع الحرير السلطاني"، وهو قال أيضاً: "عندما يكون حملة جعاب السهام، والحرس النهاري رفعوا تقريرهم حول نصب المعسكر، سوف يتولى حملة جعاب السهام مثل: ييسون تيإي، وبوقيدي، والحرس النهاري مثل: ألجيداي، وأوغولي، وألقوتاي، الواجب على الجانب الأيمن [أي الغربي] من القصر"، وقال أيضاً: "سوف يتولى الحرس النهاري مثل : بوقا، ودودي، وجيربي، ودقولقو جيربي، وكاناي مهمة

واجب الجانب الأيسر ـــ أي الجانب الشرقي ـــ للقصر"، وقال: "سوف يتولى المقاتلون الشجعان التابعين لأورقاي مهمة الواجهة ـــ أي الجانب الجنوبي ـــ للقصر"، وقال: "بما أن الحرس الليلي تولى العناية بعربات خيام القصر، هم سوف يتولون أيضاً المسؤولية عن المنطقة المجاورة للقصر من الجانب الأيسر – الشرقي ـــ"، وقال : "سوف يشرف دودي جيربي باستمرار على القصر، وعلى: جميع الحراس الذين هم من الحراس النهاريين، ومن حول القصر، وعلى أبناء بطانة القصر وخدمه، وعلى رعاة الخيل، ورعاة الأغنام، وعلى الجمالة، وعلى البقارة"، وهو حيّنه وأعطاه الأمر التالي: "سوف يتولى دودي جيربي واجب أن يكون موجوداً دائماً في المؤخرة، أي في الجانب الشمالي، من القصر.

وهو يأكل الفضلات المتبقية،

ويحرق الروث المجفف.

وبعث جنكيز خان قبلاي نويان للقتال ضد القارلوأوت Qarla'ut ، فجاء أرسلان خان مقدم القارلوأوت ليخضع لقبلاي، وأخذ قبلاي نويان أرسلان خان معه وهو عائد وجعله يقدم الولاء إلى جنكيز خان، ولأن أرسلان خان لم يبد المقاومة، أظهر جنكيز خان الحظوة نحوه، وقال: "إنني سوف أعطيه ابنة بالزواج".

وفي عام الأرنب البري (١٢٠٧) أرسل جنكيز خان جوجي مع عساكر الجناح الأيمن في حملة ضد شعب الغابة، وذهب معه بوقا ليعمل كدليل، وقدم قودوقابيكي مقدم الأويرات ليخضع، وكان على رأس تومين أويرات، هو وصل، وعمل كدليل لقائد جوجي إلى أرض التومين أويرات، وجعلهم يخضعون عند نهر سيقسيت Siqsit (أوسيسخيس Sisgis) وجلب

جوجي: الأويرات، والبوريات، والبارغون، والأورسوت، والقابقانس Qabqanas والقانغقاس Qanqqas والتوباس Tubas ليكونوا تحت الطاعة.

وعندما وصل إلى أراضي التومين الكيرغيسوت Tumen Kirgisut، جاء قادتهم: بيدي إينال Yedi Tnal، وآلدي إير Aldi Er، وأوريبيك ديغين Orebek Digin، لقد جاء قادة الكيرغيسوت هؤلاء، لتقديم الطاعة، جالبين هدايا معهم صقور صيد بيضاء، وخيول مخصية بيضاء وجلود فراء سمور سود، وقدموا الولاء لجوجي.

وبعد ما أخضع جوجي شعب الغابة من السيبير Sibir، والكيسديم Kesdem، والبايت Bayit، والتوقاس Tuqas، والتينليك Tenlek، والتوليليس To'eles (أو التولولوس) والتاس Tas، والباجيغيت Bajigit، لمتداداً حتى هذا الجانب، وعاد جالباً معه قادة العشرة آلاف، وقادة الآلاف للكيرغيسوت، وقادة شعب الغابة، وجعلهم يقدمون الولاء والطاعة إلى جنكيز خان، مع صقور صيد بيضاء، وخيول مخصية بيضاء، وجلود فراء سمور سود.

ورحب جنكيز خان بقودوقا بيكي Quduqa Beki مقدم الأويرات، قائلاً هو جاء ليخضع قبل الآخرين، وهو يقود معه التومين أويرات، وأظهر الحظوة، وأعطى جيجيغين Cecyigen إلى ابنه اينالجي Inalci، وأعطى قولويقان Qoluiqan ابنة جوجي إلى توروليجي Torolci الذي كان الأخ الأسن لإينالجي، وأعطى ألاقابيكي إلى حاكم الأونغوت.

وأثنى جنكيز خان على جوجي قائلاً: "أنت يا جوجي أسن أولادي، الذي غادر الوطن الآن للمرة الأولى، وأنت كنت محظوظاً، ذلك أنك ذهبت

دون أن تسبب الأذى إلى إنسان أو حصان مخصص في الأراضي التي ذهبت إليها، وأنت عندما عدت كنت قد أخضعت شعب الغابة المحظوظ ولذلك أنا سوف أعطي هؤلاء الناس إليك"، وهكذا كان قد أمر.

وعلاوة على ذلك هو أرسل بوروأول نويان Boro'ul Noyan ليقاتل ضد شعب القوري تومات Qori Tumat ، ذلك أنه عندما مات دايدوقول سوقور Daidüqul Soqor الذي كان قائد شعب التومات، باتت زوجته بوتوقوي تارقون Botoqui Tarqun هي الحاكمة لهم، ولدى الوصول إلى أراضيهم، قام بوروقول مع اثنين آخرين -أي ثلاثة رجال مع بعضهم — بالانطلاق بعيداً عن الجيش الأساسي، وذلك بهدف السير أمامه، وفي المساء عندما كانوا يسيرون على امتداد أثر ممر في الغابة الكثيفة، وكانوا من دون حراسة، تمت مهاجمتهم من الخلف، من قبل طلائع التومات وكشافتهم، الذين قطعوا الممر، وجرى أسر بوروقول نويان وقتله.

وعندما علم جنكيز خان بأن التومات قتلوا بوروقول، غضب غضباً شديداً، واستعد ليتحرك شخصياً ضدهم، ولكن بوأورجو، وموقالي رجواه حتى اقتنع بالعدول، وبناء عليه هو عين دوربي دوقسين Dorbei Doqsin مقدم الدوربيت Dorbei : وأصدر أمره إليه هكذا: "ضع الجيش تحت نظام دقيق، وتوجه بالدعاء إلى السماء الخالدة، وناضل في سبيل إخضاع شعب التومات".

وعبأ دوربي الجيش، وقبل أن يتحرك عمل مناورة خادعة، على امتداد الممرات، والدروب، والمعابر التي كان من المتوقع للجيش الزحف خلالها، والتي كانت كشافة العدو مديمة المراقبة لها، ثم مضى يسير فوق الممرات المصنوعة بسير الثور الأحمر عليها، وأصدر أمراً إلى محاربيه

مع جميع رجال الجيش : إنه إذا ما يخاف أي واحد، ورفض متابعة الزحف عليهم ينبغي ضربه، وجعل كل رجل يحمل عشرة عصي من أجل هذه الغاية، وأمر أيضاً بإعداد : فؤوس، وشواطير، ومناشير، وأزاميل، وأسلحة للرجال، وعلى امتداد الممرات المصنوعة بسير الثور الأحمر، هو نجر الأشجار، وقطعها، ونشرها، جميع الأشجار التي وقفت في الطريق، وهكذا صنع طريقاً للجيش ليسير عليه.

وهم صعدوا إلى أعلى، وانقضوا على شعب التومات، وكأنهم ساقطين من فوهات مداخن الخيام، وكان التومات مشغولين يحتفلون، فأخذوهم بعامل المفاجأة، ونهبوهم.

ومن قبل هذا كان قورجي نويان، وقودوقابيكي قد أسرا من قبل التومات وكانا هناك مع بوتوقوي تارقون، وكانت الطريقة التي أسر بها قورجي هي كما يلي: عندما قال جنكيز خان: "إن فتيات شعب التومات جميلات، دعوه يأخذ ثلاثين زوجة من بينهن" ذهب قورجي عازماً على أخذ الفتيات من شعب التومات، ولكن هؤلاء الناس الذين كانوا قد خضعوا من قبل، هم ثاروا الآن، واعتقلوا قورجي نويان.

وعندما علم جنكيز خان بأن قورجي قد اعتقل من قبل التومات هو قال: "قودوقا يعرف الطرقات وأخلاق شعب الغابة"، وأرسله إليهم، ولكن قودوقا اعتقل أيضاً.

وبعدما أخضع جنكيز خان شعب التومات بالكامل، أعطى بسبب موت بوروقول مائة من التومات إلى أسرته، وأخذ قورجي ثلاثين فتاة، وأعطى جنكيز خان بوتوقوي تارقون إلى قودوقا بيكي.

ورسم جنكيز خان بأنه سوف يوزع شعب الرعية بين أمه، والأولاد، والإخوة الأصغر، وبعدما أعطاهم حصصهم هو قال: "إن الإنسان الذي

تعب أكثر من غيره في جمع الناس كانت الأم، وإن الأسن بين أولادي هو جوجي، وإن الأصغر بين إخوتي هو أوتجيجين"، وإلى أمه أعطى مع حصة أوتجيغين ألفاً من الناس، ولكن كانت الأم غير راضية، معتقدة أنهم كانوا قليلين كثيراً، ولكنها لم تشتكي.

وإلى جوجي أعطى تسعة آلاف من الناس، وإلى جاأداي Ča'adai هو أعطى ثمانية آلاف من الناس، وإلى أوغودي Ogodei هو أعطى خمسة آلاف من الناس، وإلى تولوي هو أعطى خمسة آلاف من الناس، وإلى قاسار هو أعطى أربعة آلاف من الناس، وإلى ألجيداي Alčidai هو أعطى ألفين من الناس، وإلى بيلغوتي هو أعطى ألف واحد وخمسمائة من الناس.

وهو قد قال: "لقد التحق داريتاي بالكيريت، أنا سوف أزيله من أمام ناظري"، وحول ذلك تكلم بوأورجو، وموقالي، وسيغي قوتوقو قائلين: سوف يكون هذا العمل

مثل إطفاء الإنسان لنار موقده

ومثل تدمير الإنسان لخيمته

إن الذي بقي من ذكرى أبيك الصالح عمك أخو أبيك، فقط، كيف يمكنك أن تبعده وتلغيه؟ هو عمل من دون تفكير، لذلك دعه ووفره، واسمح للأخ الأصغر من أبيك الصالح مع شعبه، في سبيل ترك دخان معسكرهم يتصاعد نحو الأعلى،"وناقشوه إلى أن تحرك واستجاب منفعلاً.

وتنفس بصوت مسموع، وكأنه كان

هناك دخان في أنفه

وقال: "صحيح"، وتذكر أبيه الصالح، فهدأ واستكان أمام كلمات بوأورجو، وموقالي، وسيغي قوتوقو.

وقال جنكيز خان: "أنا أعطيت عشرة آلاف من الناس إلى الأم وأخي أوتجيجين، ومن أجلهم أنا عينت القادة الأربعة: جوجو Gučü ، وكوكوجو Kokočü ، وجونغساي Jungsai، وقورقاسون Qorqasun ، ومن أجل جوجي أنا عينت القادة الثلاثة: قونان Qunan ومونغكيأور Mongke'ür ، وكيتي Kete ، ومن أجل جاأداي Ča'adai أنا عينت القادة الثلاثة : قاراجار Qaračar ، ومونغكي Mongke ، وإيدوقوداي".

وعلاوة على ذلك قال جنكيز خان : "إن جاأداي عنيد متصلب، وهو بالطبيعة حريص على الشكليات، ولسوف يبقى كوكي جوس Koke Čos إلى جانبه صباحاً ومساء، وهو سوف يخبره بالذي يراه ويعتقده نصيحة له"، ولقد كان هذا ما أمر به.

وبالنسبة لأوغودي Ogodei عين كل من إيلوغي Ilüge ، وديغي Degei، وفيما يختص بتولوي هو عين كل من : جيدي Jedei ، وبالا Bala، وبالنسبة لقاسار هو عين جيبكي Jebke ، ومن أجل ألجيداي Alčidai هو عين جاأورقاي Ča'urqai .

وكان عدد أبناء الأب مونغليك مقدم القونغقوتان Qongqotan سبعة، وكان الأوسط بينهم كوكوجو Kokočü تيب تنجري Teb Tenggeri ، وتحزب هؤلاء وقرروا ضرب قاسار Qasar .

وعندما كان قاسار راكعاً أمام جنكيز خان وأخبره بأنه قد ضرب من قبل السبعة القونغقوتان، الذين كانوا قد تحزبوا ضده، كان جنكيز خان غاضباً حول مسائل أخرى، وعندما كان قاسار ما يزال يتكلم، قال له جنكيز خان وهو مغضب : "أنت في الماضي لم تصنع شيئاً، سوى الإدعاء

بأنك لن تهزم من قبل أي كائن حي، فكيف الآن قد هزمت؟، وتجاه هذا بكى قاسار، ثم نهض وغادر.

وكان قاسار مغضباً ولذلك لمدة ثلاثة أيام متوالية لم يمثل أمام جنكيز خان.

ومن بعد هذا قال تيب تنجري لجنكيز خان : "لقد تحدثت من قبل قرارات السماء الخالدة حول الحاكم بوساطة علامات سماوية هي كما يلي: هم قالوا مرة بأن تيموجين سوف يتملك الأمة، وقالوا مرة بأن قاسار سوف يتملكها، وإنك إذا لم تضرب قاسار بشكل مفاجئ، ما من أحد يعرف ما الذي سيحدث".

وبناء على سماع هذه الكلمات ركب جنكيز خان وذهب في تلك الليلة بالذات، واعتقل قاسار، وكان عندما غادر قام غوجو Guču، وكوكوجو Kokoču بإعلام الأم ـ أوالون ـ بأنه قد ذهب لاعتقال قاسار، وعندما سمعت الأم هذا، قامت على الفور ـ وكان الوقت ما يزال ليلاً ـ بشد جمل أبيض إلى عربتها، وانطلقت في عربتها السوداء المغطاة، وبقيت مسافرة طوال الليل.

وعند وصولها وقت إشراق الشمس، كان جنكيز خان قد ربط الأكمام المفتوحة لقاسار، وانتزع قبعته وحزامه، وكان يستجوبه، وفوجئ جنكيز خان بهبوط أمه عليه، وصار خائفاً منها.

وكانت الأم غاضبة، وما أن وصلت إلى هناك وترجلت من العربة، حتى قامت شخصياً بفك أكمام قاسار، وهي الأكمام المفتوحة التي كانت قد ربطت، وأعادت إليه قبعته وحزامه، وكانت الأم غاضبة كثيراً إلى حد أنها لم تكن قادرة على لجم انفعالاتها، فقد جلست ووضعت رجلاً فوق أخرى،

وأخرجت ثدييها ووضعتهما فوق ركبتيها وقالت: "هل رأيتهما، هما الثديان اللذان أرضعاك، وهذان هما الثديان اللذان تدفقا صادرين عن رحمي؛

ولتمتلكهما واعتكرثهما بعد ولادتك،

وقطعت حبل ولادتهم

ما الذي فعله قاسار؟ فقد أعتاد تيموجين أن يرضع الحليب من ضرعي الأول هذا، في حين أن قاجيأون Qači'un ، وأوتجيغين Otčigin ، لم يتمكنا كلاهما من الرضاعة حتى من ضرع واحد، وأما بالنسبة لقاسار، فهو وحده الذي رضع من ضرعي كلاهما تماماً، وجلب الراحة لي، إلى أن ارتخى صدري واستراح، فهو وحده الذي اعتاد أن يجعل صدري يرتخي ويرتاح، وبناء عليه:

إن ابني تيموجين المتمكن

امتلك براعة الذهن

وامتلك قاساري البراعة في الرماية

والمقدرة ولذلك هو اعتاد

أن يرمي وأن يخضع

جميع الذين أثناء القتال، يرمون عليه

وهو قد اعتاد بالسهام البعيدة المدى

أن يرمي وأن يُخضع

جميع الذين يواجهونه أثناء القتال، وذلك خوفاً منه.

ولكن الآن، وقد قلت بأنك دمرت جميع الشعوب المعادية، لم تعد تطيق النظر إلى قاسار"؛ لقد كان هذا ما تكلمت به.

وبعدما تمكن جنكيز خان أخيراً من تهدئة الأم، هو قال: "أنا كنت خائفاً من أن تصبح الأم غاضبة إلى هذا الحد، وفي الحقيقة أنا أصبحت مرعوباً، وأنا شعرت بالخجل، وأنا بالفعل مرتبك"، ثم استطرد يقول: "دعونا ننسحب"، وانسحب وذهب إلى البيت، ولكن من دون أن تعرف أمه أخذ سراً رعية قاسار، وترك قاسار يمتلك فقط ألفاً وأربعمائة من الناس لا غير، وجعل هذا الأم عندما عرفته، جعلها تفكر،ما تتكلف، وتصاب بخيبة أمل كبيرة، وعند ذلك غادر جيبكي Jebke مقدم الجلائر وهو خائف، وهرب إلى الأرض المنخفضة للبارقوجين Barqujin .

ومن بعد هذا اجتمع "الناس من قبائل القونغقوتان التسعة" تحت قيادة تيب تنجري، وقرر الكثير من محطات خيالة جنكيز خان الاجتماع تحت قيادة تيب تنجري، وعندما اجتمع الناس على هذه الصورة قام الناس الذين كانوا رعية لتيموجيم أوتجيغين بالالتحاق بالتيب تنجري، وعند ذلك بعث أوتجيغين نويان رسوله،الذي حمل اسم سوقور Soqor ، ليطلب عودة الشعب الذي غادر من عنده، وقال تيب تنجري للرسول سوقور: "أنا ممتن لك ولأوتجيغين [قال هذا استهزاء بعد ما سلبه حصانه] ثم بعد ما ضربه، أعاد الرسول سوقور يسير على قدميه، وأرغمه على حمل سرج حصانه على ظهره.

وتأثر أوتجيغين كثيراً لضرب رسوله سوقور، ولإعادته يسير على قدميه، وقام أوتجيغين نفسه في اليوم التالي فذهب إلى تيب تنجري، وقال له: "أنا أرسلت رسولي سوقور إليك، ولكنك ضربته وأعدته وهو يسير على قدميه، وأنا جئت الآن لأطالب بعودة شعبي".

وبناء على ذلك التف السبعة القونغقوتان من جميع الجهات حول أوتجيغين قائلين: "كنت محقاً بإرسال رسولك سوقور"، وعندما رأى أوتجيغين أنه جرى التعامل معه وفق هذه الطريقة، وخوفاً من أن يضرب من قبلهم قال: "أنا كنت مخطئاً بإرسالي رسولي"، وعندها قال السبعة القونغقوتان: "إن كنت قد أخطأت، فاركع وكفر عن خطائك"، وجعلوه يركع خلف تيب تنجي.

ولم يعط أوتجيغين شعبه، وفي اليوم التالي، عندما كان جنكيز خان لم يستيقظ بعد، وكان ما يزال في فراشه، ذهب ودخل إلى خيمته، وبكى وركع على ركبتيه، وقال: "بحكم أن شعب قبائل التونغوس التسع قد احتشدوا تحت قيادة تيب تنجري، أنا بعثت رسولي المدعو سوقور يطلب من تيب تنجري إعادة الناس الخاضعين لي، فضربوا رسولي، وأرسلوه عائداً يسير على قدميه، وعندما ذهبت أنا شخصياً لأطلب عودة شعبي جرى تطويقي من قبل القونغقوتان السبعة، الذين أرغموني على طلب الغفران، وجعلوني أركع خلف تيب تنجري"، وبكى.

وقبل أن يتمكن جنكيز خان من أن يتلفظ بصوت، انتصبت السيدة بورته واقفة في الفراش، وهي مغطية لثدييها بطرف الغطاء، ولما رأت أوتجيغين يبكي، هي نفسها سكبت دموعها وقالت: "ما الذي يفعله هؤلاء القونغقوتان؟، هم تحزبوا كعصابة مؤخراً وضربوا قاسار، والآن لماذا جعلوا أوتجيغين يركع خلفهم؟، أي نوع من السلوك هذا؟ وهم الآن بشكل مقنّع ألحقوا الضرر بهؤلاء الذين هم إخوتك الصغار، الذين هم مثل أشجار السرو والصنوبر، ومؤكداً، فيما بعد

عندما سيكون جسدك، مثل شجرة كبيرة عجوز

آيلة للسقوط
بوساطة من هم سوف يدعون شعبك يُحكم
شعبك الذي هو مثل قتب مجدول؟
عندما جسدك، مثل قاعدة حجرية لعمود
سوف يسقط
بوساطة من هم سوف يدعون شعبك يحكم
شعبك الذي هو مثل سرب من الطيور

كيف يمكن لأناس إلحاق الأذى بشكل مقنّع بإخوتك الصغار وفق هذه الطريقة، إخوتك الذين هم مثل أشجار السرو، والصنوبر، فكيف على الإطلاق أن يسمحوا لثلاثتي أو أربعتي الصغار" أولادي المدلعين" بأن يحكموا، بينما هم لا يزالون ينمون؟، ما الذي يفعله هؤلاء للقونغقوتان؟، والآن وقد تركتهم يسيئون معاملة إخوتك الصغار وفق هذه الطريقة، كيف ترى أنت هذه الأشياء وتنظر إليها؟"، وكان هكذا قد تكلمت السيدة بورته، وسكبت دموعها.

وبناء على كلمات السيدة بورته هذه، قال جنكيز خان لأوتجيغين: "إن تيب تنجري قادم الآن افعل به ما تريد، وما هو في حدود مقدرتك، وإن الأمر عائد إليك لتقرر"، وبناء عليه نهض أوتجيغين ومسح دموعه، وذهب إلى خارج الخيمة، وأوقف على استعداد ثلاثة رجال أقوياء.

وبعد وقت قصير وصل الأب مونغليك، مع أبنائه السبعة، ودخل السبعة جميعاً إلى الخيمة، وعندما جلس تيب تنجري على الجانب الأيمن من موائد آنية القمز، لمسك أوتجيغين ياقة تيب تنجري قائلاً: "في البارحة أنت أرغمتني على التكفير والاعتذار، دعنا الآن نتبارى أحدنا مع الآخر"،

وتابع إمساكه من ياقته وسحبه نحو الباب، وعند ذلك واجه تيب تنجري أوتجيغين وأمسكه من ياقته، وتصارع معه، وعندما كانا يتصارعان، سقطت قبعة تيب تنجري أمام موقد النار، فأمسك الأب مونغليك قبعته وشمها، ووضعها في صدره، وقال جنكيز خان: "اخرجا وتباريا أحدكما مع الآخر بقوتكما واقدرتكما".

وسحب أوتجيغين تيب تنجري إلى الخارج، وواجه الرجال الثلاثة الأقوياء ـ الذين كانوا منذ وقت مبكر واقفين جاهزين عند عتبة الباب ـ تيب تنجري، فأمسكوه وسحبوه مسافة أبعد، وكسروا ظهره، ورموه عند نهاية خط العربات على الجانب الشرقي الأيسر.

وعاد أوتجيغين إلى الخيمة وقال: " تيب تنجري أرغمني على التكفير والاعتذار، وعندما قلت: دعنا نتبارى أحدنا مع الآخر، هو لم يكن راغباً بالمصارعة، وتمدد متظاهراً أنه لا يستطيع أن ينهض، فهو ظهر أنه خصم ضعيف، وبالفعل هو كذلك!".

وفهم الأب مونغليك، وسكب الدموع وقال: "أنا كنت رفيقك:

منذ أن كانت الأرض البنية،

فقط بحجم كتلة تراب،

ومنذ أن كان البحر والأنهار،

فقط بحجم جدول صغير".

وما أن فرغ من كلامه هذا، حتى أغلق الأبناء القونغقوتان الستة الباب، وصفوا أنفسهم حول موقد النار، وعندما شمروا أكمامهم، أصبح جنكيز خان خائفاً، ولأنه انضغط عليه من قبلهم ، قال: "افتحوا الطريق، أنا

ذاهب إلى الخارج"، وما أن خطا إلى الخارج، حتى أحاط حملة جعاب السهام والحرس النهاري بجنكيز خان، ووقفوا جاهزين مستعدين.

ورأى جنكيز خان أنه بعد كسر عظام تيب تنجري، ألقوا به عند نهاية خط العربات، فأمر بجلب خيمة رمادية من الخلف، وبوضعها فوق تيب تنجري قائلاً: "شدوا طواقم العدة إلى العربات، نحن سوف نتحرك"، وتحرك وانتقل من هناك.

وكانوا بعدما غطوا فتحة الدخان العائدة للخيمة التي وضعوا فيها تيب تنجري، وأغلقوا الباب، وضعوا أناساً للحراسة، وفي الليلة الثالثة عند الفجر، فتح تيب تنجري فتحة الدخان العائدة للخيمة، وخرج بجسده من خلالها، وعندما فتشوا بدقة، لقد تلمس حقاً بأن تيب تنجري كان هو الذي شوهد في ذلك الجزء من الخيمة.

وقال جنكيز خان : "إنه بسبب أن تيب تنجري اعتدى على أخوي الصغيرين، ونشر إشاعات مؤامرات كاذبة لا أساس لها بينهم، من أجل أن يزرع عدم الوفاق، هو لم يعد محبوباً من قبل السماء، فأخذت حياته مع جسده بعيداً".

ثم توجه جنكيز خان بالتوبيخ نحو الأب مونغليك قائلاً: "لأنك لم تضبط طبيعة أولادك، ولأن أولادك بدأوا يعتقدون أنهم مساوين لي، دفعت ثمن هذا بحياة تيب تنجري، ولو أنني عرفت أنك بمثل هذه الطبيعة، لتعاملت معك مثلما تعاملت مع جاموقا، وألتان، وقوجار، والآخرين"، وعلى هذه الصورة كان قد وبخ الأب مونغليك.

وعندما فرغ من توبيخه، قال علاوة على ذلك: "عندما يتراجع الإنسان في المساء، عن الذي قاله في الصباح، ويتراجع في الصباح عما قاله

الإنسان في السماء الماضي، من المؤكد أن الإنسان سوف يتعرض للنقد إلى أن يجري تجليله بالعار، وأنا كنت في الوقت السالف قد أعطيت وعدي وكلمتي إليك، ولذلك يكفي حول هذه المسألة"، وهدأ غضبه، وأظهر حظوته نحوه مرة أخرى، وقال: "لو أنك ضبطت طبيعتك الطموحة، من الذي بين أولاد الأب مونغليك، كان سيتجرأ على أن يعد نفسه مساوياً لي؟"، وبعدما محق تيب تنجري وأزيل من الوجود، خمدت ريح غطرسة القونغقوتان، ولم يعد يقام لهم تقدير بالكامل.

الفصل الحادي عشر

(التكملة الأولى)

ومن بعد هذا، أقلع جنكيز خان في عام الشاة (١٢١١) منطلقاً ضد شعب الكيتات Kitat، ولخذ طريق فوجيو Vujiu، وعبر فوق هونيغين داباآن Hunegen Daba'an ثم أخذ طريق سونديفو Sondivu ، وأرسل جبه، وغويغونيك بالتور Guyigunek Ba'atur كطلائع.

ولدى وصوله إلى جابجيال Čabčiyal ، وجد ممر جابجيال مدافعاً عنه، وعند ذلك قال جبه: "نحن سوف نثيرهم، ونجعلهم يتحركون، ومن ثم يأتون بعدنا، وعلى هذا دعونا نعرضهم للاختبار"، وما أن قال هذا حتى استدار متراجعاً، وعندما اكتشفت عساكر الكيتات، بأنه استدار متراجعاً، قالوا: "دعونا نطاردهم"، ومضوا يطاردونهم حتى امتلأت الوديان والجبال تماماً بهم، ولدى وصولهم إلى رأس سونديفو Sondivu ، انعطف جبه، واندفع ضد الأعداء، الذين كانوا يصلون في أمواج متوالية، وضغط جنكيز خان بالكتلة الأساسية من الجيش، واقتلع الكيتات من مواقعهم، وسحق القوات الشجاعة والجريئة لجويين Juyin ، والقرا ـ خطاي، والجورجيت Jurčet ، وذبحهم إلى أن أصبحوا مثل أكوام من جذوع الأشجار المهترئة، واستمر يقتل فيهم وصولاً حتى جابجيال.

واستولى جبه على باب جابجيال، وبعدما استولى على الممرات واجتازهم، نصب جنكيز خان معسكراً في سيرا ديغتور Sira Degtur .

وشن هجوماً على جنغدو Jungdu ، وأرسل عساكر إلى مختلف البلدات والمدن، وأمرهم بمحاربتهم، وبعث جبه للهجوم على مدينة دنغجانغ

Dungčang ، ووصل جبه إلى مدينة دنغجانغ ، لكنه لم يستطع الاستيلاء عليها عنوة بهجوم صاعق، فانكص عائداً، وسار مسافة وصلت إلى حد ستة أيام زحف بعيداً عن هناك، ثم — والعدو غير منتبه وعارف — عاد، وزحف خلال الليل، وكان كل جندي يقود حصاناً إضافياً بيده إلى جانبه، ووصل في الساعة التي لم يكن العدو فيها مستعداً، وبذلك استولى على مدينة دنغجانغ.

وبعدما استولى جبه على مدينة دنغجانغ، عاد والتحق بجنكيز خان.

وعندما كانت جنغدو تحت الحصار، نصح موظف كبير هو أونغينغ جينغسانغ Ongging Čingsang الألتان خان، ذلك أنه كان تابعاً للألتان خان، وخاطبه كما يلي: "إن هذا هو المقدّر والوقت الملائم الذي تقرر من قبل السماء والأرض، فهل يا ترى حل الوقت الذي سينتقل فيه العرش العظيم إلى حاكم جديد، فالمغول قادمون بقوة هائلة، فهم قد سحقوا عساكرنا النخبة الشجعان لجورچين وعساكر القرا — خطاي، والجورجيت، ودحروهم إلى أن دمروهم بالكامل، لا بل حتى ممر جابچيال، الذي كنا نعتمد عليه، قد استولوا عليه، وانتزعوه منا، وإذا ما قمنا الآن بتعبئة عساكرنا وبعثناهم للقتال، إنهم إذا ما سحقوا مرة أخرى من قبل المغول، هم من دون شك سيتفرقون ويعودون إلى مدنهم المختلفة، وإننا إذا ما حشدناهم على الرغم من إرادتهم، هم سوف يتحولون ضدنا، ولن يكونوا من بعد هذا أصدقاء لنا، وإنك إذا ما سمحت يا ألتان الخان، دعنا نخضع، ونتوصل إلى اتفاق استسلام لحاكم المغول، وإنه إذا ما وافق المغول على الانسحاب، إننا بعد انسحابهم ستتاح لنا الظروف لاتخاذ رأي آخر، حيث أنه يقال بأن رجال المغول وخيولهم المخصية وجدوا بلادنا غير ملائمة، ووقعوا ضحايا

للطواعين، ودعونا نبلث أميرة إلى حاكمهم، ودعونا نرسل إلى رجالات الجيش: ذهباً، وفضة، وحرير ساتان وبضائع وسلع بكميات وافرة، ومن يدري فيما إذا كانوا سيوافقون على اقتراحنا، أم لن يوافقوا؟".

وعندما قدم أونغينغ جينغسانغ هذه النصيحة، وافق الألتان خان على كلماته هذه قائلاً: "ليكن ذلك"، ثم إنه عرض الخضوع، وأرسل إلى جنكيز خان أميرة كان اسمها غنغجو[1] Gungju، وأرسل من جنغدو إلى رجال جيش جنكيز : ذهباً، وفضة، وحرير ساتان؟، وسلعاً وبضائع، وذلك حسبما قدروا قوتهم، وقدرة خيولهم على الحمل، كما أنه أرسل أونغينغ جينغسانغ إلى جنكيز خان.

وعندما وصلوا وأخضعوا أنفسهم وافق جنكيز خان على اقتراحهم، وأمر بعودة قواته التي كانت تقاتل مختلف البلدات، ورافق أونغينغ جينغسانغ جنكيز خان، بعيداً حتى الرأسين اللذان يدعيان: موجيو Mojiu، وفوجيو jiuVu ، ثم إنه عاد، وبالنسبة لحرير الساتان، والسلع، حملت عساكرنا على خيولهم بقدر ما استطاعت أن تحمل، وتحركوا راجعين، وهم حازمين لأحمالهم بأربطة ثقيلة من المنسوجات الحريرية.

وفي أثناء تنفيذ تلك الحملة العسكرية، انطلق جنكيز خان نحو شعب قاسين Qasin ، وعندما كان يتحرك باتجاههم، ووصل إلى بلادهم، قال بورقان Burqan خان، خان شعب القاسين: "أنا سوف أخضع، وسوف أكون جناحك الغربي الأيمن، وأنا سوف أخدمك، وقدم ابنته المدعوة جاقا Čaqa إلى جنكيز خان.

---

1 ـ هذا لم يكن اسم السيدة المرسلة لأن الإصطلاح الصيني كنغ ـ تشو Kang- chu معناه أميرة.

وعلاوة على ذلك قال بورتان خان: لقد سمعنا بشهرتك يا جنكيز خان، فكنا مرعوبين منك، والآن وصل شخصك العظيم، وقد جئت إلينا، ونحن بالفعل مرعوبين من جلالتك، نحن شعب التانغأوت قد قلنا: نحن سوف نصبح جناحك الغربي الأيمن، نحن سوف نخدمك:

ونحن سوف نخدمك، اعلموا أننا:

نحن : الأفراد الذين نعيش في معسكرات دائمة

نحن : الأفراد الذين نمتلك بلدات مع أسوار من التراب المسحوق

وبناء عليه :

إننا عندما سنصبح أصحابك

في شن حملات سريعة

وفي المحاربة في منازلة مميتة

سوف لن نكون قادرين على الإسراع إلى حملة سريعة

سوف لن نكون قادرين على المحاربة في منازلة مميتة.

ولكن إذا أظهر جنكيز خان الحظوة نحونا، فإننا نحن شعب التانغأوت

سوف نحضر عدداً كبيراً من الجمال

مرباة في مناطق محمية فيها نباتات مخملية

ولسوف نقدمهم ليكونوا ممتلكات للحكومة

ونحن سوف نعطيهم إليك

ولسوف ننسج أقمشة صوفية، وسنصنع حرير ساتان

وسوف نعطيهم إليك

وسندرب صقوراً لتطير نحو الطريدة

نحن سوف نجمعهم

وجميع الأفراد الجيدين سوف نرسلهم إليك"، وعلى هذه الصورة هو توسل لجنكيز خان، وكان بعدما تكلم هكذا، حافظ على كلمته، وجبى جمالاً من شعبه التانغاوت، وجلب عدداً كبيراً جداً، إلى حد أنه بات من غير الممكن سوق المزيد منهم على الإطلاق، وأعطاهم إلى جنكيز خان.

– وحصل جنكيز خان في تلك الحملة على طاعة الألتان خان، خان شعب الكيتات، وأخذ كميات كبيرة من حرير الساتان، كما أنه حصل أيضاً على طاعة بورقان، مقدم شعب قاسين، وأخذ عدداً كبيراً من الجمال.

وكان جنكيز خان بعدما حصل هكذا على طاعة الألتان خان، خان شعب الكيتات، الذي كان اسمه أقوتاي Aqutai ، وعلى طاعة إيلوقو بورقان Iluqu Burqan خان شعب التانغاوت، في تلك الحملة، لعام الشاة (١٢١١) ، عاد إلى الوطن، ونصب معسكراً في سهل ساآراي.

ومرة أخرى من بعد ذلك، بما أن جوبقان Jubqan وعدد كبير آخر من رسلنا الذين أرسلوا إلى جاو غون Jau Gon يطلبون الطاعة، قد جرى تعويقهم من قبل الألتان خان أقوتاي، خان شعب الكيتات، أقلع جنكيز خان مرة جديدة في سنة الكلب (١٢١٤) ضد شعب الكيتات، وعند إقلاعه ومضيه هو قال: "إنهم بعدما قدموا الطاعة بأنفسهم، كيف يمكنهم تعويق الرسل الذين بعثوا إلى جاو غون؟".

وتحرك جنكيز خان باتجاه ممر التونغون Tunggon ، وأمر بالوقت نفسه جبه بأن يذهب عبر طريق جابجيال، ولدى معرفة الألتان خان بأن جنكيز خان قد ذهب عبر ممر التونغون، عهد بقيادة عساكره إلى: إيلي Ile، وقادا Qada، وهوبوغيتور Hobogetur ، قائلاً: " مع الجيش مغلقاً الممر، وجعل ذوي المعاطف الحمراء كمقدمة، قاتلوا في سبيل ممر

تونغون، ولا تدعوهم يعبرون الشعاب الضيقة "، وهو قد بعث : إيلي، وقادا، وهوبوغيتور بسرعة مع العساكر.

وعندما وصل جنكيز خان إلى ممر تونغون، قدمت عساكر الكيتات لاعتراضه، قائلين: "ترابنا"، وقاتل جنكيز خان ضد: إيلي، وقادا، وهوبوغيتور، وهزم إيلي، وقادا، وعند ذلك وصل تولوي، وجوغو Cugu، وغوريغين Gurigen ، وحملوا على جناحيهم، وأرغموا أصحاب المعاطف الحمراء على التقهقر، وصدوا بشكل كامل، وهزموا إيلي، وقادا، وذبحوا الكيتات إلى أن صاروا مثل أكوام من جذوع الأشجار المهترئة.

وعندما علم الألتان خان بأن عساكره الكيتات قد ذبحوا ودمروا، هرب من جونغدو، ودخل إلى مدينة نامغينغ Namging ، وفيما يتعلق ببقايا عساكره، فقد كانوا يموتون، من الجوع، ولذلك أكلوا لحوم البشر فيما بينهم.

ونصب جنكيز خان معسكراً في قوسيفو Qosivu ، ثم نصبه في سيرا كيايز Sira Ke'er في منطقة جونغدو، ودمر جبه باب جابجييال، وبعدما هزم عساكر العدو الذين كانوا يدافعون عن جابجييال، قدم والتحق بجنكيز خان.

وعندما انتقل الألتان خان من جونغدو، عين قادا نائباً ملكياً في جونغدو قبل أن يغادر المنطقة وعندما أراد جنكيز خان صنع جرد بالذهب، والفضة، والسلع، وحرير الساتان والأشياء الأخرى التي جمعت في جونغدو، هو بعث القهرمان أونغور Onggur ، وأرقاي قاسار، وسيغي قوتوقو للقيام بذلك، ولدى اقتراب هؤلاء من المنطقة، خرج قادا وسار نحو

الأمام لتحيتهم، آخذاً معه، أقمشة مطرزة بالذهب، ومبطنة بحرير الساتان، وخرج من منطقة جونغدو، ورحب بهم.

وقال قوتوقو لقادا: "من قبل كانت جميع سلع وأشياء جونغدو هذه، وكل مدينة في منطقة جونغدو، كانت ملكاً للألتان خان، والآن من المؤكد أن جونغدو هي ملك لجنكيز خان، فكيف يمكنك أن تعطينا سلع وحرائر جنكيز خان، فأنت بذلك قد سرقتهم، وجلبتهم إلى هنا من وراء ظهره؟ وأنا لن آخذهم"، وكان هكذا قد تكلم سيغي قوتوقو، ولم يأخذهم ولكن القهرمان أونغور، وأرقاي أخذوهم، وبعدما صنعوا الجرد بسلع جونغدو، وبالأشياء الأخرى، رجع الثلاثة عائدين إلى جنكيز خان.

وعندئذ سأل جنكيز خان: أونغور، وأرقاي، وقوتوقو: "ما الذي أعطاكم إياه قادا؟"، فقال سيغي قوتوقو: "هوجلب أقمشة مطرزة بالذهب ومبطنة بالساتان، وأنا قلت له: كانت جونغدو هذه من قبل ملكاً للألتان خان، وهي الآن من المؤكد أصبحت ملكاً لجنكيز خان، فكيف يمكن لقادا أن يعطينا سلع جنكيز خان، ذلك أنه سرقهم من وراء ظهره؟، كان هذا ما قلته أنا، ورفضت أخذهم، ولكن أونغور، وأرقاي، أخذا ما أعطاه قادا إليهما"، وكان على هذه الصورة قد تكلم سيغي قوتوقو.

وبقسوة متناهية وبخ جنكيز خان أونغور، وأرقاي، وأما بالنسبة لسيغي قوتوقو فقد نال منه حظوة كبيرة قائلاً له: "أنت كنت يا سيغي قوتوقو رجلاً نبيهاً، وصاحب أخلاق عظيمة والتزام فيما يتعلق بقيام الإنسان بواجباته نحو الخان"، وهو قد قال: "إنك سوف تكون

عينان لي لأرى بهما

وأذنان لي لأسمع بهما".

وبعدما دخل الألتان خان نامغنغ Namging ، هو خضع شخصياً بنفسه، وفي تقديم الطاعة أرسل ابنه المدعو تينغيري Tenggeri مع مائة مرافق، إلى جنكيز خان ليخدم كحرس نهاري، وليكون رهينة.

وبعدما جرى جلب الألتان خان ليكون تحت طاعة جنكيز خان، قال جنكيز خان بأنه سوف ينسحب، ثم ما لبث أن انسحب عبر ممر جابجييال، مرسلاً قاسار ليسير على امتداد ساحل البحر مع عساكر جناح اليسار [الشرق] ، وقد أرسله مع التعليمات التالية: "انصب معسكراً عند مدينة بيغنغ Beiging ، وبعدما تكون قد أخضعت مدينة بيغنغ، تابع السير أبعد، واعبر منطقة فوقانو Vuqanu مقدم الجورجيت Jurčet ، وإذا عزم فوقانو على المقاومة، توجه ضده، وإذا ما خضع، اعبر من خلال بلداته الحدودية، وسر على امتداد نهري أولا Ula ، وناو Na'u ، وبعد عبورك لنهر تاأور Ta'ur ، ومسايرتك له صعوداً التحق بقواتك معي في المعسكر الأساسي"، وأرسل مع قاسار: جورجيدي، وألجي، وطولون جيربي، من بين قادة الجيش.

وأخضع قاسار مدينة بيغنغ، وأرغم فوقانو مقدم الجورجيت على الطاعة، وأخضع البلدات التي كانت على الطريق هناك، ثم تابع قاسار تقدمه صعوداً على امتداد مجرى نهر تاأور، واستقر في المعسكر الأساسي.

ومن بعد ذلك عندما جرى اعتقال المائة رسول التابعين لجنكيز خان الذين كان أوقونا Uquna على رأسهم، من قبل شعب سارتاأول Sarta'ul ، ومن ثم ذبحهم من قبلهم، قال جنكيز خان: "كيف يمكن خرق سلطتي وسيادتي [المتمثلة بروابط الخان المغولي بالحكام الآخرين الذين يدينون له

بالطاعة] من قبل شعب سارتاأول؟"، ثم قال : "أنا سوف أقلع ضد شعب السارتاأول

لأقوم بالانتقام

وللتعويض عن الذنب

بقتلهم رسلي المائة، مع أوقونا على رأسهم".

وعندما كان علىٰ وشك الانطلاق قدّمت آنذاك ييسوي قاتون منفردة النصحية التالية إلى جنكيز خان قائلة :

فكر الخان حول

تأسيس نظام يحكم به شعوبه الكثيرة،

وتسلق الممرات العالية

وعبر الأنهار العريضة

وشن حملات طويلة

وبيقى: إن الكائنات الحية الذين ولدوا في هذا العالم هم ليسوا مخلدين:

فعندما يصبح جسدك مثل شجرة عظيمة عجوز

سوف تسقط،

فإلى من سوف تورث شعبك

الذي هو مثل كتلة متشابكة من خيوط القنب؟

عندما جسدك مثل قاعدة حجرية لعمود

سوف يسقط،

إلى من سوف تورث شعبك،

الذي هو مثل سراب من الطيور؟

ومن بين أولادك الأربعة، الأبطال الذين أنجبتهم، أي واحد منهم سوف تعيّنه كخليفة لك؟ وأنا أعطيتك هذه النصيحة، حول ما نفكر به حول ذلك،

نحن: الأبناء، والإخوة الأصغر، وكثيرون من عامة الشعب ونحن أيضاً المساكين، ونعتقد أنها قضية مهمة، وأمرك هو الذي سوف يقرر".

هكذا هي كانت قد نصحت، وأعلن جنكيز خان: "مع أن ييسوي هي مجرد امرأة فقط، إن كلامها هو أصح من الصحيح، وليس مهماً من هو من الإخوة الأصغر والأبناء، فأنتماايا بوأورجو، ويا موقالي مع الآخرين، ما من أحد منكم نصحني بمثل هذا، وأيضاً

أنا نسيت

وكأنني سوف لن ألحق بآبائي المتقدمين،

وأنا نمت

وكأنني سوف لن أقبض من قبل الموت".

وبعدما قال هذا، هو قال: "إن الأسن بين أولادي هو جوجي، ما الذي تقوله أنت يا جوجي؟، تكلم وقل"، ولكن قبل أن يتمكن جوجي من التفوه بحرف، قال جاأداي Ča'adai (جغتاي) : "إنك عندما تقول: تكلم يا جوجي وقل، هل تعني بذلك أنك سوف تعين جوجي كخليفة لك؟، كيف يمكن لنا أن ندع أنفسنا نحكم من قبل هذا النغل الذي هو من أصل مركيتي؟".

ولدى سماع هذه الكلمات، انتصب جوجي واقفاً، وامسك جاأداي من ياقته قائلاً: أنا لم أخبر على الإطلاق من قبل أبي الخان، بأنني كنت مختلفاً عن إخوتي، فكيف يمكنك أن تتخذ هذا التمييز ضدي؟ وفي أي البراعات أنت أفضل مني؟، لربما فقط في عنادك أنت أفضل، وإذا قمنا برمي سهام نحو مسافة طويلة، وكان أدائي دونك، أنا سوف أقطع إبهامي، وأرمي بها بعيداً، وإذا ما تصارعنا وهزمت أنا من قبلك، أنا سوف لن أقوم من المكان الذي سقطت أنا فيه، دع أمر والدي الخان يقرر أينا هو الأفضل".

وتكلم هو هكذا، وفي تلك الأثناء كان كل من جوجي، وجالداي وقلقان، ممسك كل واحد منهما بيالة الآخر، مع بولورجو يشد جوجي من ذراعه، وموقلي يشد جالداي من ذراعه أيضاً، وكان آنذاك جنكيز خان جالساً يصغي، دون أن يتفوه بكلمة.

ثم قال كوكو جوس Koko Cos ، الذي كان واقفاً على الجانب الأيسر: يا جالداي لماذا أنت متسرع إلى هذا الحد؟

فلقد كنت أنت بين الأبناء، الذي من أجله رضي والدك الآمال.

فقبل أن تكون قد ولدت:

كانت السماء كثيرة النجوم

تتقلب على نفسها

وكان كثير من الناس في اهتياج عظيم:

هم لم يدخلوا إلى فرش نومهم للراحة،

بل كانوا يقاتلون ضد بعضهم بعضاً.

وكانت الأرض القاسية تتقلب وتتقلب،

وكانت الأمة كلها في حالة اهتياج عظيم:

والناس لم يتمددوا على فرشهم للاستراحة،

بل قاتلوا بعضهم بعضاً

إنه في ذلك الوقت كما وصفت خطفت أمك.

وذلك لم يكن رغبتها:

وقد حدث ذلك في وقت

التقى الرجال فيه والأسلحة بالأيدي.

إنها لم تهرب مبتعدة من بيتها؛

لقد حدث ذلك في وقت
قتال متبادل
هي لم تكن واقعة في حب أي إنسان آخر
بل حدث ذلك في وقت
كان فيه الإنسان يذبح الإنسان الآخر
وأنت تكلمت هكذا في سبيل جعل زبدة عواطف أمك المحبة، وفي سبيل إفساد حليب قلب تلك السيدة العظيمة[1] .
فمن رحمها الدافئ قدم خارجاً
فهاك، أنتما الاثنان
أو لم تولدا من الرحم ذاته؟
من الرحم الدافئ خرجتما وقدمتما
فهاك، أنتما الاثنان
أو لم تخرجا من رحم واحد؟
إن أنت اقترفت ووجهت ملامة
فمن أمك التي ولدتك
من قلبها، إن عواطفها
نحوك سوف تصبح باردة؛
وإنك حتى لو حاولت مواساتها وتهدئتها
فسوف يكون ذلك من دون فائدة
إنك إذا اقترفت توجيه الملامة
فمن أمك التي قد ولدتك

1 ـ تشير الزبدة ثم الحليب إلى النعومة والحب والمرونة واللطف.

من رحمها،

إنك حتى لو أنقصت ملامتها

فسوف يكون ذلك من دون فائدة

فعندما قام والدك الخان

بتأسيس الأمة كلها

كان رأسه الأسود مربوطاً بسرج الحصان

وكان دمه الأسود يتدفق وينصب

في داخل دلو من الجلد

وعيناه السوداوان لم تغمضا

وأذنه المسطحة لم ترتح فوق وسادة؛

ومن كمه هو صنع وسادة، و

نشر ثوبه ليكون فراشاً

وكان يطفئ عطشه بلعابه

ويأكل اللحم بين أسنانه ليكون عشاء له،

فقد ناضل بشدة وحدة، و

إلى أن وصل عرق جبينه حتى أخمص قدميه

وإلى أن وصل العرق الصادر عن أخمص قدميه صعوداً حتى جبينه

فهو صرف نفسه بكل إخلاص وشجاعة نحو واجبه العظيم، إنه كان ذلك الوقت الذي عانت فيه أمك معه من المصاعب:

تراها وقد شدت بقوة قبعتها الطويلة

فوق رأسها،

وقد ربطت بإحكام حزامها

لتقصير طرف ثوبها
رابطة قبعتها الطويلة
فوق رأسها،
مثبتة حزامها
لربط وسطها
هي ربتكم، أنتم أولادها
وعندما كانت تزدر طعامها
هي كانت تعطيكم نصفه
وكان بلعومها يغص شفقة ورحمة
فكانت تعطيكم الطعام كله،
وتمضي هي نفسها جائعة
وكانت تمدّ أكتافكم
قائلة لنفسها:
كيف سأجعلهم رجالاً.
وكانت تمد رقابكم
قائلة لنفسها:
كيف سأتمكن من جعلهم شباباً بالغين؟
وكانت تقول لنفسها
وهي تنظف جسمكم كله
وتجعلكم ترفعون أكعاب أقدامكم
وتعلمكم كيف تسيرون
فهي جعلتكم تصلون

ارتفاعاً حتى أكتاف الرجال

علواً حتى أرداف الخيول المخصبة.

لا بل حتى في هذا الوقت، أو ليست هي التي ترغب في رؤية سعادتكم، أنتم أولادها؟،

وقد امتلكت خاتوُننا العظيمة في تربيتكم قلباً:

مشرقاً مثل الشمس

وواسعاً مثل بحيرة".

وكان هكذا هو تكلم.

وبناء عليه قال جنكيز خان لجاأداي: كيف يمكنك أن تتكلم هكذا عن جوجي؟ أوليس جوجي هو الأسن بين أولادي؟، في المستقبل لا تتكلم هكذا"، وكان هكذا هو تكلم، ولدى سماع جاأداي كلامه هذا، ابتسم وقال: "أنا سوف لن أنازع جوجي قوته، كما أنني لن أرد على ادعاءات براعاته:

الطريدة التي يقتلها الإنسان بفم واحد فقط

لا يمكن حملها على مطية واحدة

والطريدة التي قتلها الإنسان فقط بكلمات الإنسان

لا يمكن سلخها!

إن ولديك الأسن هما: جوجي وأنا. ونحن سوف يتعاوننا

أحدنا مع الآخر، سنخدم أبانا الخان

وأي واحد منا سوف يراوغ في أداء واجبه

سوف يعرض رأسه للانقسام والتحطيم

وأي واحد منا سوف يراوغ في أداء واجبه

سوف يعرض رأسه للانقسام والتحطيم

وأي واحد منا سوف يتباطأ في الخلف
سوف تكون عقوبته قطع قدمها

ولكن أوكتاي هو بيننا الثابت والمعتمد عليه؛ ولذلك دعنا نتفق على أوكتاي ؛ وبحكم أن أوكتاي قريب من أبينا الخان، إنه إذا ما قام الخان بتوجيهه، وتعليمه كيف يكون خاناً، فهذا سوف يكون جيداً.

وكان هكذا هو تكلم، ولدى سماع جنكيز خان لكلامه هذا قال: "ما الذي تقوله أنت يا جوجي؟ تكلم وبين"، وبناء عليه قال جوجي: "ما قاله جاأداي هو الصح، وأنا وجاأداي سوف نعمل بالتعاون أحدنا مع الآخر، في خدمة الخان، دعنا نتفق على أوكتاي"، وهو تكلم على هذه الصورة، وأعلن جنكيز خان ما يلي: "لماذا عليكما أنتما الاثنان المضي بعيداً جداً من أجل التعاون فيما بينكما؟ الأرض الأم واسعة، وأنهارها ومياهها كثيرة، قوموا بتوسيع المعسكرات، حتى يمكن بسهولة تقسيمها، نحن سوف نجعل كل واحد منكم يحكم على مملكة، ونحن سوف نفرق بينكم"، وقال هو أيضاً: "حافظا أنتما يا جوجي ويا جاأداي على كلمتكما:

ولا تدعا نفسيكما عرضة للازدراء من الناس،
ولا تدعا نفسيكما تكونا مضحكة من قبل الناس،

وكان من قبل ألتان وقوجار قطعا وعداً مثل هذا الذي تعهدتما به، ولكن لأنهما أخفقا في المحافظة على وعدهما، انظرا كيف جرى التعامل معهما؟ وانظرا الذي وقع لهما؟ والآن، سوف نفصل معكما بعضاً من ذرية ألتان، وقوجار: انظرا إليهم، فكيف يمكنكما أن تهملا أداء واجباتكما؟ " .

وبعدما تكلم جنكيز خان هكذا قال: " وأنت يا أوكتاي ماذا تقول؟ تكلم وأفصح! "، وقال أوكتاي: " إنه عندما ينعم عليّ أبي الخان، ويخبرني بأن

أتكلم، ما الذي يمكنني قوله؟، كيف يمكنني القول بأنني غير قادر أن أصل كذلك؟ إنني سوف أقول: إنني من المؤكد سوف أحاول وفقاً لمقدرتي، وفيما بعد إذا صدف وكان بعضاً بين ذريتي سوف يلدون ويكونوا غير جديرين إلى حد:

حتى لو أن الإنسان لفّهم وغلفهم بعشب طازج

سوف لن يؤكلوا من قبل الثور

حتى لو أن الإنسان لفّهم وغلفهم بدهن

سوف لن يؤكلوا من قبل الكلب.

لو أن يكونوا مثل الصياد غير الماهر، وسوف يكونوا عن لائقين بالحكم؟ أنا سوف أقول الكثير جداً حول هذا ولكن ماذا يمكنني القول أكثر؟"

وكان على هذه الصورة هو قد تكلم، ولدى سماع جنكيز خان هذا الكلام هو أعلن ما يلي: "إذا كان أوكتاي قد تفوه بهذا الكلام، فذلك سيكون مقبولاً، وعلاوة على ذلك هو قال: "يا تولوي، ما الذي تقوله أنت؟ تفوه وأفصح"، فقال تولوي: "بحكم أنني إلى جانب أخي الأسن أوكتاي، الذي عينه أبانا الخان الآن،

أنا سوف أذكّره بالذي قد نسيه

ولسوف أوقظه عندما يذهب نائماً

وسوف أكون صديقاً لكلمة "نعم"،

والسوط لحصانه الكستناوي

ولن أكون مهملاً في نصحي

ولن أكون غائباً عن المراتب

ولسوف أمضي من أجله في حملات طويلة
أو أن أقاتل في قتال قصير"

وبعدما تكلم تولوي هكذا، وافق جنكيز خان قائلاً: "عيّنوا يا أبناء قاسار واحداً منكم ليحكم، ويا أبناء ألجيداي عينوا واحداً منكم ليحكم. ويا أبناء بيلغوتي عينوا واحداً منكم ليحكم، وإنني إذا ما فكرت وفق هذه الطريقة، وعينت واحداً من أبنائي ليحكم لا تنقضوا أمري ولا تلغوه، بوساطة الشك فيه، فإذا فعلتم ذلك سوف تخطئون، وسوف تكونوا مذنبين، ولنفترض أن جميع سلالة أوكتاي سوف يلدون كلهم غير جديرين بالمرة إلى حد لو أنه

حتى لو أن الإنسان لفّهم وغلفهم بعشب طازج
سوف لن يؤكلوا من قبل الثور
حتى لو أن الإنسان لفّهم وغلفهم بدهن
سوف لن يؤكلوا من قبل الكلب،

فهل من الممكن أنه لن يلد من بين أبنائي حتى واحداً بمفرده يكون جيداً؟"، فهو هكذا تكلم.

وعندما أقلع جنكيز خان منطلقاً بالحملة، هو أرسل رسلاً إلى بورقان مقدم شعب التانغاوت مع رسالة قال فيها: " أنت كنت قد قلت سوف تكون جناحي – الغربي – الأيمن، وحيث أن شعب السارتاأول قد قطعوا ميثاق الوحدة الذي يربط بين خان المغول والحكام الآخرين الذين يدينون له بالطاعة، أنا أقلعت وانطلقت لأدعوهم لتقديم حساب عن عملهم، وعليك أنت أن تنطلق نحو الأمام، بحكم أنك الجناح الأيمن لجيشي".

وعندما جرى استلام الرسالة التي بعثت، وقبل أن يستطيع بورقان التفوه بكلمة، سبقه أساغامبو Asa Gambu مقاطعاً قائلاً: "بما أن قوات جنكيز خان هي غير قادرة على إخضاع الآخرين بمفردها من دون مساعدة أحد، لماذا هو مضى بعيداً إلى حد أنه أصبح خاناً"؟، وكان هذا ما قاله، ولم يرسل قواتاً رديفة إليه، وأعاد الرسل بكلمات متعجرفة متجبرة.

وبناء عليه قال جنكيز خان: "كيف يمكننا أن نتحمل، وقد جرى الحديث حولنا وفق هذه الطريقة من قبل أساغامبو؟"، وقال: "إن الخطة الأفضل سوف تكون بالنسبة إلينا هي إرسال العساكر ضدهم فور انصرافنا في طريقنا نحوهم، فما هي المصاعب التي سوف تكون في ذلك؟، ولكن الآن ونحن نتحرك بالفعل باتجاه شعب آخر، دعونا نعبر، ولكن أنا حميت من قبل السماء الخالدة، فإنني عندما سأعود بعد انتهاء هذه الحملة، وأنا أجر بقوة أعنتي الذهبية، من المؤكد أن القضية سوف يجري وقتها التعامل معها، ومعالجتها!".

وفي عام الأرنب البري (١٢١٩) أقلع جنكيز خان ضد شعب السارتاؤل وعبر نهر ألاي Alai، وكان من بين السيدات، أخذ معه في هذه الحملة قولان قاتون، وبعدما عهد إلى أوتجيغين نويان من بين إخوته الأصغر بالإشراف على قاعدة معسكره الأساسي، هو انطلق نحو الأمام، وبعث جبه كمقدمة، وأرسل سوبيتاي دعماً لجبه، وأرسل توقوجار دعماً لسوبيتاي.

وعندما بعث هؤلاء الثلاثة أمامه هو قال: "اذهبوا من حول الجانب الخارجي، وارجعوا من خارج الجانب الآخر التابع للسلطان [جلال الدين منكبرتي] وانتظرونا إلى أن نصل، وقاتلوه من جانبكم"، ولقد كان هذا ما قاله لهم، ثم بعث بهم.

ثم ذهب جبه وعبر مدن ملك خان من دون أن يلمسهم، فهو مر بهم من الخارج، وعبر من ورائهم، ومرّ بهم سوبيتاي بهم وفق الطريقة نفسها من دون أن يلمسهم، ولكن توقوجار الذي جاء من بعدهما، خالفهما وهاجم البلدات الحدودية التابعة لملك خان، ونهب فلاحيه، وبسبب أن بلدات ملك خان قد هوجمت، هو فجر ثورة ضدنا، والتحق ملك خان بالسلطان جلال الدين.

وتحرك السلطان جلال الدين، وملك خان ضد جنكيز خان، وسار سيغي قوتوقو كمقدمة أمام جنكيز خان، وتحارب السلطان جلال الدين، وملك خان مع سيغي قوتوقو، وهما هزما سيغي قوتوقو، وتابعا زحفهما إلى أن وصلا حتى جنكيز خان، وفي تلك الساعة، وصل ـ على كل حال ـ جبه، وسوبيتاي، وتوقوجار من اخلف السلطان جلال الدين، وملك خان، فتغلبوا عليهما، ودمراهما تماماً، وبفعلهم ذلك منعوهما من توحيد قواتهما مع قوات مدن : بوقار Buqar وسيميسغاب Semisgab ، وأترار، وطاردوهما حتى نهر سين Sin، وعندما ضغطوا عليهما شرع السارتاأول برمي أنفسهم في النهر، وكثير منهم هلك بالفعل هناك، في نهر سين، وهرب السلطان جلال الدين، وملك خان صعوداً على امتداد مجرى النهر، وبذلك أنقذا حياتهما.

وتقدم جنكيز خان زاحفاً صعوداً مع مجرى نهر سين، وذهب لنهب باتكيسين Batkesen ، ووصل إلى جدول إيكي Eke ، ثم إلى جدول غيأون Ge'un ، ونصب معسكراً في سهل باروآن Baru'an ، وأرسل بالا Bala الجلائري لمطاردة السلطان جلال الدين.

وامتدح جنكيز خان جبه وسوبيتاي مدحاً عظيماً وأثنى عليهما، وقال: "جبه، كان اسمك جيرقوأداي، وعندما قدمت إليّ من التايجيئوت، أصبحت

بالحقيقة جبه، وقاتل تولوجار بؤرائده، وهاجم على مسؤولية البلدات الحدودية لملك خان، ودفعه إلى الثورة ضدنا، وقد جعلنا هذه القضية توجب محاكمته، ونحن سوف نعدمه"، ولكن في النهاية ـ على كل حال ـ هو لم يعدمه، بل وبّخه إلى أبعد الحدود، وعاقبه بعزله من قيادة الجيش.

ثم عاد جنكيز خان من سهل باروان، وراسل أولاده الثلاثة: جاغاداي، وجوجي، وأوكتاي قائلاً: "اعبروا نهر آمو Amui ، مع عساكر الجناح الأيمن، وأقيموا معسكراً عند مدينة أورونغيجي Urunggeti "، وراسل تولوي قائلاً: "أقم معسكراً في إيرو، وعند إيسيبور Isebur وعند بلدات أخرى كثيرة، وعسكر جنكيز خان نفسه عند مدينة أترار.

وبعد وصول الأبناء الثلاثة: جوجي، وجاغاداي (جغتاي) ، وأوكتاي، بعثوا بالطلب التالي: "احتشدت قواتنا بالكامل، ونحن وصلنا إلى بلدة أورونغيجي، فمن بيننا نحن الثلاثة حسب كلمة من علينا أن نعمل؟"، وبناء على طلبهم أرسل جنكيز خان رسالة إليهم، أمرهم فيها بأن عليهم العمل وفقاً لأوامر أوكتاي.

وبعدما أخضع جنكيز خان مدينة أترار، انطلق من مدينة أترار، حيث نصب معسكراً عند مدينة بوقار، وبناء عليه انتظر جنكيز خان وصول بالا، وأمضى الصيف في سلسلة تلال ألتان قورقان Altan Qorqan ، في محلات الإقامة الصيفية الماضية للسلطان [محمد خوارزم شاه] ، ومن هناك بعث رسلاً إلى تولوي يقول: "المناخ أصبح دافئاً، ويتوجب على بقية العساكر إقامة معسكر أيضاً، أما أنت فأقبل والتحق بنا".

وعندما بعث بهذه الرسالة، كان تولوي قد استولى على مدينتي إيرو Iru ، وإيسيبور Isebur، ودمر مدينة سيستين Sisten ، وكان يقوم بتدمير

مدينة جوقجيرين Čuqčeren وعندما أعطى الرسل هذه الرسالة إلى تولوي، ما أن فرغ من تدمير مدينة جوقجيرين، حتى عاد ونصب معسكراً، والتحق بجنكيز خان.

وأما بالنسبة لجوجي، وجاأداي، وأوكتاي، هؤلاء الأبناء الثلاثة لجنكيز خان، فقد أخضعوا مدينة أورونغيجي، وهم تقاسموا شعب المدن بينهم هم الثلاثة، ولكنهم لم يعطوا إلى جنكيز لخان حصة.

وعندما وصل هؤلاء الثلاثة لنصب معسكر، أنب جنكيز خان بقسوة: جوجي، وجاأداي، وأوكتاي، أي الثلاثة موضوع القضية، ولمدة ثلاثة أيام لم يسمح لهم بالمثول بحضرته، ثم إن: بوأورجو، وموقالي، وسيغي قودوقو رفعوا إلتماساً كما يلي: "نحن تسببنا في جعل سلطان شعب السارتاأول، الذي رفض الخضوع، يذل نفسه، وقد استولينا على مدنه، وعلى شعوبه، وجرى الاستيلاء على مدينة أورونغيجي، ومن ثم تقاسمها، وأولادك الذين استولوا عليها، وتقاسموها فيما بينهم، هم جميعاً عائدون لجنكيز خان، والآن، وقوتنا قد ازدادت بوساطة السماء والأرض، وتسببنا في جعل شعوب السارتاأول يذلون أنفسهم على هذه الصورة، فإن رجال جيشك كله هم يبتهجون ويشعرون بالرضا عن أنفسهم، فلماذا الخان غاضب؟، ولقد أدرك الأولاد خطأهم واعترفوا به، ليكن هذا درساً بالنسبة لسلوكهم المستقبلي، ونحن نخشى أن تتناقص الحماسة الطبيعية للأبناء بنتيجة لهذا ، وبناء عليه نرجو أن تظير الحظوة نحوهم مرة أخرى، والسماح لهم بالمثول في حضرتك؟".

وبناء على التماسهم هدأ جنكيز خان، وسمح للأبناء الثلاثة: جوجي، وجاأداي، وأوكتاي بالمثول في حضرته، ووبخهم قائلاً:

ناقلين الكلام القديم،

ومقتبسين الأقوال القديمة،

وأتبهم بقسوة:

إلى حد أنهم غرقوا تقريباً

في المكان الذي وقفوا فيه،

إلى حد لم يعودوا قادرين فيه على مسح

العرق من على جبين كل واحد منهم

وعندما كان جنكيز خان يخاطبهم مؤنباً لهم وموبخاً، قام : قونخقاي قورجي، وقونغتاقار قورجي، وجورماقان، هؤلاء الثلاثة من حملة جعاب السهام ــ برفع إلتماس أيضاً إلى جنكيز خان كان كما يلي: "مثل صقور شهب بدأوا للتو بتدريبون، إن الأولاد هم فقط يتعلمون كيف يشنون حملة عسكرية، وهم في هذا الحال والوقت، أنت تقوم بتوبيخهم وفق هذه الطريقة، وتكدس التأنيبات عليهم ، لماذا ؟ فنحن نخشى أن يفقد الأولاد ــ وقد أصبحوا خائفين ــ الشجاعة، فمن المكان الذي تغرب فيه الشمس، إلى المكان الذي تشرق منه ، هناك شعوب معادية ، ونحن إذا ما أثرتنا ــ نحن كلابك التيبيتيه ــ وبعثتنا في مهمة، وقوتنا قد ازدادت بوساطة السماء والأرض، سوف نجلب إليك الشعوب المعادية، والذهب، والفضة، وحرير الساتان، والسلع، والرعايا، وإنك إذا ما قلت: أية شعوب؟ نحن نقول: هنا في الغرب واحداً يدعى السلطان قاليباي Qalebai ، سلطان شعب بلقتات Baqtat ، دعنا نتحرك ضده"، وكان على هذه الصورة إلتمسوا منه الرضا، وهدأ الخان بهذه الكلمات، وزال غضبه.

ووافق جنكيز خان على اقتراحهم، وأصدر الأمر التالي، مانحاً الحظوة إلى الثلاثة الحاملين لجعب السهام: قونغقاي، وقونغتاقار، وجورماقان: "سوف يبقى قونغقاي مقدم الأدارغين Adargin، وقونغتاقار مقدم الدولونغغير Dolonggir إلى جانبي"، وهو قد بعث جورماقان مقدم الأوتيغين Otegen في حملة ضد شعب الباقتات، والسلطان القالباي.

وعلاوة على ذلك أرسل جنكيز خان دوربي دوقسين Dorbei Doqsin مقدم الدوربيت Dorbet في حملة ضد إيرو مارو Iru Maru ، ومدينة أبتو Abtu ، التي هي مدينة شعب ماداساري Madasari بين شعب الهندوس Hindus ، وشعب باقتات.

وعلاوة على ذلك هو بعث سوبيتاي باآتور نحو الشمال ليقوم بحملة بعيدة توصله إلى بلاد وشعوب الإحدى عشرة قبيلة التالية: القانغلين Qanglin ، والكيبجاأوت Kibča'ut ، والباجيغيت Bajigit ، والأوروسوت Orusut ، والماجارات Majarat ، والأسوت Asut، والساسوت Sasut ، والسيركيسوت ، والكيسيمير Kesimir ، والبولار Bolar ، والكيريل Kerel، وجعله يعبر نهري إيديل Idil ، وجاياق Jayaq الغنيين بالماء، وهو قد بعث سوبيتاي باآتور ليقوم بحملة تأخذه بعيداً حتى مدينة كيوا مينكيرمين Kiwa Menkermen.

وعلاوة على ذلك، بعد ما أكمل جنكيز خان قهر شعب السارتاأول أصدر أمراً بوضع مفوضين مقيمين في المدن المختلفة، وقدم من مدينة أورونغيجي اثنان من السارتاأول، من عشيرة قوروومسي Qurumse ، وكانا أباً وابناً يعرفان باسم يالاواجي Yalawači ، وماسقوت Masqut، وهما أخبرا جنكيز خان حول شرائع وأطراف المدن، وبناء عليه، بعدما تزود

جنكيز خان بما يكفي من معلومات بالنسبة لهذه الأعراف، عين ابنه ماسقوت القوروسمي، وجعله مسؤولاً مع مفوضينا المقيمين المسؤولين عن مدن: بوقار Buqar ، وسيميسقين Semisgen ، وأورونقيجي، وأودان Udan وكيسقار Kisqar ، وأوريانغ Uriyang ، وغوسين Gusen ، وداريل Daril، ومدن أخرى، وهو أعاد معه والده يالاواجي، وعهد إليه بالمسؤولية عن مدينة جنندو Jungdu، التي كانت مدينة الكيتات.

وبسبب أنه من بين شعب السارتاؤل، كان يالاواجي، وماسقوت، خبيران ماهران بشرائع وأعراف المدن، عينهم جنكيز خان مع مفوضينا المقيمين، وجعلهم مسؤولين عن شعب الكيتات.

وأمضى جنكيز خان سبعة أعوام في بلاد شعب السارتاؤل، وذلك خلال الوقت الذي كان ينتظر فيه قدوم بالا الجلائري، حيث كان بالا قد عبر نهر السين مطارداً السلطان جلال الدين، وملك خان، وقد طاردهما بعيداً حتى بلاد الهندوس، وقد فقد أثر السلطان جلال الدين، وملك خان، ومع ذلك هو التمسهما وبحث عنهما بعيداً حتى وسط بلاد الهندوس، ولكنه لم يجدهما، فعاد، ولدى عودته نهب الناس على حدود الهندوس، واستولى على كثير من الجمال، وعلى كثير من الخيول المخصية، وذكور الماعز.

ثم عاد جنكيز خان إلى الوطن، وعلى طريق العودة هو أمضى الصيف على شاطئ نهر إيرديس Erdis ، وفي خريف سنة الدجاجة (١٢٢٥) ، وهي السنة السابعة للحملة، وبعد عودته استقر في قصوره، في الغابة السوداء بجوار التولا Tula.

الفصل الثاني عشر

(التكملة الثانية)

وبعدما أمضى جنكيز خان الشتاء هناك [في الغابة السوداء] قال: "أنا سوف أزحف ضد شعب التانغوت"، فقام بإحصاء قواته من جديد، وفي خريف عام الكلب (١٢٢٦) انطلق زاحفاً ضد شعب التانغوت، وأخذ معه من بين السيدات ييسوي قاتون.

وفي الشتاء، عندما كان جنكيز خان ممتطياً على مهره جوسوتو بورو Josotu Boro ، وهو على الطريق لصيد كثير من الحمر الوحشية في منطقة أربوقا Arbuqa ، ولكنها مرت حمر وحشية على مقربة منه، فجفل جوسوتو بورو، وخاف، فسقط جنكيز خان من على ظهر مهره، ولأن جسده صار يؤلمه كثيراً، هو توقف في جوأورقات Jo'orqat.

وهو أمضى تلك الليلة هناك، وفي الصباح التالي قالت ييسوي قاتون: "أيها الأمراء والقادة تشاوروا مع بعضكم بعضاً حول ما عليكم عمله، لقد أمضى الخان الليل، وجسده حار بالحمى"، وبناء عليه اجتمع الأمراء والقادة، ثم قدم طولون جيربي مقدم القونغقوتان Qongqotan النصيحة كما يلي:

"إن شعب التانغوت
هو الذي يمتلك أفراده بلدات مسورة بتراب ناعم مجبول
هو الذي أفراده يعيشون في مخيمات ثابتة،
هم سوف لن يغادروا، حاملين معهم بلداتهم،
المسورة بتراب ناعم مجبول

هم لن يغادروا متخلين عن معسكراتهم الثابتة.
دعونا ننسحب، ثم عندما يرتاح جسد
الخان، سوف ننطلق من جديدا"

وعندما تكلم هكذا، وافق جميع الأمراء والقادة على ما قاله، والتمسوا من جنكيز خان الموافقة، ولكن جنكيز خان قال: "سوف يقول شعب التانغوت بأننا استدرنا عائدين لأننا خفنا، وإننا ـ على كل حال ـ إذا ما أرسلنا سفراء إليهم، وانتظرنا هنا في جوأورقات فذلك يتطلبه مرضي، ولسوف ننسحب بعد دراسة جوابهم، فذلك سوف يكون ممتازاً"، وهكذا أرسل هو رسلاً لحمل الرسالة التالية: "أنت في الماضي قلت يا بورقان: نحن سوف نكون جناحك [الغربي] الأيمن، ومع أنك قلت ذلك وأخبرتنا به، عندما أنا بعثت إليك طلباً بإرسال عساكر، قائلاً بأنني ذاهب في حملة لأن شعب السارتاأول، لم يوافقوا على اقتراحي، أنت يا بورقان لم تحافظ على وعدك، ولم تعطني عساكر، بل خرجت مع كلمات سخرية واستهزاء، وعندما كنت زاحفاً في اتجاه معاكس، قلت في ذلك الوقت بأنني سوف أدعوك فيما بعد لتقديم حساب، ولقد أقلعت ضد شعوب السارتاأول، وبحماية السماء الخالدة، أنا وضعتهم تحت الطاعة كما ينبغي، والآن أنا قدمت لأدعو بورقان لتقديم حساب، حول وعوده، وحول ما تفوه به من كلام".

وقال بورقان: "أنا لم أتفوه بكلام سخرية، وبناء عليه قال آساغامبو: أنا الذي تفوه بكلام سخرية، وأما بالنسبة للوقت الحالي، إنكم أيها المغول الذين اعتدتم على القتال قولوا: دعونا نتحارب، وعند ذلك تحولوا نحو ألاساي Alasai ، واقبلوا نحوي، لأنني أنا أمتلك معسكراً في الألاساي:

أنا لدي خيام مصنوعة من قماش صوفي رقيق
وأنا لدي جمال محملة بالبضائع

دعونا نتحارب هناك، وإذا كنتم تحتاجون إلى ذهب، وفضة، وحرير ساتان، وبضائع أخرى، تحولوا نحو إريقايا Eriqaya ، وإريجيو Erije'u".
وهكذا بعث هو هذه الرسالة إلى جنكيز خان.

وعندما أوصل كلامه إلى جنكيز خان، كان جسده ما يزال حاراً بسبب الحمى، وقال جنكيز خان : "إلى هذا كفاية، فعندما يدع الإنسان نفسه يخاطب هكذا، بمثل هذا التبجح، كيف يمكن للإنسان أن ينسحب؟ دعونا حتى لو كنا سنموت نتحدى تبجحهم"، وقال جنكيز خان: "أيتها السماء الخالدة كوني أنت الحكم، وتحرك وسار باتجاه الاساي.

وقد وصل إلى هناك وتحارب مع آساغامبو، فغلب آساغامبو، وأرغمه على تحصين نفسه فوق الآلاساي، وقد قهر آساغامبو، ونهب شعبه.

الذي امتلك خياماً مصنوعة من قماش صوفي رقيق
والذي لديه جمالاً محملة بالبضائع
وتابعوا نهبهم إلى أن نسفوهم في الهواء مثل رماد الموقد.

ثم إنه أعطى الأمر التالي: "اقتلوا الشجعان، والجريئين، وذوي الرجولة، والمظهر الجميل من التانغوت، واتركوا الجنود يأخذون لأنفسهم، كثيراً من عامة التانغوت، وذلك بقدر ما يمكنهم أن يضعوا أيديهم عليهم، ويأسروهم".

وأمضى جنكيز خان الصيف على جبل جاسوتو Casutu ، وأرسل عساكر ضد التانغوت:

الذين خوامهم مصنوعة من قماش صوفي رقيق،
والذين يمتلكون جمالاً محملة بالبضائع.

والذين مع آساخامبو أخذوا طريقهم نحو الجبال، وكانوا يقومون بأعمال المقاومة، وهو قد جعل عساكره تتبعهم حسبما كان قد خطط، إلى أن جرى تدميرهم تماماً:

ثم إنه أظهر الحظوة نحو بوأورجو، وموقالي، وأمر بأنه ينبغي أن يأخذا من الغنائم بقدر ما يقرران، وبقدر ما يكون في استطاعتهما أن يحملا.

وعلاوة على ذلك أمر جنكيز خان بمكافأة بوأورجو، وموقالي كما يلي: "بما أنني لم أعطيكما حصة من شعب الكيتات، اذهبا أنتما الاثنان، وتقاسما بالتساوي بينكما، ولأنفسكما الجويين Juyin من شعب الكيتات، اذهبا واجعلا أبناءهم الممتازين أتباعاً لكما، وسيكون صقوركم، واجلبا بناتهم الجميلات، واجعلوهن يحملن أطراف أثواب زوجاتكما، والأصدقاء الموثوقين لألتان خان، خان شعب الكيتات هم القراكيتات جويين، وهم الذين دمروا أجداد المغول، والآن أنتما الاثنان: بوأورجو، وموقالي صديقاي الموثوقين".

وانتقل جنكيز خان وابتعد عن جبل جاسوتو، ونصب معسكراً عند مدينة أورقاي Uraqai ، وبعد أن أقلع مسافراً من مدينة أورقاي، وعندما كان يقوم بتدمير مدينة دورميجي Dormegli ، وصل بورقان لتقديم الطاعة لجنكيز خان.

وعندئذ قدم بورقان الطاعة شخصياً، جالباً معه هدايا، كان منها في المقام الأول تماثيل ذهبية لبوذا، ثم طسوت ذهبية وفضية، وأوعية، وكان

هناك تسعة من كل نوع، وفتيان وفتيات تسعة من كل نوع، وخيول مخصية، وجمال، تسعة من كل نوع، ومن جميع الأنواع من الأشياء الأخرى، كل منها كان مرتباً على شكل تسعات، تبعاً لألوانها وأشكالها، وأبقى جنكيز خان الباب مغلقاً، وجعل بورقان يقدم الطاعة خارج الخيمة.

وشعر جنكيز خان في تلك المناسبة باشمئزاز مفاجئ في قلبه، وأصدر جنكيز خان في اليوم الثالث أمراً أعطى فيه إلى إيلوقو بورقان Iluqu Burqan اسم سيدورقو Sidurqa (المستقيم) ، وهكذا زاره إيلوقو بورقان سيدورقو، وعند ذلك أمر جنكيز خان بوجوب إعدام إيلوقو، وأن على طولون جيربي اعتقاله، وإعدامه بيديه.

ومن بعد ذلك، عندما أعلم طولون جيربي جنكيز خان بأنه اعتقل إيلوقو وأعدمه، أصدر جنكيز خان الأمر التالي: "عندما أنا اقتربت من شعب التانغوت، من أجل دعوة إيلوقو بورقان لتقديم حساب عن كلامه، وعلى الطريق عندما كنت أصطاد حمراً وحشية في منطقة أربوقا Arbuqa، أصبح جسدي مصاباً بألم، ولقد كان بالحقيقة طولون هو الذي أبدى قلقه حول حياتي، وتفوه بكلام نصيحة وقال: "دعوا جسده يتعافى"، ونحن قدمنا إلى هنا بسبب الكلام المسموم لعدو، ومع قوتنا وقد ازدادت بوساطة السماء الخالدة، التي وضعته بين أيدينا، فكان أن أخذنا انتقامنا، ولسوف يأخذ لنفسه القصر المتحرك الذي جلب من قبل إيلوقو، مع الطسوت والأوعية"، وكان هذا ما أمر به.

وبعدما نهب جنكيز خان شعب التانغوت، وجعل إيلوقو بورقان يغير اسمه إلى سيدورقو، وبعدما أعدمه، وبعدما أكمل إبادة شعب التانغوت : أمهاتاً وآباء حتى أولاد أولادهم، بتراً وسحقاً؟، أصدر الأمر التالي: "في

أثناء تناولي لطعامي عليكم أن تتحدثوا حول قتل وتدمير التانغوت، وأن تقولوا : أبيدوهم واسحقوهم، ولا تبق أحداً منهم".

ولأن شعب التانغوت أعطى كلمته، ولكنه لم يحافظ على وعده، نزل جنكيز خان إلى الميدان للمرة الثانية ضدهم، وبعدما أكمل جنكيز خان تدمير شعب التانغوت، رجع أدراجه، وفي عام الخنزير (١٢٢٧) صعد إلى السماء، وبعدما صعد إلى السماء، أعطى قسم كبير من شعب التانغوت إلى ييسوي قاتون.

وفي عام الفأر (١٢٢٨)، احتشد أمراء الجانب الأيمن [الغرب] وعلى رأسهم جاغاداي، وباتو، وأمراء الجانب الأيسر [الشرق] ، وعلى رأسهم أوتجيغين نويان، وييغو Yegu ، وييسونغي، وأمراء المركز، وعلى رأسهم تولوي، والأميرات، وأنسباء الأسرة الإمبراطورية، وقادة عشرات الألوف، وقادة الألوف، احتشدوا جميعاً بكامل القوات في كوديئو أرال Kodeu Aral على شاطئ نهر كيلورين، وبالتماشي مع قرار جنكيز خان، الذي قضى بتعيين أوكتاي ولياً للعهد، جرى وضعه على العرش، وتنصيبه خاناً.

وكان الأخ الأكبر جاغاداي هو الذي نصب أخاه الأصغر أوكتاي خان، كخان، وجرى تسليم الحرس الليلي وحملة جعاب السهام، والثمانية آلاف الذين كانوا يشكلون الحرس النهاري، وكانوا يتولون حماية الحياة الثمينة لأبيه جنكيز خان، والعبيد الشخصيين، والحرس العشرة آلاف الذين كانوا يتولون عن قرب العناية الشخصية بأبيه الخان، كان هؤلاء جميعاً جرى تسليمهم من قبل الأخ الأكبر جاغاداي، ومعه تولوي، إلى أوكتاي خان، وسلما إليه مملكة المركز وفق الطريقة نفسها.

وبعدما أكمل أوكتاي خان عملية إجلاس نفسه على العرش كخان، ونقل الحرس العشرة آلاف الذين كانوا يتولون الخدمة الداخلية، مع مملكة المركز إلى شخصه، عقد قبل كل شيء اجتماعاً تشاورياً مع أخيه الأكبر جاأداي، وبناء عليه أرسل أوقوتور Oqotur ، ومونغيتو Monggetu ، في حملة لتأييد حملة قورجي Qorti الذي كان آخذاً الميدان ضد السلطان قاليباي Qalibai سلطان شعب الباقتات Baqtat ، وهو شعب لم يكن قد جرى التعامل معه من قبل أبيه جنكيز خان .

ومن قبل كان سوبيتاي باأتور يقوم بحملة ضد مدن : موكيت Meket ، ومينكيرمين كييبي Menkermen Keyibe ومدن أخرى، وعبر المياه الغنية لنهري أديل Adil ، لوجايق Jayaq ، ووصل بعيداً حتى شعوب: قانغلين Qanglin ، وكيبجاأوت Kibča'ut ، وباجيغيت Bajigit ، وأوروسوت Orusut ، وأسوت Asut ، وسيسوت Sesut ، وماجار Majar ، وكيسيمير Kesimir ، وسير غيسوت Sergesut ، وبوقار Buqar ، وكيريل Kerel .

ولأن سوبيتاي باأتور بات في وضع صعب لدى مواجهة هذه الشعوب، بعث أوكتاي خان إليه باتو، وبوري، وغويوك، ومونغي وعدداً آخر من الأمراء، لتعزيز سوبيتاي، وأصدر أمره بوجوب أن يكون باتو قائداً لجميع هؤلاء الأمراء، الذين ذهبوا في تلك الحملة، وأن يكون غويوك قائداً لجميع العساكر الذين كانوا قادمين من المركز، وعلاوة على ذلك، أمر أنه بالنسبة للذين ذهبوا في الحملة، يتوجب على الأمراء المسؤولين عن الأملاك الخانية، وقادة عشرات الألوف، وقادة الألوف، وقادة المئات، وقادة العشرات، وأية قادة مهما كانوا، أن يرسلوا الأكبر سناً من أبنائهم إلى الميدان، ومثل ذلك أوجب على الأميرات، وأنسباء الأسرة الإمبراطورية، أن يرسلوا الأكبر سناً من أبنائهم إلى الميدان.

وعلاوة على ذلك قال أوكتاي خان: لقد تأصل المبدأ هذا بإرسال الأبناء الأكبر سناً في الحملات من لدن الأخ الأكبر جاغاداي، فقد جاء أخي الأكبر جاغاداي وقال لي: أنا سوف أرسل بوري الأكبر سناً بين أولادي في الحملة لتعزيز سوبيتاي، وإذا ما ذهب الأولاد الأكبر سناً إلى الميدان، فإن الجيش سوف يكون أكبر من ذي قبل، وإذا كانت القوات التي بعثت أعدادها كبيرة، فإنها سوف تذهب نحو القتال، وهي بادية ظاهرة أنها متفوقة، وجبارة، وشعب العدو خلفنا موقف من كثير من الدول، وهي منتشرة حتى نهاية العالم، وهم شعوب قاسية، وهم شعوب، عندما يصبحون غضابى، بالحري يفضلون أن يموتوا بسيوفهم، ولقد أخبرت أنهم يمتلكون سيوفاً حادة، ولقد كان هذا ما قاله عندما تقدم، ثم قال أوكتاي خان: " إنه بوساطة هذه الكلمات وبوساطة غيرة وقوة أخينا الأكبر سناً جاغاداي، دعونا نرسل الأبناء الأكبر سناً "، وهو قد نشر هذا الأمر في كل مكان، فهذه كانت الطريقة التي أرسل بموجبها: باتو، وبوري، وغويوك، ومونغي، والأمراء الآخرين إلى الميدان.

وعلاوة على ذلك بعث أوكتاي الرسالة التالية إلى الأخ الأكبر جاغاداي يطلب النصيحة قائلاً: " أنا جلست على العرش الذي سلف صنعه من قبل أبي جنكيز خان، أو لن يقول الناس حولي: بموجب أي فضيلة هو جلس عليه؟ إنه إذا كان الأخ الأكبر جاغاداي يوافق على ما يلي: بما أن أبانا الخان ترك قضية الألتان خان، خان شعب الكيتات غير منتهية، أنا سوف أتحرك الآن ضد شعب الكيتات "،هكذا أرسل هذه الرسالة، طالباً النصيحة.

وبعث الأخ جاغاداي رسالة جوابية، عبر فيها عن موافقته، كانت كما يلي: " ما هي العوائق المتوفرة هناك؟ عين رجلاً يتمتع بالمقدرة مسؤولاً عن المعسكر الأساسي، وانطلق، وأنا سوف أرسل عساكر من هنا ".

وبعدما وضع أوكتاي خان أولداقار قورجي Oldaqar Qorči مسؤولاً عن القصور الكبيرة في عام الأرنب البري (١٢٣١)، أقلع متوجهاً ضد شعب الكيتات، وأرسل أمامه جبه كمقدمة، وهكذا هو سحق شعب الكيتات، وذبحهم إلى أن أصبحوا مثل كومة من جذوع الشجر المهترئة، فهو قد عبر جابجيال، وأمر عساكره بالتقدم، والقتال هناك ضد مدن الكيتات وبلداتهم في كل اتجاه، ثم نصب أوكتاي معسكراً في سيرا ديقتور Sira Deqtur .

- وهناك وقع أوكتاي مريضاً، وعندما فقد مقدرته على الكلام، وكان في وضع صعب كثيراً وحالة بائسة، صدر الأمر إلى عدد كبير من الكهنة الشامان والمتنبئين لمعرفة السبب الرباني وراء مرضه، وهم قالوا: "إن سادة وحكام أرض وأنهار الكيتات غاضبون بعنف ضد الخان الآن، لأن شعبهم تعرض للنهب، وبلداتهم ومدنهم قد دمرت"، ولدى قيامهم بالتنبؤ بوساطة فحص أحشاء الضحايا، وقالوا لسادة ولحكام الأرض والأنهار : "سوف نعطي كبديل عن الخان: "أناساً، وذهباً وفضة، ومواشي، وأطعمة"، لم يخف المرض، بل ازداد عنفاً أكثر، وعندما قاموا بالمزيد من أعمال التنبؤ بفحص الأحشاء، وقالوا: "هل يمكن لفرد من أسرة الخان أن يخدم كبديل"؟، فتح الخان عينيه وطلب ماء، فشرب الماء وسأل: "ما الذي حدث؟".

وعندئذ شرح الكهنة الشامان للخان ورووا له ما يلي: "إن سادة وحكام بلاد وأنهر شعب الكيتات هائجين بعنف ضدك الآن، لأن بلادهم، ومياههم قد دمرت، وشعبهم قد نهب، وعندما قمنا بالتنبؤ بفحص أحشاء الضحايا، وقلنا بأننا سوف نعطي أي شيء كتعويض، ومع تجدد الهياج والغضب، هم ازدادوا حتى غضباً وهياجاً، وعندما قلنا: هل يمكن لشخص من أسرة

الخان، أن يخدم كبديل؟ ضعف المرض وخف، والآن أمركم هو الذي سيقرر".

وبعدما أكملوا صنع تقريرهم، قال الخان : "من هو الذي بجانبي من بين الأمراء؟، ولدى سماع الأمير تولوي لهذه الكلمات، وكان واقفاً إلى جانبه قال: "مع أن هناك كان موجوداً إخوة أسن منك فوقك، وإخوة أصغر دونك، أقدم والدنا السعيد جنكيز خان على اختيارك، أيها الأخ الأكبر خاناً، مثلما يقدم الإنسان على اختبار حصان خصي، شاعراً مثلما يفحص الإنسان كبشاً خصياً ليتأكد من أنه سمين، فلشخصك هو قدم العرش العظيم، وعليك وضع عبء حكم كثير من الشعوب، وأما بالنسبة لي شخصياً، فأنا كما كنت قد أخبرت من قبله بقوله: كن إلى جانب أخيك الأكبر الخان:

ذكّره بالذي كان قد نسيه،
أيقظه عندما يذهب في نوم عميق.
والآن: إنني إن فقدتك يا أخي الأكبر الخان
من الذي سأذكّره إن هو نسي
ومن الذي سوف أوقظه إن ذهب في نوم عميق؟
وفي الحقيقة : إن مات أخي الأكبر الخاقان،
سوف يترك أعداداً كبيرة جداً من المغول يتامى
وشعب الكيتات
سوف يبتهج بسبب حظه السعيد
أنا سوف آخذ مكان أخي الأكبر الخان
أنا سوف أشق ظهر سمكة السلمون المرقطة

وأنا سوف أقصم ظهر سمك الحفش
فأنا قهرت الذين هم في الأمام
وخرقت الذين هم بعيدين
وجميل بالوجه
وطويل من حيث القامة
هذا أنا
أيها الشامان ألق برقاك السحرية، واصنع تعويذاتك".

ولقد كان هذا ما تفوه به، وبعدما فرغ الكهنة الشامان من صنع رقاهم وتعويذاتهم، شرب الأمير تولوي الماء المحسور، ثم إنه جلس قليلاً من الوقت وقال: "أنا أصبحت ثملاً مخموراً، وعندما أتعافى من سكري، دعو الأخ الأكبر الخان يقرر السبيل الأفضل للعناية بأخوته الأصغر [أي أبناء تولوي] الذين باتوا يتامى وهم ما يزالون صغاراً، وبزوجة أخيه الأصغر التي صارت أرملة، إلى أن يصبحوا قادرين على العناية بأنفسهم، ولقد قلت أنا كل ما توجب علي قوله، فلقد صرت ثملاً مخموراً"، وما أن فرغ من قوله هذا حتى انتقل من هذا العالم، وكانت هذه هي الطريقة التي مات فيها.

ثم دمّر أوكتاي خان الألتان خان، وأعطاه اسم سيوسي Seuse (العبد الصغير)، وقد جرده من ذهبه، وفضته، والأقمشة المطرزة بالذهب والمبطنة بحرير الساتان، ومن ممتلكاته، ومن خيوله المختلفة الألوان، ومن عبيده الشباب، وبعد ما فرغ من تعيين كشافة، وحاميات عسكرية، ومفوضين مقيمين في: نامغنغ Namging ، وفي جنغدو Jungdu ، وفي مدن في كل مكان، عاد إلى الوطن بسلام، ونصب معسكراً في قرا قوريوم Qara Qorum.

وكان جورماقان قورجي Čormaqan Qorči قد أخضع بلاد باقتات Baqtat ، وعندما عرف أوكتاي بأن تلك البلاد سمعتها طيبة ووضعها جيد، وأن الأشياء فيها أيضاً وضعها جيد، أصدر الأمر التالي: "سوف يقيم جورماقان قورجي في ذلك المكان بالذات كقائد للحامية العسكرية، وهو سوف يجعل الناس يرسلون في كل عام أقمشة مطرزة بالذهب الأصفر، وبروكار، ودمستق مع خيوط مذهبة، ولآلئ صغيرة وكبيرة، وخيول غربية [يعني عربية] لها رقاب طويلة، وأرجل طويلة أيضاً، وجمال بختيه بنية داكنة، وجمال عربية بسنام واحد، وبغال للتحميل، وبغال للركب، وهو سيرسلهم إلينا".

وتمكن باتو، وبوري، وغويوك، ومونغي، وعدد آخر من الأمراء الآخرين الذين ذهبوا في حملة لتعزيز سوبيتاي باآتور، من إخضاع شعوب القانغلين Qanglin، والكيبجاأوت، والباجيغيت Bajigit ، وعبروا نهر إيجيل Ejil [إيديل+ أديل] ونهر جاياق Jayaq ودمروا مدينة ميغيت Meget ، وذبحوا الأوروسوت Orusut ، ونهبوهم إلى أن سحقوهم بالكامل، ونهبوا وأخضعوا شعوب :أسوت Asut ، وسيسوت Sesut ، وبولار Bolar ، ومانكيرمان كيوا Mankerman Kiwa ، ومدناً أخرى، وبعدما أقاموا مفوضين مقيمين، وحاميات عسكرية، رجعوا إلى الوطن.

وبعث أوكتاي خان ييسودير قورجي Yisuder Qorči في حملة تعزيزاً لجالاييرتاي قورجي Jalayirtai Qorči ، الذي كان من قبل يقود حملة ضد الجورجيت Jurčet ، والسولانغقاس Solangqas ، وأمر بوجوب سكناه هناك كقائد للحامية العسكرية.

ومن حملة القبجاق، ومن خلال الرسل، بعث باتو التقرير التالي إلى أوكتاي خان: "لقد تمكنت بوساطة قوة السماء الخالدة، والحظ الجيد لعمي الخان، من تدمير مدينة ميغيت، ونهبت شعب الأوروسوت Orusut، وأخضعت كما ينبغي إحدى عشرة منطقة وشعباً، وعندما رجعنا في موكب نصرنا، قررنا عقد احتفال وصنع وليمة، فنصبنا خيمة كبيرة، وبدأنا الاحتفال، وبما أنني كنت الأكبر سناً تماماً، بين الأمراء الذين كانوا حاضرين، كنت أنا أول من شرب قعباً، أو قعبين من خمرة الاحتفال، فغضب بوري، وغويوك مني بسبب ذلك، ورفضاً المشاركة وركبا خارجين، وعند ركوبهما وخروجهما قال بوري: بما أن باتو مساوياً لنا، لماذا هو أقدم على الشرب أولاً؟:

النساء العجائز اللائي لهن لحى مثله،

واللائي يدعين أنهن مساويات لأحدنا،

على واحدنا أن يركلها بقدميه،

وعلى واحدنا أن يدوس عليها بقدميه".

وحول ذلك قال غويوك: "هؤلاء النساء العجائز مع جعاب أسهم، مثل باتو، دعونا أيضاً نضرب صدورهن بعصاة من خشب يحترق"، وقال هارقاسون بن إيلجيغيدي Harqasun son Eljigidei : "دعونا نربط ذيولاً خشبية لهن"، وهكذا، إنه في الوقت ذاته تماماً، عندما أرسلنا لنسوق ضد الشعوب المتمردة من مختلف الأجناس، كنا نسأل أنفسنا فيما إذا كنا ناجحين، خاطبنا: بوري، وغويوك بهذه الطريقة، وافترقنا ونحن على خلاف، والآن إن أمر عمي الخان سوف يقرر هذه القضية!"، فلقد كان هذا ما رفعه بتقريره.

ولدى سماع الخان كلام باتو هذا، أصبح غاضباً شديد الغضب، ولم يسمح لغويوك المثول بحضرته، بل قال: "إتباعاً لنصيحة من، ملأ هذا المخلوق المنحط فمه بكلام ضد الشخص الذي هو أعلى مرتبة منه ورئيساً له؟ هو بمكانه، ووحده هو فقط يتعفن مثل بيضة، هو انقلب ضد صدر الشخص الذي هو متفوق عليه، ولذلك:

نحن سوف نضعه في المقدمة

ولسوف نجعله يتسلق أسوار البلدات

التي هي عالية بعلو الجبال

إلى أن تنسحق أظافر أصابعه العشرة

نحن سوف نضعه في جيش الحاميات العسكرية

نحن سوف نجعله يتسلق أسوار البلدات

المعمولة من الطين القاسي المدقوق

إلى أن تنسحق أظافر أصابعه الخمسة وتزول.

وأنت أيها التعيس، والشرير، والمنحط هارقاسون، تقليداً لمن أنت ملأت فمك بمثل هذا الكلام الذي تبجحت به ضد أسرتنا؟ دعونا نرسل غويوك، وهارقاسون معاً بعيداً، ونحن نستطيع أن نمزق هارقاسون ونقطعه، ولكن آنئذ سوف تقول بأننا أظهرنا انحيازاً، وأما بالنسبة لبوري، أخبروا باتو أن يرسله إلى الأخ الأكبر سناً جاغاداي، حتى يتخذ قراراً حوله".

ثم قام مونغي (مونغكي) من بين الأمراء، وألجيداي Alčidai ، وقونغقورتاي Qongqortai وجنغي Janggi وقادة آخرون من بين القادة، بتقديم كل واحد منهم النصيحة التالية للخان: "هناك قراراً صدر عن والدك

جنكيز خان، حدد بأن قضايا الميدان ينبغي أن يتخذ القرار حولها في الميدان، تماماً مثلما القضايا الداخلية ينبغي اتخاذ القرار حولها في الخيمة، والآن إن الخان غاضب على خوبوك، إن هذه قضية ميدانية، فهل يمكن للخان أن يتلطف فيرسل خوبوك إلى باتو، موكلاً إليه اتخاذ القرار؟، وعلى هذه الصورة هم أشاروا عليه ونصحوه.

ووافق الخان على كلامهم، واستجاب لمطلبهم، وسمح لخوبوك بالمثول في حضرته، وقد أنبه بكلمات التوبيخ التالية: " لقد قيل حولك عندما ذهبت في الحملة، أنك في أثنائها:

لم تترك أرادفاً لم تسلقها بألسنة حداد،
لأي رجل له ردفين،
ولقد قيل أيضاً حولك بأنك:
سحقت روح
كل إنسان في الجيش،

فهل تتخيل بأن شعب الأوروسوت قد خضع خوفاً من عنفك الشديد ومن غضبك؟، وهل تظن أو تعتقد أنك وحدك الذي أرغمت الأوروسوت على الخضوع، وهل سوف تمضي الآن، وتستمر مع التجبر في قلبك، والتمرد ضد الشخص الذي هو سيداً عليك؟، وفي الكلام الذي كان يتفوه به أبانا جنكيز خان، أو لم تكن عادته أن يقول:

تجعل حشود الناس وجماهيرهم الإنسان خائفاً،
ويجعل عمق الماء الإنسان يموت؟ "

فأنت تظاهرت وادعيت بأنك أنجزت ذلك لوحدك، في حين أنك أرسلت تحت مظلة سوبيتاي، وبوجيك Bujek ، ومع القوة الكاملة للجيش،

حتى تتولى إخضاع الأوروسوت، والكيبجاأوت، وتضعهم تحت الطاعة، وأنت أسرت واحداً أو اثنين من الأوروسوت، والكيبجاأوت، إنما في الوقت الذي لم تحصل فيه على شيء كغنيمة، حتى ولو كان ظلف جدي، جعلت من نفسك بطلاً، فأنت غادرت الوطن مرة واحدة، ومع ذلك ادعيت بأنك أنجزت كل شيء، وقدمت تتكلم بمثل هذه اللغة الفاسدة والاستفزازية، ولكن إنه بفضل : مونغي، وألجيداي، وقونغقور تاي، وجانغي، مع الآخرين الذين:

هم إلى جانبي كرفاق مخلصين

قد ضبطوا مشاعري الثائرة

ولأنني كنت مثل مرغفة واسعة

قاموا بتهدئة مرجل غضبي الفائر

وقلت: صحيح، هذه قضية ميدانية، وهم قالوا: إنها من شؤون باتو، على هذا لندع باتو يقرر ما يريده حول غويوك، وهارقاسون، وقد أرسلهما معاً إليه، وقال: "سوف يقرر الأخ الأكبر جاأداي حول بوري".

وعلاوة على ذلك أمر أوكتاي بنشر الأمر الحالي الذي أعلن عن تجديد واجبات الحرس – الحرس الليلي، وحملة جعاب السهام، والحرس النهاري – الذين خدموا أبي جنكيز خان، وأنا آمر أنه مهما كانت الصفة التي عملوا بها من قبل، تماشياً مع أمر أبي الخان، هم سوف يعملوا بالصفة نفسها الآن، فحملة جعاب السهام والحرس النهاري، سوف يقومون بتنفيذ واجباتهم النهارية، كل واحد في مركزه، وذلك تماشياً مع الأمر الماضي، ولسوف يبقون هناك طوال ما كان هناك ضوء الشمس، حيث سينسحبون ليحل محلهم الحرس الليلي، وهم على ذلك سوف يمضون الليل في الخارج، فلقد كان لهذا ما أمر به.

وهو أمر كما يلي: في أثناء الليل سوف يمضي الحرس الليلي الليل إلى جانبنا، ولسوف يقف الحرس الليلي عند بابنا، ومن حول قصر الخيام، ولسوف يقوم الحرس الليلي بأعمال الدورية من خلف القصر ومن أمامه، وسيعتقل الحرس الليلي الناس الذين يتحركون حوله في أثناء الليل، بعد غياب الشمس، وسيبقيهم معتقلين طوال الليل، ومن بعد انصراف جمهور الناس وتفرقهم، فباستثناء الذين كانوا من الحرس الليلي، وأمضوا الليل في أداء واجبهم، وسوف يجري صرفهم، سوف يعتقل الحرس الليلي أي واحد يختلط بهم، ويدخل إلى داخل وسطهم، فهؤلاء سوف يحطمون رؤوسهم، ومن ثم يلقون بهم بعيداً، وإذا ما أوصل شخص أثناء الليل حاملاً لرسالة مستعجلة، عليه أن يذكر ذلك إلى الحرس الليلي، وأن يتم إيصال الرسالة لي، وأن يكون آنذاك واقفاً مع الحرس الليلي في الخلف [أي الجهة الشمالية] ولسوف يشرف المشرفان قونقتوريتاي، وسبيرالقان مع الآخرين بصحبة الحرس الليلي على جميع حركة الذهاب والإياب في قصر الخيام، وبسبب أن إيلجيغيدي — وإن كان شخصاً موثوقاً — قد اعتقل من قبل الحرس الليلي، عندما صدف أنه كان يسير خلفه، إن أفراد الحرس الليلي أيضاً الذين هم مثل الذين اعتقلوا إيلجيغيدي لم يخالفوا الأوامر، وهم جديرون بالثقة"، ولقد كان هذا ما نوه به، كما أنه أصدر الأمر التالي: "ينبغي على الإنسان ألا يسأل عن عدد الحرس الليلي، وينبغي على الإنسان ألا يسير في الليل خلف مركز الحرس الليلي، وينبغي على الإنسان عدم السير بين الحرس الليلي، وعلى الحرس الليلي اعتقال الناس الذين سوف يسيرون خلفهم، أو بينهم، وفيما يتعلق بأي شخص سوف يسأل الحرس الليلي عن عددهم، على الحرس الليلي اعتقال الحصان المخصي لذلك الشخص الذي كان يمتطيه في ذلك اليوم، مع السرج واللجام، ومع الثياب

التي كان مرتدياً لها، ولا يجوز لأحد أن يجلس فوق المكان العائد للحرس الليلي، وسيتولى الحرس الليلي العناية بالرايات والطبول، والرماح، والطسوت، والأوعية، التي يجري ترتيبها تحتهم، وسيشرف الحرس الليلي على الشراب والطعام، والنجوم غير المنظمة".

وهو أمر أيضاً: "سوف يتولى الحرس الليلي العناية بعربات خيام القصر، وإذا نحن لم نذهب شخصياً في حملة عسكرية، ينبغي على الحرس الليلي عدم النزول إلى الميدان منفردين من دوننا، وعندما نذهب للصيد بوساطة الصقور، أو للصيد، سوف يبقى نصف الحرس الليلي تماماً عند عربات خيام الصيد، وسيذهب النصف الآخر معنا، وينبغي على معلمي المعسكر من بين أفراد الحرس الليلي المضي أمامنا، ولصحب القصر، ويتوجب على البوابين من بين أفراد الحرس الليلي الوقوف خلف الباب مباشرة، وسوف يكون قائد الألف قداآن Qada'an مسؤولاً عن جميع الحرس الليلي".

وعلاوة على ذلك، قال عندما عين قادة مختلف جماعات الحرس الليلي: "سوف يشكل قداآن، وبولقدار Bulqadar جماعة واحدة، وسوف يتشاوران عندما يقومان بدورهما نفسه في الخدمة، وسيقومان على جانبي يمين ويسار (الغرب والشرق) القصر، كل واحد منهما في جانب، وسوف يحشدان حرسهما وفقاً لذلك، وسوف يتشاور آمال Amal ، وجانار Canar أحدهما مع الآخر في سبيل جماعة واحدة، وعندما يتوليان دورهما في أداء الواجب سوف يقف أحدهما على أحد الجانبين الأيمن والأيسر (الغرب والشرق) من القصر، كل واحد منهما في جانبه، وتبعاً لذلك سوف يحشدان حرسهما، وسوف يتشاور يالباق Yalbaq وقارأودار Qara'udar أحدهما مع الآخر، ويشكلان جماعة واحدة، وعندما سيتوليان القيام بدورهما في

الخدمة، سوف يبقيان على جانبي اليمين واليسار (الغرب والشرق) من القصر، كل واحد منهما في جانب، وسيحشدان حرسهما تبعاً لذلك، وعلاوة على ذلك، سوف تعسكر جماعة قاداآن، وبولقادار، وجماعة أمال، وجانار — هاتين الجماعتين — على الجانب الأيسر (الشرق) من القصر، وسوف يتوليان القيام بدورهما في الخدمة هناك، ولسوف تعسكر جماعة كل من قاداي، وقوري قاجار، وجماعة كل من يالباق، وقاراأودار — هاتين الجماعتين — على الجانب الأيمن (الغرب) من القصر، وسوف يتوليان القيام بدورهما في الخدمة هناك".

وقد أمر: "سوف يكون قاداآن مسؤولاً عن هذه الجماعات الأربع من الحرس الليلي، وعلاوة على ذلك سوف يقف الحرس الليلي حول القصر من بعد شخصي مباشرة، وسوف يتربصون هناك في حراسة الباب، ولسوف يدخل رجلان من الحرس الليلي إلى القصر، ويتوليان المسؤولية عن موائد القمز الكبيرة.

وعلاوة على ذلك هو أمر: "إنه بالنسبة لحملة جعاب السهام: ييسون تواي Yisun To'e ، وبوكيدي Bụkidei ، وهورقوداق Horqudaq ، ولابالقا Labalqa ، عليهم تشكيل أربع جماعات مستقلة، وأن يحشدوا حملة جعاب السهام التابعين لهم من الحرس الشخصي، وأن ينضموا كل على حدة، إلى أربع جماعات مستقلة من الحرس النهاري من أجل حمل جعاب سهام.

وعلاوة على ذلك عندما عين ضباطاً كباراً (شيوخاً) لجماعات الحرس النهاري من أبناء الذين كانوا من قبل متولين لقيادتهم، هو أمر ألجيداي Alčidai ، وقونغقورتاقاي Qongqortaqai، اللذان كانا من قبل متوليان لهم، أن يقوما بعد التشاور مع بعضهما وبعد حشدهما لجماعة واحدة من الحرس

النهاري، الالتحاق بخدمة الحرس النهاري، ولسوف يقوم تيموديز Temuder، وجيغو Jegu بعد التشاور فيما بينهما، وبعد حشد جماعة واحدة من الحرس النهاري، بالالتحاق بخدمة الحرس النهاري، ولسوف يقوم مانغقوتاي Mangqutai ، الذي كان متولياً لقيادة الاحتياط، بحشد واحدة من مجموعات الحرس النهاري، والالتحاق بخدمة الحرس النهاري".

وعلاوة على ذلك أمر الخان بما يلي: "سوف يكون إيجيغيدي Eljigidei متولياً لقيادة الحرس وعلى جميع قادة الجماعات العمل وفقاً لأمر إيلجيغيدي".

وعلاوة على ذلك هو أمر: " إذا تقاعس عضو من الحرس عندما يدعى للخدمة، عن القيام بدوره، وفقاً للأوامر المتقدمة، سوف يؤدب بثلاث ضربات بالعصا، وإذا ما تقاعس العضو نفسه للمرة الثانية، عن القيام بأخذ دوره في الخدمة، سوف يؤدب بسبع ضربات بالعصا، وإذا تقاعس الرجل نفسه، مرة أخرى، من دون مرض أو سبب آخر، ومن دون مشاورة شيخ الجماعة، وجاء تقاعسه للمرة الثالثة، ولم يقم بأداء دوره في الخدمة، وبذلك كان يعد الخدمة إلى جانبنا صعبة جداً، سوف يجري تأديبه بسبع وثلاثين ضربة عصا، وسيرسل إلى مكان بعيد، حتى لا نعود نراه، زد على هذا، إنه إذا لم يقم الشيوخ بحشد الحرس الذين عليهم الخدمة معهم، حسب الجدول الموضوع، وتقاعسوا عن أداء دورهم بالخدمة، نحن سوف نعاقب شيوخ الجماعات، وعلاوة على ذلك، يتوجب على شيوخ الجماعات إعلان هذا الأمر على الحرس، في الوقت الذي يقومون فيه كل مرة بأداء دورهم الثالث في الخدمة، وفي الوقت الذي يصرفون ليحل غيرهم محلهم، وعندما يكون الحرس قد سمعوا الأمر، وتقاعسوا عن القيام بدورهم في الخدمة،

سوف نعاقبهم وفقاً للأمر السالف، ولكن إذا كان شيوخ الجماعات لم يعلنوا هذا الأمر على الحرس، سوف يكوّنوا مذنبين، وعرضة للعقوبة، وعلاوة على ذلك لا يجوز لشيوخ الجماعات من دون إذني معاقبة حرسي الذين جرى تجنيدهم حرساً كمساوين لهم، ولا يحق لهم استخدام رتبهم مجرد أساس مسوغ للمعاقبة، وإذا ما خرق أحدهم الشريعة، فترفع إلينا تقارير حول ذلك، والذين هم عرضة للإعدام، من المؤكد سوف يقطعون إرباً، والذين هم عرضة للعقوبة، من المؤكد أننا سوف نؤدبهم، وإذا ما قاموا من دون إخبارنا، هم أنفسهم، بمعاقبة حراسنا، فقط انطلاقاً من رتبهم العالية، فإن الذين سيستخدمون قبضاتهم، سوف يسددون بتوجيه القبضات إليهم، والذين عاقبوا باستخدام العصا، سوف يسددون بضربات من العصا "، ولقد كان هذا ما تكلم به.

وعلاوة على ذلك هو أمر كما يلي: " سوف يكون حرسي أعلى مكانة من قادة الألوف الذين هم في الخارج، وخدم حرسي سوف يكونوا أعلى مقاماً من قادة المئات في الخارج، ومن قادة العشراوات، وإذا ما تشاجر قادة الألوف الذين هم من الخارج مع حرسي، نحن سوف نعاقب الذين هم قادة للألوف ".

وعلاوة على ذلك قال أوكتاي خان: "نحن سوف لن نتسبب بالمعاناة للأمة التي أسسها والدنا جنكيز خان مع كثير جداً من الجهود والتعب، ولسوف نجعل الناس يبتهجون، ونجعلهم مستقرين واقفين:

أقدامهم على الأرض

وأيديهم على الأرض

أما وقد جلسنا الآن على العرش الذي إنوجد وبات جاهزاً بوساطة أبينا الخان، ولذلك حتى لا يعاني الناس، سوف يعطى إلينا في كل عام من هؤلاء الناس شاة عمرها عامين من كل قطيع، كضريبة من أجل طعامنا، وعليهم أيضاً تقديم شاة واحدة من كل مائة شاة، وأن يعطوها إلى الفقراء والمحتاجين في داخل الوحدة نفسها، وعندما سيجتمع إخوة الخان، والعساكر الكثيرون، والحرس مع بعضهم في الاحتفالات واللقاءات، كيف يمكن فرض تأمين الشراب لهم جميعاً في كل مرة، وتحصيله من الناس؟ ينبغي تجهيز المهاري من مختلف وحدات الآلاف، في مختلف المناطق، وسيكون حلابو المهاري هم الذين يرعوهن ويعتنون بهن، ويتوجب على معلمي المعسكر أنْ يؤمنوا باستمرار بدائل للمهاري، وسوف يكونوا بدورهم رعاة لقطعان مهاري الحليب، وعندما سيجتمع إخوة الخان مع بعضهم، سوف نعطيهم هدايا وجوائز، ونحن أوصلنا إليهم حرائر ساتان، وسبائك ذهب وفضة، وجعب سهام، وقسي، ودروع، وأسلحة، وبالنسبة للحبوب المجبية من ضرائب الأرض والموجودة في المخازن، سوف نتدبر أناساً يتولون حراستهم، وينبغي اختيار رجال المخازن، والمتولين لحفظ الأشربة من مختلف المناطق، وجعلهم يحرسون المخازن، ولسوف نقسم معسكرات الأراضي الرعوية والمياه، وسوف نعطيهم إلى الناس وإذا ما اخترنا معلمي معسكرات وحدات الألوف للإقامة في المعسكرات، فإن ذلك سوف يكون إجراءاً موائماً وصحيحاً.

وعلاوة على ذلك، بما أنه لا يوجد شيئاً في منطقة صحراء [غوبي-جول Col] سوى الحيوانات البرية، سوف نجعل جاناي Canai ، وأورتاي Ui'urtai ، اللذان صارا معلمي معسكرات، يحفران آباراً في صحراء

غوبي، لتمكين الناس من العيش في هذه المنطقة الواسعة كثيراً، وعليهما بناء أسوار من اللبن القاسي لحمايتهم من الحيوانات البرية.

وعلاوة على ذلك، عندما يركب الرسل ويسوقون مسرعين، نحن نسمح لهم بالسوق وهم راكبين أحراراً بين الناس، وكنتيجة لذلك نجد أن خطوات هؤلاء الرسل غدت بطيئة، وهم أيضاً يلحقون الضرر بالناس، لذلك نحن سوف نوجد حلاً لهذه القضية يكون مؤيداً،بتجهيز معلمين لمحطات البريد، وحافظين للخيول من مختلف وحدات الألوف في جميع المناطق، وذلك بإقامة مركز بريد عند كل محطة، وبذلك لن يكون مسموحاً للرسل بالتحرك وهم أحرار بين السكان، ما لم يكن بسبب أعمال اضطرارية، فنحن عوضاً عن ذلك جعلناهم يتحركون مسرعين بين محطات البريد، ونحن إذا فعلنا ذلك، من المؤكد أنه سوف يكون إجراء موائماً.

وعندما اقترح جاناي، وبولقدار ــ اللذان هما على إطلاع جيد ــ هذه الإجراءات علينا، نحن رأينا أنهما بالفعل على صواب، وقلنا: ليقم الأخ الأكبر جاأداي باتخاذ القرار، فإذا كانت هذه الإجراءات التي هي قيد الدراسة موائمة، وهو وافق عليهم، ليصدر القرار عن أخينا الأكبر جاأداي".

وبعدما أرسل أوكتاي خان هذه الرسالة، جاء جواب من الأخ الأكبر جاأداي يقول: "أنا موافق على هذه الإجراءات بالذات، وهي الإجراءات التي سألتني عنها في رسالتك، أنا موافق عليهم جميعاً، وبناء عليه ليتم العمل وفقاً لهم".

وعلاوة على ذلك جاءت رسالة من الأخ الأكبر جاأداي قال فيها: "إنني من ها هنا سوف يكون لدي محطات بريد تربطني بمحطاتك، وأيضاً أنا سوف أرسل من هنا رسلاً إلى باتو، ولسوف يكون لدى باتو محطات بريد مرتبطة بمحطاتي"، كما أنه جاءت رسالة أخرى منه، حيث بعث فيها يقول: "إنه بين جميع الإجراءات التي جرى اقتراحها، يعد الاقتراح المتعلق بتأسيس محطات بريد، هو الأكثر مواءمة".

وبناء عليه قال أوكتاي: "لقد وافق الأخ الأكبر جاأداي، ووافق باتو، والأخوة الآخرون، وأمراء الجناح الأيمن (الغرب)، هم جميعاً، وأوتجيغين نويان، وييغو Yegu ، والأخوة الآخرون، وجميع أمراء الجناح الأيسر (الشرق)، والأميرات وأبناء الأنسباء في المركز، وقادة عشرات الألوف، وقادة الألوف، وقادة المئات، وقادة العشراوات، هم جميعاً مع بعضهم وافقوا، وكانت موافقتهم هي كما يلي:إذا كان الأمر متعلقاً بأطعمة ونفقات الحاكم العالي، يتوجب على كل إقليم أن يقدم في كل عام كبشاً مخصياً عمره عامين من كل قطيع، وهذا لن يشكل عبئاً على الإطلاق، وأن يقدم شاة واحدة، عمرها عام، من بين كل مائة شاة، للفقراء والمحتاجين، سوف يكون جيداً، وإذا ما أقمنا محطات بريد، وزودنا محطات البريد بمعلمين لها، وبحافظين للخيول لرعايتهم وإعدادهم، سوف يكون هناك سلام لكثير من الناس، وسيكون بالنسبة للرسل موائماً بشكل خاص في السفر"، وهم وافقوا بالإجماع على هذا.

وبعدما جرى التشاور مع الأخ الأكبر جاأداي، حول ما تعلق بأمر الخان، وبعدما تمت الموافقة على هذا من قبل الأخ الأكبر جاأداي، توجب على جميع الناس من مختلف وحدات الآلاف في المناطق كلها تماشياً مع أمر الخان، أن يقدموا في كل عام كبشاً خصياً واحداً عمره عامين من كل

قطيع من أجل طعام الخان ونفقاته، وشاة واحدة عمرها عام واحد من بين كل مائة شاة من أجل الفقراء والمحتاجين، وفرض عليهم وأوجب تجهيز مهاري، وأيضاً جرى تعيين رعاة قطعان مهاري الحليب، وأوجب عليهم تقديم رعاة قطعان مهاري، كما أوجب عليهم تقديم معلمين لمحطات البريد، وحافظين للخيول، وبعد قياس المسافة بين كل مرحلة وأخرى أقيمت فيها محطات بريد، وجرى تعيين أراجان Arağan ، وتوقوجار Toqučar مسؤولين عنهم، وينبغي أن يكون في كل مرحلة بريد عشرين من حافظي خيول البريد، وفي كل مرحلة بريد، محطات بريد عشرين من حافظي خيول البريد في كل منها.

وأمر الخان: إنه بالنسبة للخيول المخصية التي سوف يجري استخدامها كخيول بريد، والأغنام التي سوف تستخدم كمؤن، ولمهارى الحليب، وللثيران التي تشد إلى العربات، والعربات من بين الكمية المحددة من قبلنا، إنه من الآن فصاعداً:

إذا ما تسبب أي إنسان بنقص حتى قطعة من خيط

هو سوف يكون مذنباً مداناً، وعرضة

لقصمه إلى نصفين شروعاً من أعلى رأسه،

وإذا ما تسبب أي واحد بنقص ما يساوي

بمقدار شكل ملعقة من شعاع دولاب

هو سوف يعد مذنباً مداناً، وعرضة

لقصمه إلى قسمين شروعاً من أنفه"

وقال الخان أوكتاي: "إنني قد فعلت التالي بعدما جلست على العرش الكبير العائد لأبي:

أنا قمت بحملة ضد شعب الجاقوت Jaqut [شعب شمالي الصين] ودمرته.

وبالنسبة لعملي الثاني، أنا أقمت محطات بريد حتى يتمكن رسلنا الخيالة من السوق مسرعين على امتداد الطريق، ومن أجل تلك الغاية أمنت توفير جميع الضروريات لمحطات البريد.

وبالنسبة لعملي التالي فهو كان أنني تدبرت حفر آبار في الأماكن التي هي من دون ماء، وبذلك أمنت إخراج الماء وجلبه، وعلى هذا زودت الناس بالماء والأعشاب.

وعلاوة على ذلك، كان عملي الرابع هو تأسيس عساكر كشافة، وعساكر حاميات عسكرية، بين سكان المدن في كل مكان، وبذلك تركت الناس يعيشون بسلام، وأمنت لهم الراحة والاستقرار:

وأقدامهم فوق الأرض

وأيديهم فوق الأرض.

ومن بعد أبي الخان أنا بالحقيقة أضفت أربعة أعمال جيدة إلى أعماله:

ولكن بعدما جلست على العرش العظيم لأبي الخان، وتعهدت شخصياً بحمل أعباء شعوبي الكثيرة، أنا أخطأت بجعل نفسي تقهر بوساطة الخمرة، وكانت هذه بالحقيقة أولى أخطائي.

وبالنسبة لخطأي الثاني، فهو كان الإصغاء إلى كلام امرأة من دون مبادئ ومثل، ومن المؤكد أن الاستيلاء على الأملاك العقارية لبنات عمي أوتجيغين تسبب لي بالغلط، ومع أنني كنت الخان، وسيد الأمة، من المؤكد أن مشاركتي بالخطأ، وبأعمال منافية للمثل، هو كان إثم من آثامي.

وكان الإلحاق السري للأذى بدوقلقو Doqolqu غلطة أيضاً اقترفت من قبلي، ولكن لماذا أنا أخطأت؟ لأنه كان إلحاق الأذى سرياً بدوقلقو، الذي ناضل بحدة في خدمة مولاه الشرعي، كان زلة من أبي الخان، وخطأ، فمن الذي سيناضل الآن بحدة كبيرة في خدمتي؟، ولذلك أنا شخصياً اعترفت بخطأ إلحاق الأذى بشكل سري، ومن دون حسن تمييز بشخص التزم بتيقظ بمبدأ الإخلاص في خدمة أبي الخان، وفي خدمة الجميع.

وعلاوة على ذلك، أنا كنت جشعاً، وبقولي لنفسي: ماذا لو أن الحيوانات البرية ولدت وكان قدرها المرسوم من قبل السماء والأرض، بأن تذهب إلى أراضي إخوتي؟ وامتلكت حواجز وأسوار بنيت من التراب المدقوق لمنع الحيوانات من التشرد، وعندما كنت حاجزاً لهم على هذه الصورة، سمعت كلمات رفض جاءت من إخوتي، وكانت هذه أيضاً واحدة من أخطائي.

فبعد أبي الخان، أنا أضفت بالفعل أربعة أعمال جيدة إلى هذه، ومن المؤكد أن أربعة من أعمالي كانت أخطاء"، فهو هكذا تكلم.

لقد اكتملت كتابة هذا الكتاب، في الوقت الذي انعقد فيه الاجتماع الكبير، في عام الفأر، في شهر اليحمور، وكان القصر مقاماً في منطقة دولوآن بولداق التابعة لكودباي أرال Kode'e Aral على نهر كيلورين Keluren ، فيما بين سيلغينجيك Silginček و.......(1).

---

1 – الاسم الثاني مفقود بسبب خرم بالنص.